وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعـــة البصـــرة
كليّة التربيـــة

نعوت الرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم

(دراسةٌ دلاليّةٌ)

رسالة تقدَّم بها

مجيد بدر ناصر

إلى مجلس كليّة التَّربية – جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في اللغة العربيَّة وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور فاخر هاشم سعد الياسري

١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]

صدق الله العليّ العظيم

إقرار المشرف

أشهد أنّ رسالة الماجستير الموسومة بـ (نعوت الرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم - دراسة دلالية) جرت بإشرافي في قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة البصرة . وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :
الاسم : أ. د . فاخر هاشم سعد الياسريّ
المرتبة العلمية : أستاذ
كلية التربية / جامعة البصرة
التاريخ : / / ٢٠١٢

بناءً على التوصيات والشروط المتوافرة نرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :
الاسم : أ. م .د. حسين عودة هاشم
المرتبة العلمية : أستاذ مساعد
رئيس قسم اللغة العربية / كلية التربية
التاريخ : / / ٢٠١٢

الإهداء

إلى سيّد الكائنات و خاتم الأنبياء و المرسلين

محمّدﷺ

أهدي هذا الميسور ، راجيا منه القبول ، و الشفاعة

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

شكر وتقدير

كثيرة هي الأيادي التي قدمت المساعدة ، وارتفعت بالدعاء ، ولكي أبتدئ شكري الله تعالى ، يكون لزاماً عليَّ أنْ أتقدم بشكري لكل من أسهم في إخراج هذه الرسالة إلى دائرة النور ، مبتدئاً بأستاذي المشرف : الأستاذ الدكتور فاخر هاشم سعد الياسري على صبره وتحمله عثرات الباحث ، ومتابعته المراحل التي مر بها البحث ، نقداً وتوجيهاً وتصويباً وتقويماً ، زيادة على طرحه الموضوع وتشجيع دراسته وإشرافه عليه .

والشكر موصول إلى أساتذتي في السنة التحضيرية ، وأساتذة قسم اللغة العربية الذين غرسوا فيَّ حب العلم والدراسة .

ولا يفوتني أنْ أشكر الأستاذ المساعد الدكتور حيدر مصطفى هجر رئيس قسم علوم القرآن في كلية الآداب ،جامعة ذي قار ،الذي تفضل عليَّ بأفكاره المتينة وإسهاماته القيّمة في إيضاح العلقة بين نعوت الرسولOuP ومقاماته التي دلت عليها .

وأذكر بوافر الامتنان الأخ الفاضل الأستاذ المساعد الدكتور جابر محيسن عليوي معاون العميد للشؤون العلمية في كلية الآداب ،جامعة ذي قار ،على كل ما قدّمه لي .

وأقدم شكري إلى موظفي مكتبة قسم علوم القرآن في كلية الآداب ،ومكتبة كلية الآداب ، والمكتبة المركزية في جامعة ذي قار ، ومكتبة نازك الملائكة في كلية التربية ، والمكتبة المركزية في جامعة البصرة، والمكتبة الحيدرية في حرم الإمام أمير المؤمنين OgP، ومكتبة السيد محسن الحكيم في النجف الأشرف ، ومكتبتي الحرمين المقدسين لأبي عبد الله الحسين وأبي الفضل العباس OcP في كربلاء .

وكلمة وفاء وشكر من الأعماق إلى روح الأب الكبيرة التي ما زالت بركاتها تشع من عالم البرزخ على عالمي ، وللأم التي ما فتأت دعواتها تظلّلني ،ولزوجتي (أم نور) الصابرة التي لم تدخر جهدا في توفير الأجواء الملائمة للدراسة ، ولأولادي الأحبة (نور ،ومحمد ،وعلي) ولأخوتي وأخواتي .

ولكلّ من أعان بنصيحة أو توجيه أو إرشاد ، فجزاهم الله عنّي خيراً عدد الرمل والحصى ، وأضعاف ذلك من تضاعيف لا يعدّها إلا هو .

الباحث

المحتويات

المحتويات	
الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ - و
---	---
الفصل الأوّل/النعوت الصريحة للرسول محمدﷺ في القرآن الكريم	١- ٦٢
المبحث الأول/ النعوت الوظيفية	٢
البشير والنذير والمبشّر والمنذر	٣
الشاهد والشهيد	٨
العامل	١٣
المذكّر	١٦
الرسول	١٩
النبيّ	٢٢
المبحث الثاني / النعوت العبادية	٢٤
العبد	٢٤
القانت	٢٩
المخلِص	٣١
المبحث الثالث / النعوت الحاليّة :	٣٣
المزّمّل والمدّثّر	٣٣
المبحث الرابع / النعوت الخصوصيّة :	٣٦
أول المسلمين	٣٦
خاتم النبيين	٣٩
الأمّيّ	٤٠
المبحث الخامس/ النعوت الخُلُقيّة :	٤٤
الحريص	٤٤
أذنُ خير	٤٦
الرؤوف	٤٨
المبحث السادس / النعوت الاجتماعية:	٥١
العائل	٥١
اليتيم	٥٣
المبحث السابع / النعوت الأخرى :	٥٥
السراج المنير	٥٥
الأنفس	٥٧
البشر	٥٩
الفصل الثاني/ النعوت غير الصريحة للرسول محمدﷺ في القرآن الكريم	٦٣- ١٢٣
المبحث الأوّل / النعوت الوظيفية :	٦٥
التالي	٦٥

الصادع	٦٧
المحتويات	
الموضوع	الصفحة
المبلّغ	٦٩
المحرّض	٧٠
المُعَلِّم	٧٢
المبحث الثاني / النعوت الخُلُقيّة :	٧٤
الصابر	٧٤
الصفوح	٧٦
اللّيِّن	٧٩
المشاور	٨٠
المبحث الثالث / النعوت العباديّة :	٨٢
المتوكّل	٨٢
المرتّل	٨٤
المسبّح	٨٥
المستعيذ	٨٨
المبحث الرابع / النعوت الرتبيّة	٩٢
الأمان	٩٢
ذو السكينة	٩٤
ذو الفتوح	٩٦
المرضيّ	٩٨
رفيع الذكر	١٠٠
المؤيَّد	١٠١
المنصور	١٠٣
المصطفى	١٠٥
المعصوم	١٠٦
القريب	١٠٧
المبحث الخامس / النعوت التنزيهيّة :	١١٠
غيرُ شاعر	١١١
غيرُ ضالّ وغير غاوٍ	١١٤
غيرُ مجنون	١١٦
المبحث السادس / النعوت الأخرى :	١١٨
البرهان	١١٨
البيِّنة	١١٩
العروة الوثقى	١٢١
النّاس	١٢٢

الفصل الثالث / فنّيّة التعبير في بعض نعوت الرسول محمدOuP	١٢٤-١٩٦
المبحث الأول / الإيحاء الصوتي في بعض نعوت الرسولOuP	١٢٥
المحتويات	
الموضوع	الصفحة
أولا: المحاكاة الصوتية في نعوت الرسولOuP	١٢٥
ثانيا: الفاصلة القرآنيّة	١٣٧
المبحث الثاني / الأداء التصويري في بعض نعوت الرسولOuP	١٤١
التشبيه	١٤١
الاستعارة	١٤٤
الكناية	١٥٦
مظاهر فنّيّة أخرى	١٦١
المبحث الثالث / المسالك التعبيرية لبعض نعوت الرسولOuP	١٦٧
القصر	١٦٧
التوكيد	١٧٥
الإضافة	١٨٤
مظاهر تعبيرية أخرى	١٨٧
الخاتمة	١٩٧
المصادر والمراجع	٢٠١
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	A - B

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله المنعم المتفضل ، الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على نبيه محمد المبعوث للعالمين بشيراً ونذيراً وعلى آله وصحبه.

وبعد :

فإنّ القرآن الكريم بما فيه من آيات معجزات وما شمل من بيان يعد مجالا رحباً للدراسة والبحث ، ودراسة القرآن وبيان ما فيه من دلالات ونعوت تمثل جانباً من الجوانب الثرة التي يتدفق بها الأسلوب القرآني ، ومن ثمّ كان الدافع لاختيار موضوع (نعوت الرسول محمد **ﷺ** في القرآن الكريم ، دراسة دلالية) رغبة المشاركة في هذا المجال، ولاسيّما أن هذا الموضوع قد اختاره لي الأستاذ المشرف، فوافقَتْ رغبتي رغبته في هذه الدراسة ، زيادة على ذلك أنّ هذا الموضوع لم يدرس بهذا الشكل من قبل .

وقد حاولت في هذه الدراسة استجلاء النعوت التي حظي بها الرسول**ﷺ** في القرآن سواء أكانت تلك النعوت صريحة أم غير صريحة ، عرضت لنا جوانب متعددة في شخصية الرسول**ﷺ** ، وقد جاءت الآيات القرآنية الخاصة بهاتين الفئتين لتضعنا أمام حالتين :

الأولى : النعوت التي تقتصر على اللفظ الظاهر مباشرة .

الثانية : النعوت التي لها باب واسع وهي التي يمكن اشتقاقها من الأفعال أو المصادر أو التي يتم تشخيصها ضمنا من سياق الآية التي ترد فيها أو التي يتم تشخيصها اعتمادا على أقوال المفسرين ويعضدها الأحاديث التي تؤكد دلالتها .

وقد سعيت لتشخيصهما من خلال الآيات القرآنية التي ورد فيها نعت كل منهما ولم أقتصر على بيان هذه النعوت في الآيات التي وردت فيها ، بل أشرت إلى

النعوت الخاصة التي انفرد بها الرسول محمدﷺ دون بقية الأنبياء والرسل ﷺ ، زيادة على ما ذكر من نعوت دالة على مقامات الرسولﷺ .

وذلك كلّه إنّما يدل على مكانة الرسولﷺ وما يحمل من قيم إنسانية وعقائدية وعبادية وخلقية ومبادئ أخرى سامية كرّمه الله سبحانه وتعالى بها .

ويمكن استشفاف تلك المكانة من داخل النصوص القرآنية . إذ تحققت للرسول فضائل وردت على هيأة نعوت متعددة منها وظيفية وأخرى عباديّة أو تنزيهيّة ، وقد كان لي مع تلك النعوت رحلة طويلة ، ولاسيّما الوظيفية والرتبيّة ؛ لما تحمل من دلالات كثيرة تخدم البحث ، مراعيا في ذلك إدراج كل نعت منها بما يتفق وطبيعة تلك النعوت القرآنية ، مبتعدا في ذلك عن التقيد بجذور أفعالها ، إذ كان المعتمد في تقسيمها أمرين :

الأول:فئتها التي تنتمي إليها من حيث كونها صريحة أو غير صريحة .

الثاني:الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه،فقد جعل لكل حقل منها عنوان خاص به.

وعليه فقد جاءت هذه الدراسة لتصبّ في رافد الدراسات اللغوية التي تُعنى بأسرار القرآن الكريم عن طريق تتبّع دلالات الألفاظ في معاجم اللغة ، والربط بينها وبين دلالاتها في السياق القرآني الذي وردت فيه ، لتجمع بين الدلالة المركزية وظلالها التي اتّسعت وضاقت على وفق القرائن التي رافقتها في السياق ، وهي بذلك تؤكّد أهمية التدبّر في آي القرآن لمزيد من المعرفة عن أثر القرآن في ألفاظ اللغة العربيّة من خلال الإشعاعات التي يجلّيها النص القرآني لتلك الألفاظ.

ثمّ إنّ تقسيم النعوت إلى حقول دلالية ساعد كثيرا في بيان الدلالات التي شعّت بها ، فقد كان منها ما يحمل أكثر من دلالة ، والسياق هو الحكم في ترجيح معنى على غيره ، وإنّ تفاوت الإدراك له أثر في تعدد تلك المعاني.

ومن ثَمَّ تناول البحث الألفاظ القرآنية الصريحة وغير الصريحة الدالّة على نعوت الرسولﷺ التي جمعت في قداستها أمرين ، الأول : إنّها ألفاظ قرآنية مقدّسة ، والثاني : كونها نعوتاً لسيد الكائنات الأقدسﷺ ، وقد عرضت طائفة من تلك النعوت ؛ لبيان الدلالات التي شعّ بها التعبير القرآني .

وقبل الولوج في تقسيمات هذه الدراسة حرصت على أن أجلّي أمـــرا يفتـــرض بيانه ، فقد يتداخل النعت والصفة ، فيُستعمل كلّ واحد منهما بدل الآخـــر ؛ وذلـــك لتقارب معناهما إلاّ أنّ هناك تمييزاً دقيقاً بينهما ، دفعني إلى انتقاء تسمية (النعـــت) واعتمادها في البحث بدلاً من (الصفة) أو (الوصف) ، مفاد ذلك أنّ (النعـــت) يُفيـــد دلالة إضافيّة لا تفيدها الصفة ، فقد ذكر أبو هـــلال العســـكري (٣٩٥هـــ) : ((إنّ النعت لما يظهر من الصفات ويشتهر ؛ ولهذا قالوا: هذا نعت الخليفة ... وقـــالوا : أوّل من ذُكر نعته على المنبر الأمين ، ولم يقولوا: صفته ، وإن كان قولهم الأمـــين صفة له عندهم ؛ لأنّ النعت يفيد من المعاني التي ذكرناها ما لا تفيده الصـــفة)) (١) وإنَّ النعت فيه دلالة على الاستكمال والحسن في الشيء ، فكلُّ جيّد بالغ يقال لـــه : نعت ، ولا يُقال في القبيح إلاّ تكلّفاً (٢) .

ومن ثَمَّ يتبيّن أنّ الباحث لا يعني بالنعت هنا المصطلح النحوي عند الكـــوفيين الذي يقابل الصفة عند البصريين ، إنّما يعني به النعت بـــالمعنى العـــام ، فيشـــمل الأوصاف التي اشتهرت للرسولOuΠ في القرآن الكريم ، بغضّ النظر عن كونهـــا فاعلاً أو مفعولاً أو خبراً أو حالاً إلى غيرها من المواضع الأخرى التي وردت فـــي التركيب القرآني.

وعرّفه ابن بابَشاذ (ت٤٦٩هـــ) أنّه : ((تحلية المنعوت بفعلـــه أو بصـــناعته أو بنسبه أو بـــ(ذي) التي بمعنى صاحب)) (٣) ، فيعلّق السيد علي حسن مطـــر علـــى التعريف السابق بقوله : ((وواضح أنّ هذا تعريف للنعت بمعناه المصدري وبما هو فعل يمارسه الناعت ، وليس تعريفاً للنعت بمعناه الاسمي بوصـــفه أحـــد التوابـــع

(١) معجم الفروق اللغوية ،العسكري :٥٤٥ .

(٢) ينظر: المخصّص ،ابن سيده :١٠٦/٤،وتاج العروس،الزبيدي(نعت):١٢٣/٥،والمعجم الوسيط ، المجمع (نعت) :٩٣٣/٢ .

(٣) شرح المقدّمة المحسّبة ،ابن بابشاذ : ٤١٣/٢ .

النحوية)) (٤) ، وآثرنا اختيار النعت (الرسول) بدلاً من النعت (النبيّ) في عنوان البحث ، إذ أسميناه (نعوت الرسول) ؛ ولذلك مسوّغ نلحظه من جهتين:

الأولى : امتلاك لفظة (الرسول) خصوصيّة ، افتقدت إليها لفظة (النبيّ) ، فقد ذكر الجرجاني (٤٧١هـ) هذه الميزة بقوله : ((فالرسول أفضل بالوحي الخاص فوق وحي النبوّة)) (٥) .

الثانية : كثرة ورود النعت (الرسول) له ﷺ في القرآن الكريم ، فقد ورد في ثمانية وثلاثين ومئة موضع ، في حين ورد نعته (النبيّ) في واحد وثلاثين موضعاً.

وقد توزعت الدراسة على مقدمة وفصول ثلاثة وخاتمة .

تناولت في المقدمة مفهوم النعت في اللغة والاصطلاح مركّزا في المفهوم العام للنعت زيادة على المفهوم النحوي الخاص ، ومشيرا إلى الفرق بين النعت والصفة .

وجاء الفصل الأول لنعوت الرسول ﷺ الصريحة في القرآن الكريم مشتملا على سبعة مباحث كما يأتي :

المبحث الأول : النعوت الوظيفية

المبحث الثاني : النعوت العباديّة

المبحث الثالث : النعوت الحالية

المبحث الرابع : النعوت الخصوصية

المبحث الخامس : النعوت الخلقية

المبحث السادس : النعوت الاجتماعية

المبحث السابع : النعوت الأخرى

أما الفصل الثاني فضم نعوت الرسول ﷺ غير الصريحة في القرآن الكريم ، وقد وقع في ستة مباحث كما يأتي :

المبحث الأول : النعوت الوظيفية

---

(٤) مصطلحات نحوية ،علي حسن مطر،مجلة تراثنا ،ع١ :١٦ ،١٤٢١هـ ، ص ١٧٧ .

(٥) التعريفات ، الجرجاني :٣٠٧ ، وفرائد اللغة في الفروق ، هنريكوس لامنس:١٠٣ .

المبحث الثاني : النعوت الخُلُقيّـــة

المبحث الثالث : النعوت العباديّــة

المبحث الرابــع : النعوت الرتبيّــة

المبحث الخامس : النعوت التنزيهيّة

المبحث السادس : النعوت الأخرى

أما الفصل الثالث فقد تناول فنية التعبير فــي بعــض نعــوت الرســول ﷺ الصريحة وغير الصريحة ، فكان هذا الفصل أرضا خصبة استوعبت كثيــرا مــن نعوت الرسول ﷺ التي درست في الفصلين السابقين ، والنعوت التي كنــت قــد أرجأتها لتفيض بجماليتها التعبيرية في هذا الفصل ، وقد وقع في ثلاثة مباحث كمــا يأتي :

المبحث الأول : الإيحاء الصوتي في بعض نعوت الرسول ﷺ

المبحث الثاني : الأداء التصويري في بعض نعوت الرسول ﷺ

المبحث الثالث : المسالك التعبيرية في بعض نعوت الرسول ﷺ

وجاءت الخاتمة لتكشف لنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

أعقب الخاتمة ، ثبت بالمصادر والمراجع التي استفاد منها البحث واعتمدها الباحث في بيان أهم النعوت التي كساها السياق القرآني ملامــح دلاليــة وجماليــة خاصة ، إذ لم يكن همي الإحصاء بقدر ما كان لي من هم اســتجلاء دلالتهــا فــي السياق ، وإظهار جماليتها في النص القرآني .

ولابد لي من أن أشير إلى أنني اتخذت من الدراسات القرآنية الدلالية السابقة أنموذجا أحتذي به ، ولاسيّما تلك التي نال الجانب اللغوي العناية فيها ، زيادة على رجوعي إلى المعاجم اللغوية وكتب التفسير التي تزخر بها مكتباتنا، ولا أغفل فضل كثير من البحوث والرسائل المنجزة في جامعة البصرة والجامعات العراقية الأخرى . فقد كانت لي المعين الثر والمنهل العذب .

ومن الصعوبات التي واجهت الباحث هي شمول الدراسة لأغلب النعــوت التــي يمكن أن يتلمسها في الآيات القرآنية ، ولاسيّما النعوت غير الصريحة فقد كان بابها

واسعا ؛ لذا اقتصرت على طائفة منها ، فالخوض في جميعها يتطلب دراسة الأفعال والمصادر كلّها وما أوّل من ألفاظ أنها دالة على الرسول محمد ﷺ وهذا لا يتناسب ومتطلبات هذه الدراسة .

وقد شكّل الاشتراك في النعوت صعوبة أخرى وكان لابد من تمييز نسبتها ودلالتها على الرسول ﷺ من غيره كباقي الرسل أو الملائكة أو الكتاب العزيز .

ولا يخفى الجانب العقائدي الذي يحتاج إلى دقة شديدة ومتناهية في بيان تلك النعوت من خلال توظيف كتب اللغة والسياق الذي وردت فيه ؛ لدفع التعارض الذي قد تثيره شبهة اللفظ بشكل لا يتناسب ومقام الرسول ﷺ ، إلى غير ذلك من المصاعب التفسيرية والتأويلية التي ذلّل صعوبتها من كان يفيض في إشرافه على هذه الرسالة خطوة خطوة .

أسأل الله أن أكون قد وفقت في إسهام يسير ومتواضع لخدمة القرآن الكريم ، ولبيان بعض نعوت الرسول ﷺ وما بلغ من مقامات ، وأعترف أن الجهد الذي قدمته لا يمكن له أن يلم بطرف من أطراف نعوت الرسول ﷺ، إلا أنها محاولة للتقرب أكثر من صاحب الرسالة القويمة .

وأعتذر إلى الله تعالى وإلى رسوله الكريم محمد ﷺ عن القصور في بيان بعض مقاماته التي أوضحتها نعوته المباركة ، وعن كل هفوة لم تكن مقصودة ، فما كان في البحث من خير فمن الله تعالى وببركات رسوله الكريم محمد ﷺ، وما كان فيه من خلل فمني ، فجلّ من لا يسهو.

وأقر أنّه لم يظهر هذا البيان إلا بفضل أساتذتي الأجلاء في قسم اللغة العربية كلية التربية أخص منهم بالذكر ، الأستاذ الدكتور فاخر هاشم سعد الياسري الذي أشرف على البحث منذ خطاه الأولى إلى أن استوى على سوقه .

وأشكر كل من كان له فضل المشورة أو المساعدة فجزاهم الله عني خير الجزاء.

الباحث

الفصل الأول :

النعوت الصريحة للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم

المبحث الأول : النعوت الوظيفيـــــة

المبحث الثاني : النعوت العباديـــــة

المبحث الثالث : النعوت الحاليـــــة

المبحث الرابع : النعوت الخصوصية

المبحث الخامس: النعوت الخُلُقيّـــة

المبحث السادس: النعوت الاجتماعية

المبحث السابع : النعوت الأخرى

الفصل الأول:

النعوت الصريحة للرسول محمدﷺ في القرآن الكريم

لقد ورد في القرآن الكريم جملة من النعوت الصريحة للرسول محمدﷺ ، أشارت إلى بعضها كتب الحديث والسيرة ، كصحيح مسلم والبخاري وبحار الأنوار والكافي ، والنهجة السوية وسبل الهدى والرشاد وغيرها من المصادر الأخرى التي نتناولها بالذكر في مواضعها .

ولا شكّ في أنّ أنصع بيان لها كان في القرآن الكريم إذ اعتنى النص القرآني بذكر نعوت متعددة للرسولﷺ ، ومن ثمّ آثرنا دراسة فئة منها أسميناها النعوت الصريحة ، ويُعنى بها النعوت التي وردت بلفظها في النص القرآني من دون حاجة إلى تأويلها .

فالصريح ((هو الذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل))[1] ، بل يكون ظاهراً وبارزاً [2] .

وقد لوحظ هذا المعنى في الألفاظ البارزة والظاهرة لنعوت الرسول ﷺ ، ويتّضح ذلك في المباحث التي درسنا فيها تلك النعوت .

---

(١) المصباح المنير ،الفيومي(صرح) : ٣٣٧ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ،ابن فارس(صرح) : ٣٤٧/٣ .

المبحث الأول :
النعوت الوظيفية

هناك دلالات وظيفية للنعت (المصطلح النحوي) في التراكيب التي يرد فيها ، وقد كشف الدكتور فاخر الياسري عن أهم دلالات النعت الوظيفية عند النحويين ، وقد ورد منها في التركيب القرآني ، أو التي لها وجود في التركيب القرآني ولم يرد ذكرها عند النحويين بشكل مفصّل[١]، وأوضح أنّ النعت هو بابٌ من أبواب النحو ووظيفته النحوية هي ما تُسمّى بالنعتية أو الوصفية ، كما يُقال : الفاعلية ويُعنى بها وظيفة الفاعل النحوية[٢] .

وتسمية نعوت الرسول ﷺ بالوظيفية لا يُعنى بها وظائفها النحوية ، فالنعت هنا أعمّ من المصطلح النحوي كما تبيّن ذلك في المقدّمة ، ومن ثمّ يعنى بالوظيفية المهام الملقاة على عاتق الرسول ﷺ ومسؤولياته التي تحمّلها لأداء الرسالة الإلهيّة، كالتبشير والإنذار والتذكير وما شابه من المهام التي تُلائمُ دوره الكبير في مواجهة الانحرافات ؛ لكونه مُصلحاً وناصحاً ومبلِّغاً وداعياً إلى الله تبارك وتعالى، وهي التي تستحقّ أن يُطلق عليها نعوت وظيفية للرسول ﷺ ، والجامع بينها هو حركته تجاه الأمة وما يترتب على ذلك من آثار ، ومن النعوت الوظيفية للرسول ﷺ ما يأتي :

---

(١) ينظر : النعت في التركيب القرآني ، د. فاخر الياسري : ١/٥٧-١٠٧ .

(٢) ينظر : المصدر السابق : ١/٥٨ .

(البشير والنذير ، والمبشِّر ،والمنذر)

البشارة تدلُّ على ظهور الشيء الحسن والجميل[١]، والإخبار بما يؤدّي إلى تغيّر في بشرة الوجه[٢] ، تقول : امرأة بشيرة ، أي حسنة المنظر[٣].

ومن المجاز قولهم : رجلٌ مؤدم مبشر[٤] دلالة على كماله[٥].

أمّا عن مواطن استعمالها فلا تستعمل البشارة في الشرّ إلاّ إذا كانت مقيّدة، وإذا بقيت على إطلاقها فلا تدلّ إلاّ على الخير[٦]، ومن هنا قال الزمخشري (٥٣٨هـ) : ((وتتابعت البشارات والبشائر))[٧] ،إذ أطلقها للدلالة على الخير، وهذا هو الغالب في استعمال البشير[٨].

ولم تفترق دلالة مادة (بشر) القرآنية عمّا ورد في المعجمات، إذ استعمل في مواضع التبشير بالخير عند إطلاقه، كما في قوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ [الزُّمَر:١٧-١٨] ، وفي مواضع التهكّم عند تقييده، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران:٢١] أي أنّ دلالته تُحدّد من ضمن السياق الذي ترد فيه ، فنرى أنّها وافقت الاستعمال اللغوي في دلالتها على الخير عند إطلاقها، ووافقت الأصل اللغوي في دلالتها على الحزن أو الفرح؛ لأنّ ((التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يُفيد السرور إلاّ انّه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثّر في تغيّر بشرة الوجه، ومعلوم أنّ

---

(١) ينظر : العين ،الخليل(بشر) : ٢٥٩/٦ ، ومعجم مقاييس اللغة (بشر) : ٢٥١/١ .
(٢) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (بشر) : ١٢٥ ، و مجمع البحرين ، الطريحي (بشر) : ٢٠٢/١ .
(٣) ينظر : العين (بشر) : ٢٥٩/٦ ، ومعجم مقاييس اللغة (بشر) : ٢٥١/١ .
(٤) ينظر : أساس البلاغة ، الزمخشري (بشر) : ٤٠/١ ، و الصحاح ، الجوهري (بشر) : ٥٩٠/٢.
(٥) ينظر : الصحاح (بشر) : ٥٩٠/٢.
(٦) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (بشر) : ٦١/٤ .
(٧) أساس البلاغة (بشر) : ٤٠/١ .
(٨) ينظر : تاج العروس (بشر) : ٨٥/٦ .

السرور كما يوجب تغيّر البشرة فكذلك الحزن يوجبُه))[١].

أمّا (النذير) فهو اسم من الإنذار ، دالٌ على الإخبار أو البلاغ ، ولا يكون إلاّ بما يُخيف ويُكرَه[٢]، ((يُقال : أنذرته أنذره إنذاراً ، فإذا أعلمته فأنا منذرٌ ونذيرٌ، أي مُعْلِمٌ ومخوّف ومحذّر))[٣].

ولم تبتعد دلالة (النذير) في الاستعمال القرآني عن دلالته في معجمات اللغة ، فدلّ على التهديد والتحذير، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحج:٤٩] .

وورد نعتا (البشير والمبشّر) للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم بلفظهما صريحين في أحد عشرَ موضعاً[٤] ، منها قولُهُ تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة:١١٩][٥] .

وورد نعتا (النذير والمنذر) للرسول في ثلاثين موضعاً[٦]، منها قوله تعالى : ﴿إِنْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [ص:٧٠][٧] .

ونلحظ اقتران (البشير والنذير) في مواضع وافتراق أحدهما عن الآخر في مواضع أخرى، ولكلٍّ دلالته كما سيتّضح ذلك من معالجة المواضع التي وردا فيها.

زيادة على ذلك الدور الكبير الذي ينعكس على المعنى من خلال الصيغة التي

---

(١) التفسير الكبير ، الرازي : ٥٤/٢٠ .

(٢) ينظر : لسان العرب (نذر) : ٢٠٢/٥ ، والتحرير والتنوير ، ابن عاشور : ٧٨/٨ .

(٣) لسان العرب (نذر) : ٢٠٣/٥ .

(٤) ينظر : المعجم الموسوعي ، أحمد مختار عمر (بشر) : ٩٤ ، ٥٣٤ .

(٥) وينظر الآيات الآتية : المائدة : ١٩،١٩ ؛ الأعراف : ١٨٨ ؛ هود :٢ ؛ سبأ : ٢٨ ؛ فاطر : ٢٤ ؛ الإسراء:١٠٥ ؛ الفرقان : ٥٦ ؛ الأحزاب : ٤٥ ؛ الفتح : ٨ .

(٦) ينظر : المعجم الموسوعي (نذر) : ٧٦٠ .

(٧) وينظر الآيات الآتية : المائدة: ١٩ ، ١٩ ؛ الأعراف: ١٨٤ ، ١٨٨ ؛ هود: ٢ ، ١٢ ؛ الحجر: ٨٩ ؛ الحج: الحج: ٤٩ ؛ العنكبوت: ٥٠ ؛ سبأ: ٢٨ ، ٤٦ ؛ فاطر: ٢٤ ، ٤٢ ؛ الأحقاف: ٩ ؛ الذاريات: ٥٠ ، ٥١ ؛ النجم: ٥٦ ؛ الملك : ٢٦ ؛ البقرة: ١١٩ ؛ الإسراء: ١٠٥ ؛ الفرقان: ١ ، ٧ ، ٥٦ ؛ الأحزاب:٤٥ ؛ ص:٤ ، ٦٥ ؛ الرعد: ٧ ؛ ق: ٢ ؛ النازعات :٤٥ .

ورد فيها هذان النعتان، فهما على وزن (فعيل)، وفي هذا الوزن دلالة على المبالغة؛ لأنّ (فعيلاً) من نعوت السجايا أو الغريزة[١] وهي صيغة دالة على الثبوت [٢]، فالنعت (البشير) صفة مشبّهة، وكذلك النعت (النذير) فهو مصدر قياسي يستعمل صفةً مشبّهةً[٣]، وفي هذا إيحاءٌ بصدور التبشير والإنذار أكثر من مرّة، وبثبوته تثبت وظيفة الرسول ﷺ التبشيرية والإنذارية، زيادة على ذلك نلحظ في هذه الصيغة تكثيفا دلاليا؛ لانفتاحها على معانٍ متعدّدة[٤].

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩]، نرى ملمحاً دلالياً في نعتي (البشير والنذير)، فهما يشيران إلى إثبات وظيفتي الرسولﷺ، وعدم تحميله مسؤولية كفر المعاندين الذين قابلوا ما جاءهم به من الحقّ بالعناد والصدّ فكانوا من أهل الجحيم[٥].

ومجيء النعتين متلازمين في هذا المقام يُفضي إلى بيان الحكمة من بعث الله تعالى رسوله الكريمﷺ بشيراً ونذيراً لقطع الحجج والأعذار التي يحاولون اللواذ بها[٦]، وهناك قرائن لفظية توكيدية دالّة على إثبات الوظيفتين التبشير والإنذار ، وتثبيت الرسول بأدائهما [٧]، فتُلقي بظلالها على صاحب الرسالة وتخاطبه بأنّه مبشّرٌ مبشّرٌ بالحقِّ ومنذرٌ به[٨].

ويرسم لنا التلازم بين النعتين السابقين صورة واضحة عن حال الذين يقفون في الطرف الآخر من دعوة الرسولﷺ ومقدار ما يحمل هؤلاءِ من جهل وعناد، ((فلا جهل أعظم من جهلِ من استفرغ جهده في إيذاء شخص استفرغ جهده في

---

(١) ينظر : تفسير البحر المحيط ، أبو حيّان الأندلسي : ٥٣٨/١ ، وشرح ابن عقيل : ١٣٠/٤.
(٢) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب ،الزمخشري:٢٩٣ .
(٣) ينظر : الجدول في إعراب القرآن ، محمود صافي عبد الرحيم : ٢٤٩/١ .
(٤) ينظر : أسرار البيان في التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي : ١٠٧ .
(٥) ينظر : جامع البيان ، الطبري : ٧١٩/١ ، وتفسير السمعاني : ١٣٢/١ ، والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي: ٩/٢.
(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٤/١٤ .
(٧) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٨/١ .
(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٣٣/٤ .

إصلاح مهامّه ديناً ودنيا))[١].

زيادة على ذلك نلمح من السياق الذي ورد فيه هذان النعتان متلازمين صرامةً تُوحي بيقينيّة الدور الملقى على عاتق الرسولﷺ[٢] فهو مرسلٌ لتبشير المؤمنين المطيعين بالجنّة، وإنذار العاصين الظالمين بالنار وتخويفهم [٣].

وذهبت طائفة من المفسرين إلى أنّ نعتي (البشير والنذير) للرسولﷺ فيهما دلالة على التسلية له، فهما لدفع الهمّ والغم الذي يصيبه؛ بسبب إصرارهم على الكفر والمكابرة في تقبّل الحق[٤]، فيما يرى السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى:﴿وَمَآ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٦] أنّ الآية بيانٌ للرسالة، فمن وظائف رسول الله ﷺ التبشير والإنذار، والقول أنّها للتسلية هو قولٌ غير سديد[٥] .

ولم يقتصر تلازم النعتين في أغلب المواضع التي وردت في القرآن الكريم على صيغة واحدة، وهي صيغة (فعيل) ، بل نجد تفاوتاً بين الصيغتين ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٦] ، فالنعت (نذير) صيغة مبالغة في حين أنّ (مبشراً) اسم فاعل ليس غيرُ، وفي هذا التفاوت في التعبير دلالة على أنّ الرسول ﷺ كان في مواجهة فئة لا إيمان لها، وكان لها إصرارٌ بالغٌ على الانحراف، لذا نرى المبالغة في إنذارها[٦]، وهذا ما يفسر نعت (نذير) للرسول ﷺ في القرآن الكريم أكثر من نعته بـــ(البشير)[٧].

---

(١) التفسير الكبير : ١٠١/٢٤ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٨١/١ .

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٧٥/١ ، وتفسير القمّي : ٢٦١/٢ ، وتفسير بحر العلوم ،السمرقندي : ٨٥/٣ ، وتفسير وتفسير ابن زمنين: ١٧٤/١ ، وحقائق التفسير، السلمي: ٢١٥/٢ ، والتبيان في تفسير القرآن ، الطوسي: ٣٦٩/٨ ، وجوامع الجامع، الطبرسي:٢٥٨/٣ .

(٤) ينظر: التفسير الكبير : ٣٣/٤ ، والجامع لأحكام القرآن:٩٢/٢، وتفسير القرآن الكريم ، عبد الله شبّر: ٥٧ .

(٥) ينظر : الميزان ، الطباطبائي : ٢٣٠/١٥ .

(٦) ينظر : روح المعاني ، الالوسي : ٣٧/١٩ .

(٧) ينظر : هامش ٤،و٦ في ص(٤) من هذه الرسالة .

وتقديم التبشير على الإنذار في أغلب المواضع التي وَرد فيها النعتان مجتمعين كاشفٌ عن الرحمة المتقدّمة على الغضب[١] .

والسياق هو الذي يحدّد أيّهما يستحق التقديم أو التأخير، ففي الآية ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]، اقتضى المقام تقديم النعت (النذير) على النعت (البشير)؛ ((لأنّ المقام في خطاب المكذّبين المشركين فالنذارة أعلق بهم من البشارة))[٢].

ويختلف التلازم بين هذين النعتين لأمرين :

الأمر الأول : دلالة أحدهما على الآخر ، فيُحذف أحدهما ويُكتفى بالآخر للدلالة عليه، كما اكتُفي بذكر النعت (نذير) من دون ذكر النعت (بشير) في قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤] ؛ لأنّ النذارة مشفوعة بالبشارة في أول الآية ، فدلّ ذكرُ النذارة فقط في ذيل الآية على ذكر البشارة، ومن ثم فقد حُذفت البشارة للدلالة عليه[٣] .

الأمر الثاني : المناسبة، وذلك عندما يكون المقامُ مقام تهديد ووعيد، فعندئذٍ يقتضي ذكر النعت (النذير) من دون ذكر (البشير) لمناسبة المقام ، زيادة على التلازم الذهني الذي يدفع السامع إلى أن يخطر بذهنه البشارة عند ذكر النذارة[٤].

والاستعمال القرآني لهذين النعتين يكشف عن وظيفة الرسولﷺ التي تحملُ في طياتها دلالة على ما كان يتمتّع به من لياقةٍ واستعداد وطهارة روحيّة لتقبّل الآيات وبيان الأحكام وتوضيح الحقائق[٥]،وإنَّ الاستعمال القرآني يكشف عن دلالة الجزاء وهي الترغيب والترهيب (بشيراً ونذيراً)[٦]، بما يوافق أصلين من الأصول

---

(١) ينظر : الأمثل ، الشيرازي : ٣٥٨/١.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠٩/٩ .

(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٢٩٥/٧ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٣١٧/١٨.

(٥) ينظر : الأمثل : ٣٥٦/١ .

(٦) ينظر : الآيات القرآنية المتعلّقة بالرسول محمد ﷺ ، دراسة بلاغيّة وأسلوبية (أطروحة دكتوراه) عدنان جاسم محمد : ٢١٤ .

اللازمة لتربية الإنسان وللحركة الاجتماعية، وهما التشجيع والتهديد[١]، إذ لا يمكن لمخلوق يتجاذبه كل من الخوف والرجاء أن يُربَّى على وفق بُعد واحد، وعلى هذا فالبشارة والنذارة فيهما دلالة على مقامين من مقامات الرسالة مقابل ما عند الإنسان من غريزتين تحركانه هما غريزتا النفع ودفع الضرر[٢].

(الشاهد والشهيد)

نعتا الشاهد والشهيد من النعوت التي وردت للرسول**ﷺ** في القرآن الكريم، فقد ورد ذكرهما بلفظهما في ثمانية موارد في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦] ، وقوله تعالى : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨][٣] .

والشاهد لغةً هو من شهد الشيء، أي اطّلع عليه وعاينه[٤]، والشهادة هي الخبر القاطع الذي يقتضي العلم بالمشهود[٥]، يُقال : ((شهد فلانٌ بحقّ فلان شهادةً فهو شاهدٌ وشهيد))[٦]، فأحدُ لوازمها العلم، ولا تصحّ إلاّ معه، لكنّها أخصّ منه؛ لأنّها علم بوجود الأشياء من قبل ذاتها لا من قبل غيرها[٧]، فتحصل في الأمور المحسوسة والمعقولة والمعارف الروحانيّة[٨].

---

(١) ينظر : الأمثل : ٣٥٧/١ .

(٢) ينظر : المصدر السابق : ٤٥١/١٣ .

(٣) وينظر : البقرة :١٤٣ ؛ النساء: ٤١ ؛ النحل: ٨٩ ؛ الأحقاف :٨ ؛ الفتح: ٨ ؛ المزّمل: ١٥ .

(٤) ينظر :لسان العرب (شهد) :٢٤٠/٣ ،والمصباح المنير (شهد) : ٣٢٤ ، ، والكليات، الكفوي : ٨٣١-٨٣٢. ٨٣٢.

(٥) ينظر : الصحاح ،(شهد) : ٤٩٤/٢ .

(٦) المحيط في اللغة ، الصاحب بن عباد (شهد) : ٢٨٧/١ .

(٧) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ٣٠٥ .

(٨) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن ، مصطفوي (شهد) : ١٣٠/٣ .

وعند إنعام النظر في دلالة كل من الشاهد والشهيد ندركُ أنّ هناك فروقاً دقيقة بين دلالتيهما، يستتبعهما فروق في موارد استعمال كلٍّ منهما، فالشاهد اسم فاعل من الشهود[١]، ويدلّ على قيام المعنى بالذات من جهة الحدوث، ومن يتحمّل الشهادة يكون شاهداً بوصف حدوث تحمّله[٢].

أمّا الشهيد فهو (فعيل)، ويدلُّ على ثبوت المعنى والاستقرار في الذات، ويحصل هذا في من يثبت تحمّله للشهادة زمانين أو أكثر[٣].

وإطلاق صفة الشاهد عليه بعد تحمّله هي تسمية الشيء بما كان عليه من باب المجاز، وهي حالة مماثلة لإطلاق صفة الشهيد قبل أن يتحمّل أحدهم الشهادة لمدّة زمنية طويلة فهي من باب المجاز أيضاً[٤].

ومن ثَمَّ نلحظ أنّ (الشاهد) يُستعمل في موارد يكون فيها النظر إلى مجرّد الحدوث، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفتح:٨]، في حين يُستعمل (الشهيد) في موارد يكون فيها النظر إلى جهة الثبوت والاستقرار كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧].

ولم تخالف الدلالة القرآنية لنعتي (الشاهد) و (الشهيد) للرسولﷺ دلالتهما في معجمات اللغة إلاّ في البعد العميق في هذين النعتين ، وهو الاطّلاع المطلق زماناً ومكاناً ، وسيتبيّن ذلك عند معالجة بعض مواطن النعتين في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفتح:٨]، ،إذ نلمسُ خطاباً إلهياً موجّهاً للرسول ﷺ فيه تبيان لوظيفة من وظائفه أنّه (شاهد) على هذه الأمة بتزكيته لها[٥]، وتبليغ الشريعة[٦]، وبيان الحقِّ في الدنيا[١].

---

(١) ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، الحميري : ٣٥٦٣/٦ .
(٢) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ٢٩٢ .
(٣) ينظر : المصدر السابق .
(٤) ينظر : مجمع البحرين (شهد) : ٧٩/٣-٨٠ .
(٥) ينظر : محمد في القرآن والقرآن في محمد ، اليزدي : ١٧١ .
(٦) ينظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي : ٨٦٨/٢.

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥] ، فقد ورد النعت (شاهداً) للرسول ﷺ في الآية السابقة مسبوقاً بالفعل الماضي (أرسل) الدال على ثبوت نعت الرسالة له ، ومتبوعاً بنعوت أخرى ، فنلمس من اقتران الإرسال مع النعت (الشاهد) دلالة على أنّ أهم وظيفة من وظائف الرسالة هي كون الرسول شاهداً، وتقديمه على بقية النعوت في هذا المورد كاشفٌ عن مقامات النبوّة؛ وذلك بأنّ المقامات الأخرى وهي مقام (البشارة) ومقام (الإنذار) مترتبة على مقام الشهادة فكان ذكرُهُ أسبق(٢).

وقد كشفت الآيات القرآنية التي ورد فيها النعت (الشهيد) للرسولﷺ عن دلالة مهمّة تُجلّي كمال نورانيته وروحانيته ، زيادةً على ذلك تنزّهه عن تعلّقات النفس بالدنيا والتوجّه الخالص إلى الله المتعالي(٣).

ويشع من النعت (الشهيد) للرسول ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء:٤١] ، شهادةٌ أدائيةٌ له ﷺ مترتبة على شهادته التحمّلية(٤)، يشاركه في هذه الوظيفة شهداء الأمم من الأنبياء عليهم السلام، فهم يشهدون شهادةً أدائية لحضورهم في أممهم وتحمّلهم الشهادة، كما في شهادة النبي عيسى (8) في قوله تعالى :﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧].

أمّا نعت (الشهيد) في ذيل الآية الأولى(٥) يعكسُ لنا مقاماً من مقامات الرسول ﷺ الأخروية، وهو مقام (وجئنا بك على هؤلاءِ شهيداً)، أي شهادته على شهادة الأنبياء(٦)، فأثبت هذا النعت مقاماً للرسول ﷺ لم يثبت لغيره(٧)، ولم يدرك حقيقته

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٨٣/٣٠ .

(٢) ينظر : البقرة :١٤٣ ؛ النساء: ٤١ ؛ النحل: ٨٩ ؛ الحج: ٧٨ ؛ الأحقاف :٨ .

(٣) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(شهد) : ١٣٥/٦ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ١١٤/٤ ، ٢١٦/٢٥، والتحرير والتنوير : ١٥٥/٢٦ .

(٥) النساء : ٤١ .

(٦) ينظر : محمد في القرآن والقرآن في محمد : ١٧٢ .

(٧) ينظر : أنوار النبيﷺ أسرارها وأنواعها ، عبد الحق بن سبعين : ١٨٠ .

أحد[١]، وهذا هو البعد العميق في دلالة شهادة الرسولﷺ، الذي فيه إشارة إلى حضوره ﷺ في جميع الأعصار والأمم، وتحمّله لما وقع معهم ليؤدّي شهادته[٢]، ويؤكد هذه الدلالة حديث الرسول ﷺ : ((كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين))[٣] .

ونلمح الأمر نفسه في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة:١٤٣]، إلاّ أنّ تأخير الصلة (على الناس) عن الشهادة الأولى ، وتقديم الصلة (عليكم) على الشهادة الثانية يحقق غرضاً دقيقاً يتعلّق بإثبات الشهادة للأمة من جانب واختصاصهم بشهادة الرسول ﷺ عليهم من جانب آخر[٤].

ولا يخفى ما في التقديم والتأخير من أثر دلالي، كالاهتمام بالمقدّم والعناية بشأنه[٥]، وفي الآية السابقة قُدِّمت شهادة الأمّة على شهادة الرسولﷺ بما يناسب صدر الآية المباركة،فقد صدّرت بالثناء على الأمّة، يتّضح ذلك جليّاً في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، فكان ذكرُ شهادة الأمّة أهم[٦].

أمّا في قوله تعالى : ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج:٧٨] فكان الأمرُ مغايراً، إذ قُدّم النعت (شهيدا) للرسول ﷺ على شهادة الأمة (شهداء على الناس) ؛ لأنّ الآية في ((مقام التنويه بالدين الذي جاء به الرسول ﷺ فالرسول هنا أسبق إلى الحضور فكان ذكرُ شهادته أهم))[٧].

وقد عرفنا أنّ الشهادة تتطلّب الحضور مع المشاهدة إمّا بالبصر أو بالبصيرة[٨]،

---

(١) ينظر : محمد في القرآن والقرآن في محمد : ١٧٢ .

(٢) ينظر : المصدر السابق .

(٣) ينظر : كتاب السنة ، عمرو بن أبي عاصم: ١٧٩ ، والاستيعاب ، ابن عبد البر: ١٤٨٨/٤ ، ومناقب آل أبي طالب ، ، ابن شهر آشوب: ٢٢٠/١ ، وكنز العمّال ، المتقي الهندي: ٤٥٠/١١ ، وبحار الأنوار ، المجلسي: ٢٧٨/١٨ .

(٤) ينظر: مفتاح العلوم ، السكاكي: ١١٢ ، والتعبير الفني في القرآن الكريم ، بكري شيخ أمين: ١٩٥.

(٥) ينظر : الكتاب ، سيبويه : ٣٤/١ ، ودلائل الإعجاز ، الجرجاني : ٩٧ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٥٢/١٧ .

(٧)التحرير والتنوير : ٣٥٢/١٧ .

بالبصيرة[١]، أي أنّه يمكن النظر إلى الشهادة بلحاظين :

اللحاظ الأول : حال تحمّل الرسولﷺ الشهادة ، فتكون حالاً واقعيّة، واللحاظ الثاني: حال أداء الشهادة فتكون حالاً مستقبليّة[٢]، والحضور وحده غيرُ كافٍ في تحمّل الشهادة أو أدائها؛ لأنّه لا يقتضي العلم فترتّب على ذلك أنه يكون الشاهد للشيء عالماً به[٣]، وثبت في القرآن الكريم شهادة الرسولﷺ على جميع الأمّة من من رآه ومن لم يره[٤]، ولو كان غيرَ حاضرٍ وقائعهم وأفعالهم، لإمكان تحقق علم الرسولﷺ بأعمالهم عن طريق عرض أعمال الأمّة عليه [٥]، كما في قوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥] .

ومن ثمّ ندرك أنّ دلالة نعتي (الشاهد) و (الشهيد) للرسولﷺ في النص القرآني أكثر عمقاً ودقّةً من دلالتهما اللغوية، إذ لا تقتصر على ظاهر الأعمال، ولو كانت كذلك فلا يتمكّن الرسولﷺ من أن يؤدّي وظيفته على أتم وجه؛ لأنّ الأعمال لها ظاهر وباطن، وربّما يكون ظاهرها أنيقاً وباطنها فاسداً، فلا يمكن الشهادة على البواطن بمجرّد الحضور عند المشهود عليه، ممّا يدفع إلى فهم دلالة شهادة الرسولﷺ بأنّها قدرة غيبية يطلّع من خلالها على ظواهر أعمال العباد وعلى بواطنها، وهذه القدرة مستلهمة من قدرة الله سبحانه وتعالى[٦].

ومن خلال آيات الشهادة التي تخص الرسولﷺ نستوحي أبعاداً أخرى لدلالات انبثقت من نعتي (الشاهد) و (الشهيد) له ﷺ ، فهناك بُعدٌ تداولي يتجلى بدلالتهما على التأنيس للرسول ﷺ والتكريم له[٧]، ونستشفُّ بعداً آخر وهو البعد الأخلاقي التربوي الذي يشعر بالحاجة إلى الانضباط في الدنيا في ممارسات الإنسان

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (شهد) : ٤٦٥ .
(٢) ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي: ٥/٢٥٠ .
(٣) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ٢٩١ .
(٤) ينظر : معالم التنزيل ، البغوي : ١/٤٢٩ .
(٥) ينظر : الأمثل : ١٣/٢٩٦-٢٩٧ .
(٦) ينظر : الأقسام في القرآن ، جعفر سبحاني : ٥٤-٥٥ .
(٧) ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٤/٣٥١ .

كلّها، وعندئذٍ يتعمّق الإحساس الداخلي بالرقابة الملازمة له[١]، فتكون شهادة الرسول ﷺ ((قاعدة للحكم على الأمم من خلال أنهم داخلون ضمن مسؤولياته التي منحه الله الثقة في القيام بها بكلِّ أمانة وصدق))[٢].

(العامل)

نُعت الرسول ﷺ بالعامل، إذ ورد في القرآن الكريم بلفظه مفرداً (عامل) في موضعين وذلك في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ [الأنعام:١٣٥]، و [الزُّمَر:٣٩]، وقد ورد بصيغة الجمع في مورد واحد في قوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ [هود:١٢١] .

والعامل في اللغة مشتق من (عمل) التي تدلّ على كلِّ فِعل يُفْعَلُ[٣] ، قال الخليل: ((عمل عملاً فهو عامل))[٤]، فالعامل هو الذي يوجد أثراً في الشيء الذي يعمله، كأن يعمل الطين خزفاً[٥]، وقيل : إنّ الفاعل هو العامل وجمعُهُ عمّال وعاملون[٦].

وانتقاء التعبير القرآني نعت (العامل) بدلاً من (الفاعل) يشير إلى أنّ (العامل) يشتمل على دلالة دقيقة يفترق بها عن دلالة (الفاعل) ؛ ذلك أنّ العمل مصحوب بالفكر والرويّة مما يجعله مقترناً بالعلم، ومن طريف ما ذكر أنّ العمل قُلِبَ لفظُه

---

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن ، السيد فضل الله : ٥٤/٣ .
(٢) المصدر السابق : ٥٤/٣.
(٣) ينظر : النهاية في غريب الحيث والأثر،ابن الأثير : ٣٠٠/٣ ، و لسان العرب (عمل) : ٤٧٤/١١ ، والكليات : ٦١٦
(٤) العين (عمل) : ١٥٣/٢ .
(٥) ينظر :معجم الفروق اللغوية : ٣٧٧ .
(٦) ينظر : المصباح المنير (عمل) : ٤٣٠ .

عن لفظ العلم ؛ للتنبيه على أنّ العلم من مقتضى العمل[١]، أمّا الفاعل فمأخوذ من الفعل الذي يشمل كلّ حدث من عمل وغيره، فالفعل أعم من العمل[٢]، إذ يمكن أن يُنسب إلى الحيوان أو الجماد الذي يقع منهما الفعل بلا قصد، وقلّما يُنسب العمل إلى ذلك[٣].

وإطلاق تسمية الفعل أو العمل تابعٌ لجهة اللحاظ، فبلحاظ صدور العمل من الفاعل ونسبته إليه يُسمّى فعلاً، وبلحاظ وقوعه في الخارج يُسمّى عملاً[٤].

ولم تفترق دلالة النعت (العامل) للرسول ﷺ في التعبير القرآني عن دلالته في معاجم اللغة، فكانت جميعُ أفعاله مصحوبةً بالقصد، بل وأعلى من ذلك فقد اشتمل عمله على اليقين النابع من علمه.

ففي قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٥]، نلمسُ من النعت (العامل) حالة التحدّي عند الرسول ﷺ الكاشفة عن عقيدته اليقينية الراسخة التي لا يدخلها شك، فقد خوطب قومه بصيغة فعل الأمر (اعملوا)، لبيان شدة التحذير[٥]، والمبالغة في وعيدهم[٦] ولم يكن المراد من الفعل (اعملوا) العمل الحقيقي، بل يكشف السياق عن التهديد التعجيزي لهم، أي اصنعوا ما تشاؤون في الدنيا، وبما يوافق رغباتكم، وأنا أصنع ما يأمرني به ربّي[٧]، كما يكشف النعت (العامل) عن خصائص الثبات والإصرار في قيام الرسول بوظيفته الرساليّة، فيقول لهم : اثبتوا على حالتكم التي أنتم عليها، وأثبت على حالتي التي أنا عليها، وحالتهم كانت الكفر وحالة الرسول ﷺ الإسلام، وفرقٌ بين الثباتين فهم يثبتون على الكفر

---

(١) ينظر : الكليات : ٩٧٥ .
(٢) ينظر : الكليات : ٦١٦ .
(٣) ينظر : التوقيف على مهمّات التعاريف ، المناوي : ٢٤٧ .
(٤) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن (فعل) : ١١٦/٩ .
(٥) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٢٨٢/٤ ، وجوامع الجامع : ٤١١/١ .
(٦) ينظر : التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ١٥٩/٢ .
(٧) ينظر : الجديد في تفسير القرآن ، السبزواري : ٩٥/٣ .

والعناد والرسول يثبت على الإسلام[١] ، فقد ورد النعت على صيغة اسم الفاعل .

ويُبرز النعت في الآية السابقة الثقة الكاملة عند الرسولﷺ التي تنبع من طمأنينة قلبه بمدد الخالق ونصرته مما هيّأ له عنصر المواجهة والتحدي (اعملوا) مقابل (إني عامل)[٢].

لقد كشف عنصر المواجهة والمقابلة تفاوتاً بين العامِلين، فعملهم في الطرف الأول كان على مكانتهم، أي بأقصى تمكّنهم واستطاعتهم[٣]، بعدما يئس منهم، في حين كان عمل الرسول ﷺ في الطرف المقابل مطلقاً، أي من دون أن يُقيّد بمتعلّق كما هي الحال في عملهم، وإطلاق العمل يلائم مرتبة الرسول ﷺ من الإسلام ومصابرته[٤].

إنّ انفتاح النعت (العامل) فيه دلالة على استمرارية عمل الرسولﷺ ومدى إصراره على بذل ما عنده من طاقة وجهد في سبيل إيصال الحقيقة[٥]، فهو ((مقيمٌ على ما أنعم الله تعالى عليه من الإيمان والدعوة إلى التوحيد))[٦]، كما يُوحي هذا الانفتاح إلى عدم توقفه عن أداء مهامّه، وعدم الاستسلام والضعف والوهن أمام ممارسات قومه[٧]، بل يكشف هذا النعت عن حالة الاتصاف بالعمل الحقيقي (إنّي عامل) غير المنقطع فقد ((كان عملُه ديمةً وأيّكم يطيق ما كان رسول اللهﷺ يطيق))[٨].

ويؤكد هذه الدلالات قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [الزُّمَر: ٣٩-٤٠] فقد أشعر النعت (العامل) هنا بعدم توقّف الرسولﷺ عن الاستمرار بعمله،

---

(١) ينظر : الكشّاف ، الزمخشري : ٥٢/٢ .
(٢) ينظر : الكشّاف : ٢٨٩/٢ .
(٣) ينظر : كنز الدقائق ، المشهدي : ٤٥١/٤ .
(٤) ينظر : مقتنيات الدرر ، الطهراني : ٢٦٨/٤ .
(٥) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي : ٤٠٢/٨ .
(٦) الميزان في تفسير القرآن : ٣٥٧/٧ .
(٧) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٥١/٩ .
(٨) صحيح البخاري : ٧٠١/٢ ، وصحيح مسلم : ١٨٩/٢ .

زيادة على ذلك الوثوق بنتيجة العمل وهي النصر عليهم في الدارين[١].

وفي قوله تعالى:﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [هود:١٢١] ورد فعل الأمر (اعملوا) على نحو التهديد والتنديد[٢]، فلا يراد بهذه الصيغة طلب إيجاد العمل[٣]، بل هو قطع لهذه الخصومة[٤]، فقد كشف النعت عن الصراع القائم بين الحقّ والباطل ، وهذا من السنن الإلهية، ولابدّ من أن تكون خاتمة هذا الصراع لصالح المؤمنين بإذن الله تعالى[٥].

(المُذَكِّر)

الذّكرُ : الحفظُ وعدم النسيان[٦]، والتذكير : الوعظ[٧].

وورد نعت (المذكِّر) للرسولﷺ بلفظه في موطن واحد في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١]، فالمعنيّ بهذا الخطاب هو الرسول محمدﷺ[٨] .

ولم تبتعد دلالة النعت (المذكِّر) للرسولﷺ في التعبير القرآني عن دلالته في معاجم اللغة ، إذ دلّ على رفع حالة النسيان ، وإثارة ما هو مرتكز في فطرة الإنسان عن طريق الوعظ والتبليغ ، فهناك شيء مركوز في فطرة القوم الذين أُرسل إليهم ، ووظيفته القيام بتجلية الغبار عن هذه الفطرة بالتذكير ليكون عملُهُ مكمّلاً

(١) ينظر : كنز الدقائق : ٣٠٧/١١ ، و من هدى القرآن ، محمد تقي المدرسي : ٤٩١/١١ .
(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٨٨/٦ ، والميزان : ٢٨٣/١٧ .
(٣) ينظر : الأمثل : ٩٧/٧ .
(٤) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٧٦/١١ .
(٥) ينظر : من هدى القرآن : ١٥٠/٥ .
(٦) ينظر : العين (ذكر) : ٣٤٦/٥ ، ولسان العرب (ذكر) : ٣٠٨/٤ .
(٧) ينظر : تاج العروس (ذكر) : ٤٤٣/٦ .
(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي : ٣٧/٢٠ .

لموجبات الفطرة[١].

ولم تختص وظيفة التذكير بالرسول ﷺ، بل شاركه في ذلك الرسل ﷺ جميعهم إذ قاموا بأداء هذه الوظيفة، نلحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم:٥][٢]، ولكنّ الرسول ﷺ امتاز عن باقي الرسل ﷺ بكثرة ألفاظ التذكير التي نُسبت إليه في القرآن الكريم[٣]، ممّا يدلّ على أنّ التذكير أبلغ تحديدٍ لوظيفة الرسول ﷺ[٤].

وهذه الألفاظ وإن لم تكن صريحةً إلاّ أنّها وردت في مواطن متعددة بصيغة الفعل (ذكّر) مشتملةً على الوسائل التي يستعين بها في تذكيره، ومنها القرآن الكريم[٥]، كما في خطاب الله تعالى له:﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[ق:٤٥].

ولم يُسند النعت (المذكّر) في القرآن الكريم لنبيٍّ من الأنبياء ﷺ بهذه التوكيدات التي أسند فيها لرسوله ﷺ في قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١] ، فقد تقدّم التركيب الفعلي (فذكّر) على التركيب الاسمي (أنت مذكّر)، وفعلُ الأمر يدلُّ على الحركة والانطلاق[٦]، ممّا يؤكد استمرار الرسول ﷺ في القيام بهذه الوظيفة، وأنّ تذكيره مستمرٌ لا يفتر في آن من الآنات.

إنّ إطلاق النعت (المذكّر) فيه دلالة على عدم التقييد بتذكير فئة من دون فئة

---

(١) ينظر : شفاء العليل ، ابن القيم : ١-٣ ، ومفتاح السعادة ، ابن القيّم : ٢٨٠/١ .

(٢) وينظر الآيات الآتية : المائدة : ١١٠ ؛ ، يونس : ٧١ ؛ ص : ٤٦ .

(٣) ينظر : النسيان والذكر في القرآن الكريم (دراسة لغوية) ، د. السيد رزق الطويل ، مجلة البحوث الإسلامية الإسلامية ع١٣ : ص١٦٣ .

(٤) ينظر:التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية:٥٥٧/٧،والبصائر في تفسير القرآن،ريستكار جويباري:٤٦/٥٥ .

.

(٥) ينظر : النسيان والذكر في القرآن الكريم : ١٦٣ .

(٦) ينظر : تقنيات المنهج في سورة يوسف (ع) ، د. حسن عبد الهادي الدجيلي : ١١٥ .

أخرى، فوظيفة الرسول ﷺ تذكير البشر جميعهم، مؤمنهم ومعاندهم[١].

ومن ثَمَّ فالسياق الذي ورد فيه هذا النعت يفتح الباب واسعاً أمام الذين أُمِرَ الرسولﷺ بتذكيرهم، فهم في حريّة لا مثيل لها، تتمثّل بعرض الحقائق عليهم، وترك المساحة مفتوحة لهم ليكون إسلامهم عن قناعة ويقين، فلا مدخليّة للقهر في ذلك[٢].

فنلحظ حالة الأُنس والطمأنينة على صدر الرسولﷺ قد تجلّت في الخطاب القرآني ؛ لأنّ وظيفة الرسولﷺ هنا تذكيرية، فلا تلحقه تبعات عدم استجابتهم أو هدايتهم لذلك[٣].

ونلمس في النعت (المذكّر) تكثيفا دلاليا ، إذ لا يدلّ التذكير على الإخبار بشيءٍ فقط، بل هو طريق للعلم بالأمور المهمّة من جهة، والرفق والرأفة في أداء هذه الوظيفة من جهة أخرى، زيادة على ذلك ما يشير إليه هذا النعت من مقابلة التذكير بالنعم والأفضال الإلهية بالطاعة والشكر له تعالى[٤].

ويمكن لنا أن ندرك الأثر الكبير الذي تحدثه الصيغة في دلالة الكلمات، فالنعت (المذكّر) اسم فاعل على وزن (مفعِّل) الدالّ على الحدّة والشدّة الزائدة ؛ لذا استُعمل في موارد التذكّر والتفكّر والتوجّه الزائد والشديد[٥]؛ ليحدث أثره في هزّ الأسماع والنفاذ إلى العقول، وتحريك ما يتناسب مع الفطرة والمشاعر الإنسانية[٦]، فهنالك قرائن سياقية رسمت صور إبداع الخلق الإلهي، ممّا يدعو إلى التفكّر في مخلوقات الله تعالى[٧]، وتدفع صاحب النظر الدقيق إلى الاهتداء إلى وحدانية الله سبحانه[٨].

---

(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٣٣٩/١٠ .

(٢) ينظر : حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة ، د. أحمد الريسوني وزميلاه ، سلسلة كتاب الأمّة ع٨٧ ، ص٦٢ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢٤٨/٤ ، والتحرير والتنوير : ٣٠٦/٣٠

(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٣٣٨/١٠ .

(٥) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(ذكر) : ٣٢٠/٣ .

(٦) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٦٤/٢٤ .

(٧) ينظر : رياض الصالحين ، النووي :١٠٥ .

(٨) ينظر : أضواء البيان ، الشنقيطي : ٥١٨/٨-٥١٩ .

(الرسول)

الرسول : المُرسَل[١]، ويستوي فيه المذكّر والمؤنث والواحد والجمع[٢]، وهو المبلِّغُ أخبارَ من يبعثه[٣]. ورسولُ الله : المتابعُ للإخبار عن الله سبحانه وتعالى، ويأتي الرسول بمعنى الرسالة[٤]، قال كُثَيِّر عزّة[٥] :

لقد كَذِب الواشون ما بُحتُ عندهم بسرٍّ ولا أرسلتُهم برسول

والرسول أخص من النبيّ ، فكلّ رسول نبيّ وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً [٦] ، وقيل : : لا فرق بينهما [٧] ، لمخاطبة الله تعالى رسوله محمداًﷺ بالنعتين كليهما (الرسول والنبي)[٨] .

ولم تختلف دلالة النعت (الرسول) القرآنية عن دلالته في معاجم اللغة،إذ دلّ هذا النعت على القيام بوظيفة التبليغ.

وورد ذكرُهُ نعتاً صريحاً للرسول محمدﷺ في مواضع كثيرة في القرآن الكريم[٩]، ويُنعت بالرسولﷺ وحده؛ لاستغراق هذا النعت واتّساعه لكل خصائص

---

(١) ينظر : القاموس المحيط (رسل) ، الفيروز آبادي : ٣٩٥/٣ ، والمعجم الوسيط (رسل) : ٧١٥/١.

(٢) ينظر : المعجم الوسيط (رسل) : ٧١٥/١.

(٣) ينظر : تهذيب اللغة (رسل) ، الأزهري : ٣٩١/١٢-٣٩٢ .

(٤) ينظر : لسان العرب (رسل) : ١٤٢/٤-١٤٣.

(٥) ديوانه : ١٢٩-١٣٠ ، وينظر : لسان العرب (رسل) : ٢٨١/١١ ، وذكر بالروايتين (بسرٍّ) و (بليلى) .

(٦) ينظر : التعريفات : ١٤٨، ٣٠٧ .

(٧) ينظر :معجم الفروق اللغوية : ٥٣١ .

(٨) ينظر : التعريفات : ٣٦ .

(٩) منها الآيات الآتية : البقرة : ١٠٨، ١٤٣، ١٥١، ٢٧٩، ٢٨٥؛ آل عمران : ٣٠، ٨٦، ١٠١، ١٣٢، ١٤٤، ١٥٣، ١٦٤، ١٧٢ ؛ النساء : ٤٢ ،٥٩ ،٦١ ،٦٤ ،٧٩ ،٨٠ ،٨٣ ،١٠٠ ،١٣٦ ،١٧٠ ؛ المائدة : ١٥ ،١٩ ،٤١ ،٥٥-٥٦ ،٦٧ ،٨٣ ،٩٢ ،١٠٤ ؛ الأعراف : ١٥٧-١٥٨ ؛ الأنفال : ١ ،١٣ ،٢٠ ،٢٤

خصائص بشرية المُرْسَل[1]، كما في قوله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ...﴾ [البقرة:٢٨٥]، فجاء الخطاب الإلهي له بهذا النعت في الوظائف التي كُلِّف بتبليغها من أمرٍ ونهيٍ، وكذلك استعمل هذا النعت في خطاب الناس وأمرهم باتّباع صاحب هذا النعت وهو الرسول ﷺ [2]، كما في قوله تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

وتتجلى دلالات النعت (الرسول) من خلال السياقات المتعددة التي ورد فيها، أحدها : وقوع هذا النعت في سياق النداء، فقد نُودي الرسول ﷺ بهذا النعت في موضعين، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ...﴾ [المائدة:٤١]؛ لبيان منزلته الرفيعة وعلّو مقامه[3]،فالخطاب في الآية السابقة يبعث القوة في قلب الرسول ﷺ ، ويؤدّي إلى طرد الحزن والألم منه في قبال ما كان يفعله المنافقون ، ولاسيّما بعد الخطاب الإلهي المشتمل على إثبات عنوان (الرسول) له .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧]،

٢٧، ٤١، ٤٦ ؛ التوبة : ١ ، ٣، ٧، ١٦، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٣، ٥٤، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٧١، ٧٤، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٠، ١٢٨ ؛ الإسراء : ٩٣ ؛ الحج : ٧٨ ؛ النور : ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٣ ؛ الفرقان : ٧، ٢٧، ٣٠ ؛ الأحزاب : ٢١، ٢٢، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٦، ٤٠، ٥٣، ٥٧، ٧١ ؛ محمد : ٣٢، ٣٣ ؛ الفتح : ٢١، ١٣، ١٧، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩ ؛ الحجرات : ١ ، ٣، ٧، ١٤، ١٥ ؛ الحديد : ٧، ٨، ٢٨ ؛ المجادلة : ٤، ٥، ٨، ٩، ١٢، ١٣، ٢٠، ٢٢ ؛ الحشر : ٤، ٦، ٧، ٨ ؛ الممتحنة : ١ ؛ الصف : ٦، ٩، ١١ ؛ الجمعة :٢ ؛ المنافقون : ١، ٥، ٧، ٨ ؛ التغابن : ٨، ١٢ ؛ الطلاق : ١١ ؛ المزمّل :١٥ ؛ البيّنة : ٢ .

(١) ينظر : النبي في القرآن ، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق : ١٠ .

(٢) ينظر المصدر السابق : ١١ .

(٣) ينظر : فتح القدير ، الشوكاني : ٥٣/٢ .

فنعته بالرسول يدلُّ على اصطفاء الله عز وجلّ له، وتشريفه بأداء وظيفة التبليغ التي تناسب دلالة هذا النعت، وهي الاستمرار والمتابعة بالإخبار عن الله تعالى[١].

والسياق الآخر : وقوع النعت (الرسول) صفة لموصوف ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٤] وكذلك في الآية التي تسبقها في قوله تعالى : ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٣]، ليعكس لنا التعجب الوارد في السياق (سبحان الله) أنّه (رسول) ووظيفة الرسول هي أداء ما يُوحى إليه وليس صنع المعجزات، وخيرُ دليلٍ على ذلك مجيء النعت (بشراً) سابقاً للنعت (رسولاً)؛ ليدفع شبهة المعترضين على نبوّة البشر، وتقطيع أوصال الوهم التي ركَزَتْ في أذهانهم، الذاهبة بزعمهم إلى أنّ الرسول ينبغي أن يكون من الملائكة لا البشر[٢].

ومن تلازم هذين النعتين (بشراً رسولاً) نلمسُ إيحاءً دلالياً، إذ فيهما إشارة إلى البعد البشري المادّي والبعد الرسالي المعنوي اللذّين تتركّب منهما شخصية المبعوث التي صنعها الخالق[٣].

والسياق الثالث : ورود النعت (الرسول) موصوفاً لا صفةً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزّمل:١٥] فالرسول هنا هو محمدﷺ[٤]، ودلّ السياق المؤكَّد بـــ(إنّ)على تصديق المبعوث بالرسالة ، وأمّا تقييد النعت (رسولاً) بـــ(شاهداً) ففيه إشارة إلى زجرِ مَنْ خالفه وكذّبه[٥].

وهكذا تتعدّد السياقات لتنبعث منها دلالات شتّى، وتكرار النعت (الرسول) في مواطن كثيرة في القرآن الكريم يدلُّ على تأكيد هذا العنوان وإثبات مقام الرسالة له،

---

(١) ينظر : لسان العرب (رسل) : ١٤٢/٤-١٤٣.

(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن: ٥٢٠/٦-٥٢١ ، ومجمع البيان : ٢٩٤/٦ .

(٣) ينظر : خصائص الوحي المبين ، الحافظ ابن البطريق : ٢٩ .

(٤) ينظر : تفسير السمعاني : ٨٢/٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤٨/١٩ .

(٥) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٦٨/٢٠ .

زيادة على ذلك التطابق الذي يُلحظ بين هذا النعت ومنعوته، إذ فيه إشارة إلى أنّ هُويّته الحقّة هي الرسالة[١].

(النبيّ)

النبيّ : العَلَم من الأرض أو الطريق التي يُهتَدى بها[٢]، وهو مشتق من النَبْوَة أو النّباوة التي تدلّ على ما ارتفع من الأرض وعلا[٣].

والدلالة المعجمية لنعت (النبيّ) تتلاءم أشدّ التلاؤم في دقة اختيارها وتناسبها مع دلالته في القرآن الكريم، إذ يُهتدى بالرسول**ﷺ** فهو عَلَم ومنارٌ شامخٌ في زوايا الحياة جميعها؛ لذا أظهر هذا النعت مقاماً من مقامات الرسول**ﷺ** تمثّل بارتفاع منزلته وتشريفه على بقية الخلق[٤].

وذُكرَ النعت (النبيّ) للرسول محمد **ﷺ** في القرآن الكريم في واحد وثلاثين موضعاً[٥]، منها ما ورد منادىً في ثلاثة عشر موضعاً كما في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣] فالمخاطب بالنبيّ هنا هو الرسول محمد**ﷺ**[٦]، ويُلحظ أنّ خطابه **ﷺ** بصيغة ((يا أيّها النبيّ)) يكون في ((الموارد التي ترجع إلى أمور

---

(١) ينظر : محمد في القرآن والقرآن في محمد : ٤٠-٤١ .
(٢) ينظر : لسان العرب (نبا) : ٣٠٢/١٥ .
(٣) ينظر : تهذيب اللغة (نبا) : ٤٨٦/١٥ .
(٤) ينظر : المصدر السابق .
(٥) ينظر الآيات الآتية : آل عمران : ٦٨ ؛ المائدة : ٨١ ؛ الأعراف : ١٥٧ ، ١٥٨ ؛ الأنفال : ٦٤ ،٦٥ ، ٦٧ ،٧٠ ؛ التوبة : ٦١ ،٧٣ ،١١٣ ،١١٧ ؛ الأحزاب : ١ ،٦ ،١٣ ،٢٨ ،٣٠ ،٣٢ ،٣٨ ،٤٥ ،٥٠ ،٥٣ ،٥٦ ،٥٩ ؛ الزمر : ٢ ؛ الممتحنة : ١٢ ؛ الطلاق : ١ ؛ التحريم : ١ ،٣ ،٨ ،٩ .
(٦) ينظر : جامع البيان : ٢٣٤/١٠ .

شخصية وفي خطابات خصوصية))[1]، كما في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [الأحزاب:٢٨]، وكذلك في قوله تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التحريم:١]، فقد ورد النداء مع النعت (النبيّ) لاختصاص الخطاب به من دون غيره[2]، وكذا الأمر في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ...﴾ [الطلاق:١] فقد ابتدئ بندائه ﷺ لكونه إمام الأمّة، وخطابه يتّسع في دلالته أتباعه من أمّته[3] .

فنلحظ من هذِهِ الخطابات وأمثالها أحكاماً أو تكاليف ترجع إلى الرسول نفسه[4]. نفسه[4].

ولا يخفى ما في النبوّة من دلالة على وظيفة من وظائف الرسول ﷺ وهي إنباءُ عالم الوجود بالمعارف والأحكام بل كلّ ما يخفى في هذا الوجود، ونالَ بذلك شرف الإنباء عن المنبئ وهو الله تعالى[5]، ممّا يدلّ على المقام السامي الذي وصل إليه الرسول ﷺ .

(١) التحقيق في كلمات القرآن : ١٣١/٤ .
(٢) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٣٢٩/١٩ .
(٣) ينظر : المصدر السابق .
(٤) ينظر : محمد في القرآن والقرآن في محمد : ٤٤ .
(٥) ينظر : المصدر السابق : ٤٧ .

المبحث الثاني :
النعوت العباديّة

العبادة هي الانقياد والخضوع[١] ، وتدلّ على توجّه العبد لسيّده الحقّ وهو الله تعالى، وقد اجتمعت العامّة على التفرقة بين العبيد المملوكين وبين عباد الله[٢].

وتذلّل الرسولﷺ في قبال المولى تعالى مع طاعته له ظاهرة للعيان في سيرتهﷺ ، ويثبتها القرآن الكريم من خلال الخطاب الإلهي لنبيّه الكريم بعدما قام عشر سنين يعبد ربّه تعالى حتّى تورّمت قدماه، واصفرَّ وجهُهُ وأمّا الليل فكان يقومه أجمع[٣]، فقال تعالى : ﴿طه مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه:١-٢] .

وعلى الرغم من أنّ الخلق كلَّهم عبادُ الله، قامَ محمدٌﷺ بالعبودية الحقيقية من دون باقي الخلق[٤]، فمثّل العبودية في أعلى مراتبها ، كما مثّل العبادة في أسمى معانيها ، تتجلّى في النعوت الواردة في هذا المبحث، فهناك نعوت عبادية وردت في القرآن الكريم، أذكرها على النحو الآتي :

(العبد)

العبوديّة : هي خضوع الإنسان لسيده[٥]، فهي مطلقة تتّسع لتشمل (الإنسان) حُراً أو مملوكاً[٦]، و (العبد) : اسم ذات على وزن (فَعْل)[٧]، والأصلُ فيه أنّه صفة

---

(١) ينظر : المصباح المنير (عبد) : ٣٨٩ .

(٢) ينظر : العين (عبد) : ٤٨/٢ .

(٣) ينظر : مجمع البيان : ٢/٧ ، وبحار الأنوار : ٨٥/١٦ ح٣ و٤ .

(٤) ينظر : محمد في القرآن ، السيد رضا الصدر : ١١٠ .

(٥) ينظر : معجم مقاييس اللغة (عبد) .٢٠٥/٤ .

(٦) ينظر : لسان العرب (عبد) : ٢٧٣/٣ .

(٧) ينظر : معجم مقاييس اللغة (عبد) : ٢٠٦/٤ .

استعمل كما تُستعمل الأسماء[١].

ولم تفترق دلالة النعت (العبد) القرآنية عن دلالتها اللغوية، إذ دلّت على التذلّل والخضوع للسيد والمولى الحق وهو الله تعالى.

وقد وردت لفظة (العبد) في التعبير القرآني في ثمانيةٍ وعشرين موطناً[٢]، لكن المتدبّر في تلك المواضع يلحظ أنّ استعمال لفظ (العبد) للرسول**ﷺ** لم يرد بهذه الكثرة لبقية الأنبياء (عليهم السلام)، فقد استُعمل في عشرة مواضع نعتاً صريحاً للرسول**ﷺ**[٣]، ويقابلها عشرة مواضع لسبعة من الأنبياء**ﷺ**[٤]، وأمّا المواضع المواضع المتبقيّة فكانت لأبواب شتّى وعامّة فهي إمّا من باب ضرب المثل، كما في قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٥]، أو من باب المماثلة في القصاص، كقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ...﴾ [البقرة:١٧٨]، وهكذا بقية الموارد.

إذن كثرة ورود النعت (العبد) في التعبير القرآني للرسول**ﷺ** تدعو إلى بيان المقامات المعنوية التي اختص بها وكشفها، وأوّلُ هذه المقامات هو مقام العبودية الاختيارية التي تمثّل أعلى درجات الرسول**ﷺ**[٥]، وتشير إلى كماله، ((فالعبودية تجمع كمال الحب في كمال الذلّ وكمال الانقياد لمراضي المحبوب وأوامره، فهي

---

(١) ينظر : لسان العرب (عبد) : ٢٧٣/٣ .

(٢) ينظر الآيات الآتية : البقرة : ٢٣ ،١٧٨ ،٢٢١ ؛ النساء : ١٧٢ ؛ الأنفال : ٤١ ؛ النحل : ٧٥ ؛ الإسراء : ١ ،٣ ؛ الكهف : ١ ،٦٥ ؛ مريم : ٢ ،٣٠ ،٩٣ ؛ الفرقان : ١ ؛ سبأ : ٩ ؛ ص :١٧ ،٣٠ ،٤١ ،٤٤ ؛ الزمر : ٣٦ ؛ الزخرف : ٥٩ ؛ ق: ٨ ؛ النجم : ١٠ ؛ القمر : ٩ ؛ الحديد : ٩ ؛ التحريم : ١٠ ؛ الجن : ١٩ ؛ العلق : ١ .

(٣) البقرة : ٢٣ ؛ الأنفال : ٤١ ؛ الكهف : ١ ؛ الفرقان : ١ ؛ الزمر : ٣٦ ؛ النجم : ١٠ ؛ الحديد : ٩ ؛ الجن: ١٩ ؛ الإسراء : ١ ؛ العلق : ١٠ .

(٤) النساء : ١٧٢ ؛ الإسراء : ٣ ؛ القمر : ٩ ؛ مريم : ٢ ، ٣ ؛ ص:١٧ ،٣٠ ،٤١ ،٤٤ ؛ الزخرف : ٥٩ .

(٥) ينظر : شفاء العليل : ٢٤٣ .

الغاية التي ليس فوقها غاية))[1].

وقد ورد النعت (العبد) مضافاً لاسم الخالق سبحانه أو للضمير العائد على الباري، ولم يرد مفرداً إلاّ في مورد واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق:٩-١٠] ، فالمراد بالعبد هنا هو الرسول ﷺ ، إذ كان أبو جهل قد هَدّد بمنعه من الصلاة عند الكعبة المشرّفة[2].

ويشعُّ مقام تكريم الرسول ﷺ عند استعمال نعت العبودية مضافاً إلى لفظ الجلالة، ففي قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]، استُعمل لفظ (العبد) هنا على لسان الرسول ﷺ في معرض الحديث عن نفسه، للدلالة على التواضع المقتضي للقيام والتذلّل للخالق عزّ وجلّ[3] .

وقد حمل السياق القرآني الذي ورد فيه النعت (العبد) في الآية السابقة دلالة على تسليم الرسول ﷺ المطلق وطاعته لأمر المولى، وأنّه عبدٌ في نفسه وعمله[4]، زيادة على ذلك نلمح فيه دلالة على المحبوبيّة والقرب، إذ ((كُلُّ ما نُسِب إلى المحبوب فهو محبوب))[5]؛ ولذلك نعت اللهُ رسوله ﷺ بالعبد في مواطن التكريم والتشريف.

وفي جميع المواطن التي ورد فيها هذا النعت في التعبير القرآني مضافاً إلى ضمير الغيبة العائد إلى الخالق سبحانه، كان النعت دالاً على الرسول ﷺ[6] إلاّ في في موطن واحد وهو قولُهُ تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:٢]، فنعت (العبودية) لله تعالى متحقّق لجميع المخلوقات،ولكن إفاضته على

---

(١) مدارج السالكين ، ابن القيم : ٤٤١/٣ .

(٢) ينظر : لباب النقول ، السيوطي : ٢١٤ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود : ١٧٩/٩.

(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٣٤٥/٨ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٤٦/٩.

(٤) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢٧٧/١ .

(٥) روضة المحبّين ، ابن القيّم : ٢٦٩ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/١٥ .

الرسول ﷺ فيه دلالة على تشريفه، فلو كان اسمٌ أشرف من العبودية لسمّاه به[١].

وتتبع جلالة العبودية من خلال إشراقات الدلالة التي يحملها، فتترتب عليه كثير من نعوت الرسول ﷺ الأخرى ، ومنها نعت المتوكِّل، إذ أنّ صفة التوكّل تتعلّق بربوبيّة الخالق وقضائه وقدره، وعبودية الأسباب تقوم على ساق التوكّل، وذلك كلُّه يقوم على قدم العبودية[٢]، ففي قوله تعالى : ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠] أطلق النعت (عبده) في هذا المقام، وهي ألطف كلمة تدلُّ على عناية الخالق برسوله ﷺ[٣]، إذ نعته بالعبد عند بلوغه أعلى درجة (عند سدرة المنتهى) ممّا يشير إلى العبودية الصاعدة المنفتحة على خالقها، الكاشفة عن مقام من مقامات الرسول الأعظم ﷺ وهو مقام الإيحاء[٤]، بكل ما يحمل الإيحاء من عظمة متمثّلة في (ما أوحى) المشتملة على دلالة التفخيم المُستوحى من الإبهام في الإيحاء[٥].

زيادة على ذلك يُلحظ الترابط بين المضاف (الفقير والمحتاج) المتمثّل بالعبد المُوحى إليه وبين المضاف إليه (الغنيّ المطلق) وهو الله المُوحي ، وفي هذا الترابط دلالة تفسحُ مجالاً واسعاً للتصوّر والتأمّل[٦].

وأمّا قوله تعالى : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]، نلحظ مجيء نعت العبودية في مقام التنزيل والتحدّي[٧]، فالمعني بـــ(عبدنا) هو الرسول ﷺ[٨]، إذ كساه الله تعالى حلّة العبوديّة[٩].

ونعت (العبد) هنا ورد مضافاً إلى الضمير العائد إلى لفظ الجلالة في مقام نفي

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٢٨/١ ، والنهجة السوية ، السيوطي : ١٩٧.
(٢) ينظر : مدارج السالكين : ١٢٥/٢ .
(٣) ينظر : محمد في القرآن والقرآن في محمد : ٣٧ .
(٤) ينظر : المصدر السابق : ٩٩-١٠٣ .
(٥) ينظر : الإنصاف فيما تضمنه الكشاف ، ابن المنير الاسكندري : ٢٩/٤ ، والأصفى في تفسير القرآن ، الفيض الكاشاني : ١٢٢٢/٢ .
(٦) ينظر : الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ، د. صفية مطهري : ١٤٧ .
(٧) ينظر : مفتاح دار السعادة : ٥/١ .
(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٢/١ .
(٩) ينظر : روح المعاني : ٢٠١/١ .

الشك عمّا أُنزل إليه من الكتاب، وذلك بتحدّيهم تحدّياً صارخاً، إلى أقصى حدّ ممكن من أن تكون لهم القدرة على أن يأتوا بسورة مماثلة لما أُنزل على الرسول ﷺ[1].

وفي قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] المراد بعبده هنا هو الرسول محمد ﷺ[2]، والسورة تدور في فلك الحديث عن التوحيد والتسبيح والتحميد[3] ، والعبد الموحّد والمسبّح والحامد هو الرسول ﷺ، واصطفاؤه لشرف الإسراء والمعراج جاء مترتباً على نعته بالعبودية التي تدل على تطابق القول والعمل[4]؛ لذا قيل : إنّ مقام ((العبودية أشرف المقامات وإلاّ لما وصفه وصفه الله بهذه الصفة في أعلى مقامات المعراج))[5] ، وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله:((العبوديةُ جوهرة كنهها الربوبيّة فما فُقد من العبودية وُجد في الربوبيّة))[6]،فعندما تتطهّر الأرواح القدسية البشرية من دنس المعاصي وقذارتها ، تُشرق بالأنوار الإلهيّة، وتترقّى من العبدية المفتقرة إلى العندية الغنيّة[7] ، يعضد ذلك القرائن التي ورد النعت (العبد) في سياقها ، فالفعل الذي سبق هذا النعت جاء فعلاً مهموزاً (أسرى بعبده) ؛ للدلالة على العناية الإلهيّة المباشرة بهذا العبد ، إذ لم يستعمل الفعل المضعّف (سرّى بعبده)[8] .

إنّ انتقاء الظرف (ليلاً) للإسراء في الآية السابقة، فيه دلالة على أنّ أكمل العطايا والهبات الروحانية تحصل في الليل[9] .

---

(١) ينظر : الأمثل : ١١٩/١ .
(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٢١٣/٣ ، و معالم التنزيل : ٥٤/٥ .
(٣) ينظر : الميزان : ٥/١٣ .
(٤) ينظر : الأمثل : ٣٨٧/٨ .
(٥) التفسير الكبير : ٢٥١/١ .
(٦) مصباح الشريعة ، اليزدي: ٧ .
(٧) ينظر : المصدرالسابق : ١٤/١٦.
(٨) ينظر : التحرير والتنوير :١١/١٥ .
(٩) ينظر : التفسير الكبير : ٤١/٢٢ .

(القانت)

القنوت مصدر مشتق من مادة (قنت) التي تدل على طاعة وخير في دين، والأصل فيه الطاعة[١]، وقيل : هو الدعاء[٢] ، والقانت هو الداعي[٣] والذاكر الله تعالى والعابد له[٤].

ويُستعمل الفعل (أقنت) للدلالة على الاستمرارية والتواضع ، فيقال : أقنت الرجلُ في حجّه وغزوه، أي أطال في ذلك، كما يُقال : أقنت الرجل لربّه ، أي تواضع لله تعالى[٥].

فيلحظ في (القانت) قيدان [٦] :

الأول : لزوم الطاعة التي تدلّ على العمل بالوظيفة مع الرغبة في ذلك.

والثاني : الخضوع الذي يدل على التسليم والتواضع.

ولم تختلف دلالة (القانت) في القرآن الكريم عن دلالته في معاجم اللغة، فكلُّ (قنوت) ورد في القرآن الكريم يدلّ على الطاعة إلاّ في قوله تعالى : ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦ ، والروم:٢٦]، ومعناه مقرونون بالوحدانية لله تعالى[٧] .

وقد ورد النعت (القانت) للرسول ﷺ بلفظه صريحاً في القرآن الكريم في مورد واحد، وذلك في قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟

---

(١) ينظر : لسان العرب (قنت) : ٢/٧٣-٧٤ ، ومعجم مقاييس اللغة (قنت) : ٥/٣١ .

(٢) ينظر : بصائر ذوي التمييز ، الفيروز آبادي : ٤/٢٩٨ .

(٣) ينظر : المصدر السابق .

(٤) ينظر : الصحاح (قنت) : ١/٢٦١ ، ولسان العرب (قنت) : ٢/٧٣-٧٤ .

(٥) ينظر : بصائر ذوي التمييز : ٤/٢٩٨ .

(٦) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(قنت) : ٩/٣٢٣-٣٢٤ .

(٧) ينظر : الكليات : ١١١٠ .

ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر:٩]، فقد اختُلف في من نزلت هذه الآية، وذُكرت وجوه منها : أنّ (القانت) هنا هو الرسول محمدﷺ[١]، ويدلّ على استمرار ((القيام بآداب العبودية ظاهراً من غير فتور ولا تقصير))[٢].

وقد أجمل القرطبي (٧٦١هـ) الوجوه في دلالات النعت (القانت) ، فذكر أربعة أوجه : الأول : المطيع ، والثاني : الخاشع في صلاته، والثالث : القائم في صلاته، والرابع : الداعي لربّه[٣] ، ولا بُدّ لنا أن نلحظ وجود قيدي الخضوع مع الطاعة في هذه المفاهيم وما يماثلها من السكون والانقياد ، وإلاّ يكون إطلاق القانت عليها تجوّزاً[٤].

وتتكامل دلالة النعت (القانت) للرسولﷺ بلحاظ جهة الإرادة والاختيار، إذ إنّ قنوت الرسولﷺ كان قنوتاً تشريعياً إرادياً، لا قنوتاً تكوينياً، فالتكويني يقع على العقلاء وعلى غير العقلاء ضمن أساس الخلقة كما في قوله تعالى : ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦]، في حين يراد بالقنوت الإرادي تحصيل حالة الخضوع مع الطاعة بصور مختلفة كالقيام والسجود والركوع بصورة اختياريّة[٥]، كما هي الحالة التي أنبأ عنها السياق الذي ورد فيه نعت (القانت) للرسولﷺ في قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزُّمَر:٩]، ممّا يرسم لنا صورة لقنوته مليئةً بالأحاسيس المرهفة ذات الرغبة في خضوعها لبارئها، وهذا العشق الاختياري يُوحي بالصفاء والشفافية التي تمنحُ صاحبها انفتاح البصيرة[٦] في عبادة الحق تعالى.

---

(١) ينظر : زاد المسير ، ابن الجوزي : ٧/٧-٨ ، وروح المعاني : ٢٤٧/٢٣ .
(٢) روح المعاني : ٣٧/٢٤ .
(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٩/١٥ .
(٤) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(قنت) : ٣٢٤/٩.
(٥) ينظر : المصدر السابق .
(٦) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٠٤٢/٥ .

(المُخلِص)

الإخلاص مصدر مشتق من مادة (خلص) التي تدلّ على تنقية الشيء أو تصفيته وتهذيبه ممّا يشوبه[١]، وتشمل هذه التنقية الطاعة[٢]، وتصفية السريرة والقول والفعل[٣].

وقد وافقت دلالة النعت (المخلص) للرسول ﷺ في التعبير القرآني دلالتها في التعبير اللغوي، إذ ورد هذا النعت للرسول ﷺ صريحاً في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع[٤] ودلّ في جميعها على النقاء، سواء في التوحيد أو بقية العبادات؛ لأنّ (المُخلِص) دالٌ على الموحّد أو المنقيّ عقيدته من كلّ ما يشوبها[٥]، كما نلحظ من الآيات التي ورد فيها هذا النعت.

وقد تركّز ذكره في سورة واحدة وهي سورة الزُمر، التي تتحدّث أجواؤها عن التوحيد بصورة مسهبة مبتدئةً بالحديث عن القرآن الكريم، تلك المعجزة الخالدة ، وتحثّ الرسول ﷺ أن يكون ﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُمَر:٢]، وكذلك في الآيتين الأخريين اللتين ورد فيهما نعت (المخلص)[٦] ، ففي قوله تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزُمَر:١٤-١٥]، نلحظ الدقّة في اختيار اللفظ القرآني النعت (مخلصاً) للرسول ﷺ[٧] ، بدلاً من (ممحضاً) ؛ للفرق بين الخالص والمحض، فالخالص هو ((كُلُّ شيءٍ يتصوّر أن يشوبه غيره، وإذا صفا عن شوبه فخلص منه يُسمّى خالصاً))[٨] في حين يدلّ المحض على كون الشيء على

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة (خلص) : ٢٠٨/٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن (خلص) : ٢٩٢ .
(٢) ينظر : الصحاح (خلص) : ١٠٣٧/٣ .
(٣) ينظر : الكليات : ٦٤٩ .
(٤) ينظر : الزمر : ٢ ، ١١ ، ١٤ .
(٥) ينظر : المعجم الموسوعي ، أحمد مختار عمر : ١٦٩ .
(٦) ينظر : الزمر : ١١ ، ١٤ .
(٧) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي : ٢٢٦/٣ .
(٨) الكليات : ٦٤٩ .

طبيعته لم يخالطه شيء فينقى منه[١].

ومن هنا ندرك أنّ في النعت (المخلص) حركة تهذيبية تطهيرية للنفس الإنسانية عامّة وللنفس الرسالية خاصّة[٢]، وإنّ اختيار هذا النعت من دون استعمال الاصطفاء الاصطفاء والاجتباء أو ألفاظ نعتية أخرى، فيه دلالة على نقاء ذات الرسولﷺ وصفائها، أي إنّ فيه خصوصيّة زائدة على الذات، فالمخلص نعت مركّب من الذات وزيادة خارجيّة وهي صفة النقاء والصفاء[٣] من كلّ ما يشوبه من شرك أو رياء[٤]. رياء[٤].

ويشع هذا النعت أيضاً بدلالته على امتثال الرسولﷺ لأوامر ربّه سبحانه وإياس عدوّه في طمعهم فيه بمخالفة الخالق[٥] ، وقد صُرِّح بهذا النعت (مُخلصاً له ديني) لا لشكٍّ في عبادة الرسولﷺ ، بل ليجلّي عبادة مليئةً بالنقاء والتوحيد[٦]، فالنعت (مخلصاً) قيدٌ لتلك العبادة، ممّا يدلّ على إخلاص الدين لله تعالى تصوّراً واعتقاداً في ضمير الرسولﷺ[٧]، وتنزيه عبادته من أن تكون مشوبة بحظ من حظوظ الدنيا الفانية[٨]. زيادة على ذلك دلالته في الاعتماد على صاحب القدرة وهو المعبود لا سواه[٩].

ويستلزم من نعتهﷺ بنعت (المخلص) التواصل والاستمرار بمواقف متكاملة لا مبعثرة في زمن من الأزمنة دون الآخر فيتطابق فيها النيّة والعمل[١٠]، وإنّ هذا النعت يفيض بمبلغ الجهد البشري الذي بذله الرسولﷺ من أمانة وعبادة وعبودية مطلقة لله عزّ وجلّ حتّى بلغ كمال الإخلاص له تعالى[١].

---

(١) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ٤٨٥-٤٨٦ .
(٢) ينظر : روح المعاني : ٣٧/٢٤ .
(٣) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(خلص) : ١٠٣/٣ .
(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٤٠/٧ .
(٥) ينظر : الميزان: ٢٤٨/١٧ .
(٦) ينظر : التحرير والتنوير :٣١٦/٢٣ .
(٧) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٠٣٦/٥ .
(٨) ينظر : التحرير والتنوير : ٣١٦/٢٣ .
(٩) ينظر : في ظلال القرآن :٣٠٣٦/٥ .
(١٠) ينظر : إحياء علوم الدين ، الغزالي :٤/ ٣٦٩-٣٧٦ .

المبحث الثالث:
النعوت الحاليّة

الحال : الأمر المتغيّر الذي يختص به إنسان أو غيره[١]، ففيه قيد التبدّل والتحوّل[٢].

ويُعنى بالنعوت الحالية النعوت التي كان الرسول ﷺ متلبّساً بها حال توجيه الخطاب الإلهي إليه ، فأثبتها الخالق سبحانه لرسوله الكريم محمد ﷺ معرِّفاً به من خلالها لدواعٍ تتّضح من دراسة دلالاتها في الاستعمال القرآني .

وقد ورد نعتان من النعوت الحالية الصريحة للرسول ﷺ في القرآن الكريم، هما : المزّمّل والمدّثّر .

(المزّمّل والمدّثّر)

ورد هذان النعتان للرسول ﷺ بلفظهما، كلٌ منهما في موضع واحد في القرآن الكريم، وذلك في سياق خطاب الله تعالى لرسوله محمد ﷺ في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزّمل:١] ، وفي قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدّثر:١] .

وقد أدرجناهما معاً لاشتراكهما في الدلالة، فالمدثّر هو المتغطّي بثيابه[٣]، والمزّمّل دالٌ على اللف والتلفّف بالثياب أيضاً فكلّ ما لفّف فقد زمّل[٤]، قال امرؤ القيس[٥]:

كـــأنّ ثبيـــراً فـــي عـــرانينِ وَبْلـــه كبيـــرُ أنـــاسٍ فـــي بجـــادٍ مُزَمَّـــلِ

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (حول) : ٢٦٧ .
(٢) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(حول) : ٣١٨/٢ .
(٣) ينظر : لسان العرب (دثر) : ٣٠٩/١١ ، و تهذيب اللغة (دثر) :٦٣/١٤ ، وتاج العروس (دثر) : ٣٩٣/٦.
(٤) ينظر: العين (زمل) : ٣٧١/٧ ، ولسان العرب (زمل) : ٣١١/١١ ، وتاج العروس (زمل) : ٣١٤/١٤ .
(٥) ديوانه : ٦٧ .

لذا يلتقي النعتان (المزّمّل والمدّثّر) في كونهما يدلاّن على التلفّف بالشيء والتغطيّ به حتى صار أحدهما موضّحاً للآخر، يقول ابن منظور(٧١١هـ): ((والمزّمّل المغطّى المدّثّر))[١].

ووافقت دلالة هذين النعتين القرآنية دلالتهما اللغوية، فقد دلّ كلّ منهما على التلفّف بالثياب أو تحمّل الأعباء، إذ تختلف دلالة الألفاظ بما تقتضيه حقيقة اللفظ أو مجازه، وبلحاظ هذين النعتين على نحو الحقيقة تكون دلالة كلّ منهما على أنّ المنادى متلففٌ في ثيابه أو قطيفته[٢]، وأمّا بلحاظ حملهما على المجاز فتكون دلالة النعت (المزّمّل) أنّ الرسول ﷺ متزمّلٌ النبوة[٣]، أي متحملٌ أثقالها وأعباءها[٤]، وكذلك تكون دلالة النعت (المدّثّر) أي مدّثّر بالنبوة وأثقالها[٥].

ويرى ابن العربي(٥٤٣هـ) أن لا حاجة للعدول عن الحقيقة إلى المجاز؛ وذلك لمخالفة الظاهر، إذ عندما تتعاضد الحقيقة والظاهر فلا يجوز العدول عن الظاهر[٦]، الظاهر[٦]، زيادة على ذلك عدم وجود شاهد من جهة اللفظ يُعين على صرف اللفظ عن دلالته الحقيقية[٧].

ومن ثم ّ يتبين لنا أنّ (المزّمّل والمدّثّر) نعتان مشتقان من الحالة التي كان عليها الرسول ﷺ حين الخطاب[٨]، وهما غير مقتصرين عليه وحده، وان كان الرسول ﷺ من أجلِّ مصاديقهما ، فالاسم المشتق من الفعل يدلّ على اشتراك من يتّصف بهذه الصفة مع المخاطب بها[٩].

والذي يتتبّع الخطاب القرآني الموجّه للرسول ﷺ يرى أنّ الله تعالى لم

---

(١) لسان العرب (زمل) : ٣٠٩/١١ .
(٢) ينظر : أحكام القرآن ؛ ابن العربي : ٣٢٣/٤ .
(٣) ينظر : المصدر السابق .
(٤) ينظر : الميزان : ٦٠/٢٠ .
(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٦١/١٩ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي : ٤١٠/٥ .
(٦) ينظر : أحكام القرآن ، ابن العربي: ٣٢٣/٤ .
(٧) ينظر : الميزان : ٦٠/٢٠ .
(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٣/١٩ ، والجواهر الحسان : ٥٠٠/٥ .
(٩) ينظر : المصدران السابقان .

يخاطب رسوله باسمه وإنّما خاطبه بنعته إكراماً له وتشريفاً من دون سائر الرسل[١]، الرسل[١]، وفي ذلك دلالة على التعظيم والتوقير للمنادى بهذه النعوت[٢]، وانتقاء هذين النعتين واستعمالهما في سياق النداء في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزّمل:١]، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدّثر:١] من دون استعمال النعت (الرسول) أو (النبي) في هذين الموضعين فيه إشارة إلى أنّ الرسولﷺ كان في مراحل الوحي الأولى أي في بدء الوحي ولم يكن قد أدّى أو بلّغ شيئاً من الرسالة[٣] .

وقد يكون هذا الانتقاء فيه تحسين للحالة التي كان الرسولﷺ عليها[٤]، كما يمكن أن يدلّ على الملاطفة والمدح والتأنيس، فالعرب إذا أرادت ترك المعاتبة وقصدت ملاطفة المخاطب تُنادي المخاطب بالاسم المشتق من الحالة التي هو متلبس بها[٥]، على أنّ هناك من يرى عدم دلالة هذين النعتين على التهجين أو التحسين، ويردّ السبب في تصوّر ذلك إلى التوهّم ، قال السيد الطباطبائي(١٤١٢هـ) : ((وليس في الخطاب به تهجين ولا تحسين كما توهّمه بعضهم))[٦] .

ومن ثمّ فالنعتان هنا كاشفان عن الحال التي هو عليها، وإنّهما يشيران إلى ما أُمر به الرسولﷺ بمقاومة الكرب والنوائب بالصلاة والصبر ، لا بالتزمّل والنوم[٧] ، فيستوحى من هذين النعتين دلالتهما في الحث على البناء الذاتي والاستعداد لأداء الرسالة العظيمة[٨] على وفق النداء العلوي الجليل لتحمّل الأمر العظيم الثقيل[٩].

---

(١) ينظر : الإنصاف فيما تضمنه الكشّاف : ١٧٤/٤ .
(٢) ينظر : أضواء البيان : ٤٠٢/٧ .
(٣) ينظر : الجواهر الحسان : ٥٩/١٠ ، وزاد المسير : ١١٢/٨ .
(٤) ينظر : فقه القرآن ، القطب الراوندي : ١٧٠/١ .
(٥) ينظر : المحرر الوجيز ، ابن عطية : ٣٨٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ٣٣/١٩ ، وإرشاد العقل السليم : ٤٩/٩ .
(٦) الميزان في تفسير القرآن : ٦٠/٢٠ .
(٧) ينظر : المصدر السابق .
(٨) ينظر : الأمثل : ١٢٦/١٩ .
(٩) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٧٤٢/٦ .

المبحث الرابع :
النعوت الخصَوصيّة

اختصّ الرسولﷺ بنعوت ذكرت في القرآن الكريم ولم يشاركه فيها أحد من الأنبياء أو من غيرهم، فارتبطت به ارتباطاً وثيقاً حتّى بات لا ينصرف الذهن عند إطلاقها إلاّ إليه.

وآثرنا لفظ (الخصوصية) لهذه النعوت لدقّة المعنى الذي تحمله هذه اللفظة، فالخصوصية هي جعل الشيء لآخر من دون غيره[١]، تقول : ((خصصتُ فلاناً بشيءٍ خَصوصيّةً))[٢]؛ وذلك بسبب إفراده وحده من دون غيره بعكس العموميّة[٣].

ونعوت الرسولﷺ الخاصّة به الواردة في القرآن الكريم أذكرها على النحو الآتي :

(أوّل المسلمين)

ورد هذا النعت للرسولﷺ في القرآن الكريم بلفظه صريحا في موضعين ، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣] ، وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[الزُّمَر:١٢] .

والأوّلُ تأسيسه في اللغة من همزة وواو ولام فيكون فعّل، وقد قيل : من واوين ولام، فيكون أفْعَل، ولكلِّ قولٍ حجّتُهُ[٤].

وذُكِرت أربع جهات لاستعماله تُشير في جميعها إلى دلالة واحدة وهي ترتّب غيره عليه، وإن كانت هذه الجهات مختلفة، فهناك المتقدّم بالزمان، والمتقدّم بالرياسة

(١) ينظر : المصباح المنير (الخُصُّ) : ١٧١ .
(٢) معجم مقاييس اللغة (خص) : ١٥٣/٢ .
(٣) ينظر: المصدر السابق .
(٤) ينظر : العين (أول) : ٣٦٨/٨ .

في شيء، والمتقدّم بالوضع والنسبة، والمتقدّم بالنظام الصناعي[١]، وذكر الزجّاج (٣١١هـ) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦] ، بأنّ (أوّل) في اللغة تدلّ على ابتداء الشيء[٢].

ولم تختلف دلالة (أوّل) في الاستعمال القرآني عن الاستعمال اللغوي، فالآيات المشتملة على (أوّل) تدلّ على السبق والتقدم والابتداء[٣]، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة:٤١]، وكذلك المعنى نفسُه في بقية الآيات التي ورد فيها لفظ (أوّل)[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣]، (أوّل المسلمين) هو الرسول محمدﷺ[٥] ، ويحمل دلالة على التقدّم بالرتبة، فيدلّ على العلوّ والكمال، لأنّه أوّلُ المسلمين من هذه الأمّة[٦].

وعلّل الزمخشري (٥٣٨هـ) سبق الرسولﷺ للإسلام بقوله : ((لأنّ إسلام كلّ نبيّ متقدّم على إسلام أمتّه))[٧]،في حين يرى السيد الطباطبائي(١٤١٢هـ): أن لا دليل على تخصيص سبق الرسول ﷺ للإسلام بهذه الأمة[٨] ، كما نجد هناك من خصّص دلالة (أول المسلمين) وضيّقها حتى نعت الرسولﷺ بأنّه ((أول المسلمين من قريش))[٩] ، على الرغم من عدم وجود قيد يخصّص هذا النعت أو يضيقه هذا التضييق.

---

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (آل) : ١٠٠ .

(٢) ينظر : تهذيب معاني القرآن وإعرابه ، الزجّاج : ٢٩٨/١-٢٩٩ .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٨٧/١ ، والعجاب في بيان الأسباب ، ابن حجر العسقلاني : ٢٥١/١.

(٤) من الآيات القرآنية المشتملة على لفظ (أول) : المائدة : ١٠٧ ،١١٤ ؛ الأنعام : ٢٥ ،٩٤ ،١١٠ ؛ الأنفال : ٣١ ،٣٨ ؛ التوبة : ٨٣ ،١٠٠ ،١٠٨ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥٣/٧ ، ١٥٥ .

(٦) ينظر : التبيان في تفسير القرآن :٣٣٦/٤ ، وأحكام القرآن ، الجصاص : ٣٦/٣ ،وجامع البيان: ٨/ ١٤٨ ، ، وزاد المسير : ٩/٧ .

(٧) الكشّاف : ٦٤/٢ .

(٨) ينظر : الميزان : ٣٩٥/٧ .

(٩) تفسير السمعاني : ٤٦٢/٤ .

فالتقييد هو أن يذكر اللفظ بقرين زائدٍ في المعنى[١]، أي أنّ التقييد لا يتحقق إلاّ باجتماع صفات متعددة في اللفظ، أقلُّها اثنتان[٢]، وهذا ما لا نراه في نعت (أوّل) للرسول ﷺ ، فيبقى النعت هنا على إطلاقه، وليس أمامنا إلاّ أن تكون دلالة (أول المسلمين) بمعنى تقدّم الرتبة لا التقدّم أو السبق الزماني؛ وذلك لوجود غيره ﷺ ممّن سبقه قد اتصّف بصفة الإسلام[٣]، كما نلحظ ذلك في نعت النبي إبراهيم ﷺ في قوله تعالى :﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران: ٦٧] .

وتتجلّى من هذا النعت دلالة إقرار الرسول ﷺ لربّه تعالى وتسليمه وخضوعه له [٤]، وتبرز مستلزمات هذا التسليم المتمثّلة بعدم التكبّر، فهو كأحدهم من جهة التواضع، وتجب طاعته من جهة أخرى؛ لكونه أوّل من يعرف الشرائع والتكاليف[٥].

ولا يخفى ما في النعت من ((دلالة السبب وهي الأعمال التي يستحقّ بها الشرف بالمسبّب وهو الأوّلية))[٦]؛ لذا ((لم يُنعت بأوّل المسلمين أحدٌ في القرآن الكريم إلاّ ما يوجد في هذه الآية[٧] من أمره ﷺ أن يُخبر قومه بذلك، وما في سورة الزمر من قوله تعالى :﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[الزُّمَر:١١-١٢]...))[٨]، ممّا يدلّ على اختصاص هذا النعت بالرسول ﷺ وحده.

---

(١) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس : ٤٨ .
(٢) ينظر : البلغة إلى أصول اللغة ، أبو الطيّب السلمي : ١٢١ .
(٣) ينظر : الميزان : ٣٩٤/٧ .
(٤) ينظر : جامع البيان : ١٤٧/٨ ، وحقائق التفسير : ٢١٨/١ .
(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٥٤/٢٦-٢٥٥ .
(٦) روح المعاني : ٢٥٠/٢٣ .
(٧) الأنعام : ١٦٣ .
(٨) الميزان : ٣٩٤/٧ .

(خاتم النبيين)

الختم : الطبع[١] وخاتمُ الشيء آخره[٢]، والوصول إلى نهايته[٣].

ولم تبتعد دلالة (الخاتم) القرآنية عن دلالتها في معاجم اللغة، فقد وردت مادة (ختم) واشتقاقاتها في القرآن الكريم في ثمانية موارد، وفي جميع تلك الموارد كانت ذات دلالة واحدة، وهي الإتمام أو إنهاء الشيء كما في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:٧]، بمعنى ((طبع اللهُ على قلوبهم وعلى أسماعهم وغطّى عليها))[٤]، فالختم والطبع يتقاربان في في المعنى، ممّا جعلهما يستعملان لتغطية الشيء وبلوغ نهايته[٥].

وورد النعت (خاتم النبيين) للرسول ﷺ في موضع واحد في القرآن الكريم نعتاً خاصاً به، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠]، إذ يشعّ هذا النعت ببيان مقام من مقامات الرسول ﷺ، فيجعله خاتماً وخاتمةً للإشراقات النورانيّة الربّانيّة التي تحملُ هَدي السماء، فكان ((آخرهم لأنّه لا نبيَّ بعده إلى يوم القيامة))[٦].

فالنعت هنا كاشفٌ عن قرب الرسول ﷺ من الخالق سبحانه، وكاشفٌ أيضاً عن مرحلة التكامل والسموّ، وألمحت صيغة اسم الفاعل التي ورد عليها إلى الحالة الحركيّة التي ختم من خلالها درجات القرب فاستحقّ درجة (خاتم النبيين).

وتعكس دلالة (خاتم النبيين) للرسول ﷺ إشعاعات شفقته على أمتّه وهدايته

---

(١) ينظر : العين (ختم) : ٣١٧/١ .
(٢) ينظر : المصدر السابق .
(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة (ختم) : ٢٤٥/٢ .
(٤) معاني القرآن ، النحاس : ٨٧/١ .
(٥) ينظر : الجواهر الحسان : ١٥٠/١ .
(٦) التبيان في تفسير القرآن : ٣٤٦/٨ .

لهم، فهو كالوالد للولد الذي ليس له أحد يرعاه غيرُهُ[١]، ((فكلّ رسول أبو أمتّه لا مطلقاً، بل من حيث إنّه شفيق ناصح لهم))[٢]، يعضد ذلك الاستدراك الذي ورد النعت في سياقه في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ في الآية السابقة ، فقد سيق الاستدراك لإثبات الأبوّة المجازية اللغوية التي تقتضي التوقير والتعظيم من جانبهم ،وأمّا من جانب الرسول ﷺ فتقتضي شفقته عليهم وكمال نصحه لهم[٣].

ويتّسع هذا النعت بدلالة الشمول ، فلا يقتصر على ختم النبيين فقط ، بل هو ختمٌ شامل للنبيين والمرسلين ؛ لأنّ انقطاع الإنباء هو في الحقيقة انقطاع الرسالة[٤] ، ويؤكّد هذه الحقيقة وهذه الشمولية الآيات القرآنية والسُنّة النبويّة، فحفظ القرآن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر:٩]، فيه دلالة صريحة على عدم مجيء شريعة أخرى على يد رسول تغيّر الأحكام الواردة في القرآن المصون[٥]، زيادة على ذلك السنّة النبويّة المتمثّلة بأحاديث الرسول ﷺ التي تحملُ تحملُ دلالةً تأكيديةً على الخاتمية التي ليس بعدها رسول[٦] .

(الأمّي)

الأمّي مشتق من (أمّ)، والهمزة والميم أصلٌ واحد، يتفرّع منه أربعة أبواب،

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢١٤/٢٥ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٧٧/٤ .
(٣) ينظر : روح المعاني : ٣٢/٢٢ .
(٤) ينظر : الميزان : ٣٢٥/١٦ .
(٥) ينظر : مفاهيم القرآن ، جعفر سبحاني : ١٣٤/١٣ .
(٦) عن جابر بن عبد الله ذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ منه : ((... وسمّاني العاقب أنا عقب النبيين ليس بعدي رسول وجعلني رسول الرحمة)) كما في علل الشرائع ، القمي : ١٢٢/١ ، والخصال ، الصّدوق : ٤٢٥/٢ ، ومعاني الأخبار ، القمّي : ٥١ ، وبحار الأنوار : ٦٣/١٦ .

وهي الأصلُ والمرجع والجماعة والدّين[١]، وإنّ الأمّي منسوب إلى أصل خلقته[٢] فهو على ما ولدته أمّه من عدم المعرفة ومنها الجهل بالكتابة[٣] .

وقيل : إنّ الأمي نسبة إلى أمّة العرب التي كان أغلبها لا يعرفون الكتابة، إذ هم على أصل ولادتهم[٤] .

ووافقت دلالة النعت (الأمّي) للرسولﷺ في التعبير القرآني دلالتها في معاجم اللغة، إذ دلّ على الأصل والمرجع.

وقد ورد هذا النعت خاصاً بالرسولﷺ في موضعين من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف:١٥٧] ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ﴾ [الأعراف:١٥٨] ، وهو من أشهر نعوت الرسولﷺ وأخصّها، فلم يُنعت أحدٌ من النبيين والمرسلين في القرآن الكريم بهذا النعت سواه.

وذُكر في دلالته أقوال متعددّة، وإن كان جميعُها ناظرا إلى دلالته على الأصل والمرجع إلى الشيء المنسوب إليه، ومن تلك الأقوال :

دلالة الأمّي على عدم معرفة الرسولﷺ الكتابة والقراءة[٥]، ويترتّب على هذه الدلالة إظهار الإعجاز الإلهي المتمثّل بإتيان من لا يعرف القراءة والكتابة القرآن المعجز، ففيه إشارة كاشفة عن التضاد الذي يحمله هذا النعت، إذ الأمّية عيبٌ في الناس لكنّ نعته بها يكون مدحاً وشرفاً، وذلك كصفة التكبّر فإنّها صفةُ مَدْحٍ لله عزّ وجلّ وصفة ذمٍّ لغيره[٦].

ومن الأقوال الأخرى : إنّ النعت (الأمّي) للرسولﷺ نسبة إلى أمّ القُرى،

---

(١) ينظر : لسان العرب (أم) : ٢٢/١٢ ، وتاج العروس (أم) : ١٩١/٨ .

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة (أم) : ٢٨/١ .

(٣) ينظر : مجمع البيان : ٢٠٦/١ ، ولسان العرب (أم) : ٣٤/١٢ .

(٤) ينظر : المُغَرَّب في ترتيب المعرب، المطرّزي : ٢٨ ، و لسان العرب (أم) : ٣٤/١٢ ، وتاج العروس (أمّ) (أمّ) : ١٩١/٨ ، ومجمع البيان : ٤٨٧/٤ ، وفتح القدير : ٢٥٢/٢

(٥) ينظر : مجمع البيان : ٤٨٧/٤ ، والبرهان في تفسير القرآن ، هاشم البحراني : ٨٠٤/٤ ، وجامع البيان : ٤/٢١ ، والدر المنثور ، السيوطي : ١٤٨/٥ .

(٦) ينظر : روح المعاني : ٧٩/٩ .

وهي مكّة المكرّمة ، وهذا ما ورد عن أبي جعفر الإمام الجواد (8)[١] ، مع لحاظ أنّ الكتابة كانت عزيزةً في أهل مكّة المكرّمة[٢].

ويمكن ان يكون النعت (الأمّي) من الألفاظ المشتركة الدالّة على معانٍ متعددّة، فيشمل ما ذُكر من دلالات سابقة[٣].

وقرئ هذا النعت " الأَمّي " بفتح الهمزة ، فيدلّ على أنّه منسوب إلى الأَمّ وهو القصد ، فالرسول ﷺ مقصد للناس ، وهم يؤمّونه بأفعالهم وتشريعاتهم [٤].

ويبدو أنّ دلالة (الأمّي) على الأصل والمرجع أكثر ملاءمة للسياق الذي ورد فيه هذا النعت ، إذ ورد في سياق الاحتجاج على غير المسلمين الذين كانوا على علم تام ببعثة رسولٍ في أرض العرب، يكون مرجعا وأصلا لكل الرسالات التي سبقته .

وقد أسهم مجيء النعت (الأمي) ملازماً للنعتين (الرسول) و (النبيّ) في الإيحاء إلى تعزيز مقام عظيم من مقامات الرسولﷺ ، فالأمّية من أعظم الدلائل على نبوّته، بسبب إتيانه العلم من غير معرفة بالقراءة والكتابة[٥]، فما نزل وحيٌ على نبيٍّ نبيٍّ أمّي إلاّ على الرسول محمدﷺ[٦].

وتبرز الدقّة التعبيرية في استعمال هذا النعت التي تعمل على إلغاء جميع الحيثيات الماديّة عند الرسولﷺ ، ومن تلك الحيثيات العلوم المكتسبة كالقراءة والكتابة، ليشع لنا مقام النبوّة والرسالة الإلهيّة[٧] .

ولم يخلُ اختصاص النعت (الأمّي) بالرسولﷺ من إشارة إلى وجوب اتّباع أهل الكتاب والناس جميعاً له، فالأمّي أحد الأركان الثلاثة (الرسول ، النبيّ ، الأمّي) وهو بخط أفقي واحد مع الرسالة والنبوة ؛ ليكون الرسول النبيّ هو الأصل والأول،

---

(١) ينظر : بحار الأنوار : ١٣٣/١٦ .
(٢) ينظر : مجمع البيان : ١٤٤/١ .
(٣) ينظر : الأمثل : ٢٤٥/٥ .
(٤) ينظر :المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :٤٦٢/٢ .
(٥) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، الغرناطي : ٤٧/٢ .
(٦) ينظر : بيّنات الرسول ﷺ ومعجزاته ، عبد المجيد زنداني : ٢٨ .
(٧) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(الأمي) : ١٣٨/١ .

ويكون الرسل والأنبياء كلّهم بمثابة مقدّمين خاصّين للرسالة العامّة الأمّ المتمثّلة بالرسول النبي الأمّي محمد ﷺ[1] .

وينبغي الالتفات إلى الجنبة الإعجازية التي تتجلّى من خلال الجمع بين الضدّين، بين الأمّية وحمل علوم الكتاب المنزل[2].

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ١٠٧/٣ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣/١٥ .

المبحث الخامس :
النعوت الخُلُقيّة

رسم القرآن الكريم صورة الرسول الإنسان في ما يحمل من مشاعر رقيقة مليئة بالحنان والعاطفة على الناس جميعاً، منفتحاً عليهم من دون أن يكون مقصوراً في إشعاعاته الخلقية على المؤمنين فقط، ((وبهذا كان التجسيد الحي لكل أخلاقية الرسالة حتى تحوّل إلى قرآن يتحرّك بين الناس))[١].

فكان مصداقاً أعلى لكلّ من بنا ذاته وهذّب نفسه حتّى اتّسم بأكمل النعوت الخلقية وأفضلها فلا يدانيه فيها بشر[٢]، وكيف يُدانى من قال فيه الله عزّ وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤] .

وقد وردت نعوت خلقية للرسول ﷺ في القرآن الكريم أعرض لها كالآتي:

(الحريص)

ورد النعت (الحريص) للرسول في القرآن الكريم بلفظه صريحاً في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى :﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] .

و (حَرَص) في اللغة له دلالتان، الأولى : الشقّ[٣]، والثانية الإفراط أو الرغبة الشديدة[٤]، ولهذه الرغبة لوازم منها الاجتهاد والإرادة، والمذموميّة في الرغبة غير حاصلة في جميع موارد الحرص، بل تحصل في الموارد التي يكون فيها إفراط في

(١) تفسير من وحي القرآن : ٤٦/٢٣ .
(٢) ينظر : عقائد الإماميّة ، المظفّر : ٧٣ .
(٣) ينظر : العين (حرص) : ١١٦/٣ .
(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة (حرص) : ٤٠/٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن(حرص) : ٢٢٧ .

الرغبة[١].

وقد وافقت دلالة النعت (الحريص) للرسولﷺ في التعبير القرآني إحدى دلالتيه في التعبير اللغوي، إذ دلّ على رغبة الرسولﷺ الشديدة في هداية من بُعث إليهم ، وأكّد القرآن الكريم ذلك صراحة، فقال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة:١٢٨] ، أي حريص على نفعكم بهداية الضالّين وتوبتهم وبلوغهم محل أهل المعرفة[٢]، فالعرب تقول : حريص عليك وتعني بذلك حريص على نفعك[٣] ، إذ يمتنع أن يتعلّق الحرص بذاتهم ، بل هو متعلّق بمنفعتهم وإيصال الخيرات إليهم[٤].

ونلمُس من إطلاق النعت (الحريص) دلالة على عشق الرسولﷺ وشفقته المطلقة لما ينفعهم من خير وسعادة ورقيّ[٥]، وفي هذا الحرص العموم لموارد النفع كلّها[٦]، إذ حَذفُ المتعلّق دليل على العموم[٧]، فيتعاضد العموم والإطلاق في هذا النعت ليكشفا عن الحرص غير المحدود على هداية قومه وهي سمة نابعة من خُلُقه الكريم.

ودقة اختيار اللفظ تظهر جليّةً في انتقاء النعت (حريص) واستعماله في هذا السياق بما يناسب ما يحمله الرسولﷺ من شعور عميق نابع من النفس الإنسانية العالية ، فلمّا كان يطمع في نفع قومه أشدّ الطمع استُعملت لفظة (حريص) الصفة المشبّهة التي تدلّ على الاستقرار والثبوت[٨]، أي ثبوت حرص الرسولﷺ عليهم.

---

(١) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(حرص) : ١٩٤/٢ .
(٢) ينظر : جامع البيان : ١٠١/١١ ، و تفسير بحر العلوم : ١٠١/٢ .
(٣) ينظر : العين (حرص) : ١١٦/٣ .
(٤) ينظر : التفسير الكبير : ١٨٧/١٦ .
(٥) ينظر : الأمثل : ٢٨٤/٦ .
(٦) ينظر : المصدر السابق .
(٧) ينظر : نهاية الدراية في شرح الكفاية ، حسن الصدر : ٣٩٢/٢ ، وتفسير القرآن الكريم ، مصطفى الخميني : ٢٣٤/١ ، ١٢٠/٣ ، والمحكم في أصول الفقه : محمد سعيد الحكيم : ٦١١/١ ، وزبدة الأصول ، محمد صادق الروحاني : ٤٠٠/٣ .
(٨) ينظر : معاني الأبنية ، السامرائي : ٧٤ .

فالحرص أشدّ من الطمع[١] ، يمكن لنا أن ندرك ذلك من المواضع التي ورد فيها كلٌ من الحرص والطمع في القرآن الكريم ، منها قولُهُ تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ [البقرة:٧٥] ، فالخطاب هنا بنعت (الطمع) موجّه للمؤمنين، بينما في قوله تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ [النحل:٣٧] كان الخطاب بنعت (الحرص) مقصوراً على الرسول ﷺ ، وفي هذا ما لا يخفى من دلالة على أنّ رغبته في هداية قومه كانت أشدّ من رغبة الذين شاركوه في الخطاب الأوّل[٢].

(أُذُنُ خيرٍ)

الأُذْنُ : الجارحة بسكون الذال وضمّها فتقول : الأُذْنُ والأُذُنُ[٣] ،؛ ويُقال : رجلٌ رجلٌ أُذْنٌ وأُذُنٌ فهو مستمعٌ للشيء[٤] ، وقابلٌ لكلٌ ما يقال له[٥] ، فيصدّق كلّ أحد ، ، قال عديّ ابن زيد العباديّ[٦] :

في سماعٍ يأذنُ الشيخُ له وحديثٍ مثل ماذيٍّ مُشارْ

وورد النعت (أذن خير) للرسول ﷺ في موطن واحد من القرآن الكريم ،وذلك في قوله تعالى :﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦١] ،وافقت فيه دلالته القرآنية دلالته اللغوية، فالأذن الجارحة يُسمّى بها الرجل الذي يسمع كلّ أحد ويصدّقه من باب التشبيه كأنّه في جملته أُذُنٌ سامعة[٧]؛ وذلك لكثرة استعمال الأذن في الإصغاء[١] ، وكأنّه من فرط

(١) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ١٨٣ ، والتعريفات : ٩٠ .
(٢) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ١٨٣ .
(٣) ينظر : لسان العرب (أذن) : ١١/١٣ ، والمصباح المنير (أذن) : ١٠ .
(٤) ينظر : العين (أذن) : ٢٠٠/٨ ، وغريب الحديث ،أبوعبيد القاسم بن سلام : ٣٢٣/٣ .
(٥) ينظر : لسان العرب (أذن) : ١١/١٣ .
(٦) ديوانه: ١٩٧ .
(٧) ينظر : الكشاف : ١٩٩/٢ ، وجوامع الجامع : ٧٤-٧٥ .

استماعه صار جملته آلة السماع فسُمِّيَ بالجارحة للمبالغة[٢].

إذن يشعّ السياق الذي ورد فيه هذا النعت بدلالة الجزء على الكل (هو أذن) ، فأُطلقت الجارحة وأريد بها مجازاً الرجل السامع لكل ما يقال[٣] ، لعلاقته الجزئية؛ لأنّ من الممكن تسمية ((الشيء بالشيء إذا كان منه بسبب كما يقال للربيئة عينٌ))[٤] ، وكما في قول شرف الدين بن الفارض[٥]:

إذا مـــا بـــدت ليلـــى فكلّـــي أعـــينٌ وإن هـــي نـــاجتني فكلّـــي مســـامعُ

وهذا يدلّ على أنّ القوم كانوا بحالة من التثبّت من أن الرسول ﷺ يصدّق كلّ ما يقولون، مما دفعهم إلى إلغاء جوارحه كلّها وإثبات جارحة الأذن بمعنى أنّه سمّاع لكلّ من يحدّثه ، وهذا مسوّغ على وفق زعمهم لأن يقولوا ما يشاؤون ،فإذا عرف به الرسول ﷺ ، حلفوا له بالله تعالى ببراءتهم فيصدّقهم[٦].

وفي قوله تعالى : ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ﴾ ، نلحظ مجيء النعت مضافاً، إذ أضيف الموصوف (أذن) إلى الصفة (خير) ، والغرض من هذه الإضافة الثناء الجميل والتعظيم ، كما في قول الخليل: ((هذا رجلُ صدقٍ مضاف بمعنى نعم الرجلُ هو))[٧] فإذا قلت : مررتُ برجلٍ رجلِ صدقٍ ، كأنّك قلت : مررتُ برجلٍ صالحٍ ، إذ لا يُقصد بالصدق هنا صدق اللسان[٨] ؛ لأنّ صدق الحديث مُستحسنٌ فصاروا يطلقونه على كلّ شيء فيه معنى الحسن والجودة[٩] ، بما يلائم هذا النعت ، كما في قوله تعالى:﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥]، أي نعم الموضع هو[١٠].

---

(١) ينظر : مجمع البيان : ٧٧/٥ ، وزاد المسير : ٣١٢/٣ .
(٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٥٤/٣ .
(٣) ينظر : الكشاف : ١٩٩/٢ ، ومجمع البيان : ٧٦/٥ .
(٤) المحرّر الوجيز : ٥٢/٣ .
(٥) ديوانه : ١١٣، وجمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي :٥ .
(٦) ينظر : أسباب النزول ، الواحدي : ١٦٨ .
(٧) العين : ٥٦/٥ .
(٨) ينظر : الكتاب : ٤٢١/١ ، والمفصل في صنعة الإعراب : ١٥٠ .
(٩) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٢٨٩/١ .
(١٠) ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : ٣٦٨٨/٦ .

فهناك استعمالان لهذا النعت،الأول: النعت (أذن) مطلق بلا تحديد من المنافقين ، والثاني : النعت (أُذُنُ خير) مقيّد بالإضافة من الخالق عزّ وجلّ .

ومن هذين الاستعمالين نلحظ التغاير الدلالي بين النعتين ، إذ خُيِّل إليهم من جهلهم أنّهم استطاعوا أن ينقصوا من شأنه عندما ((وصفوه بقلة الحزامة والانخداع))[١]، فجاء النعت مغايراً لما بَنَوا عليه آمالهم ، وكان رداً عليهم، لا لهم ، ، وأنّ الرسولﷺ غاية في الجودة والصلاح[٢].

وقد كشف التغاير الدلالي في هذا السياق أيضاً عن روحيّة الرسولﷺ المتسامحة الكريمة ، تُباينها دلالة كاشفة عن نفوس أولئك المنافقين التي لا تعرف للحق سبيلا ، فيبرز صفاء الاستعداد ولطف النفس عند الرسولﷺ ممّا يوجب قبوله ما يناسبه[٣] ((فإنّ الاستعداد الخيري لا يقبل الشر ولا يتأثّر به))[٤] ، كما يُفصح هذا النعت عن سوء أدب المنافقين فقد كان الرسولﷺ يستمع إليهم فيهش لهم ويفسح صدره لحديثهم وما كان منهم إلا تحريف هذا الأدب العظيم عن وجهه الناصع[٥].

(الرؤوف)

الرأفة : مصدر مأخوذ من مادة (رأف) ، يقال : رؤف به يرؤف رأفة ورآفة ، وتدل على الرقة والرحمة [٦] ، وقيل : تدل على أشد الرحمة أو أرقّها [٧] .

والرؤوف من صفات الله سبحانه وتعالى [٨] ، فهو الرحيم بعباده ، العطوف

---

(١) تفسير البحر المحيط : ٦٤/٥ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن : ١٩١/٣ .
(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٧٧/٤ .
(٣) ينظر : تفسير ابن العربي : ١١٨/١٦ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ١٦٧٠/٣ .
(٦) ينظر : معجم مقاييس اللغة (رأف) :٤٧١/٢ ، والصحاح (رأف) : ١٣٦٢/٤ .
(٧) ينظر :المصدران السابقان .
(٨) ينظر :الأسماء والصفات ، البيهقي : ٢٤/١ ، و تفسير أسماء الله الحسنى ، الزجاج : ٢٧ .

عليهم بألطافه [١] .

وورد النعت (الرؤوف) للرسولﷺ في موضع واحد في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

ولم تفترق دلالته في القرآن الكريم عن دلالته في معاجم اللغة ، فقد ورد في سياق الآية السابقة التي اشتملت على نعوت متعددة للرسولﷺ ، شعّ جميعها ببيان ما اشتملت عليه الروح الرساليّة من شعور مليء بالرأفة والرحمة والحرص على هداية الأمة .

ونلحظ أن النعت (الرؤوف) ورد إحدى عشرة مرة في القرآن الكريم ، لازمه النعت (الرحيم) في تسعة مواضع [٢] ،واختصّ الرسولﷺ بأحد تلك المواضع كما في الآية السابقة .

ومن ثمّ ندرك ما أفاض به الخالق سبحانه على الرسولﷺ بإسباغ هذا النعت عليه ؛ ليبين ما كانت تحمله تلك الروح السامية من عطاء خلقي ،بلغ بها مقامات خلقية صاعدة نحو السماء بعطفها ورقّتها ، فلم يحظ أحد من الرسل ﷺ بجمع اسمين من أسماء الله تعالى له إلاّ الرسول محمدﷺ [٣]،وهذه سمة خلقية ورفعة اختصّ بها الرسول ﷺ ،فقد اشتقت نعوت كثيرة للرسولﷺ من أسماء الله سبحانه [٤] .

وتدلّ الملازمة بين النعتين (الرؤوف) و (الرحيم) على أنّ كلاًّ منهما يحمل دلالة يفتقر إليها الآخر ؛ لذا يؤكّد أحدهما الآخر عند اجتماعهما[٥] ، كما يشير السياق القرآني الذي ضُمَّت فيه الرحمة إلى الرأفة إلى اختصاص الرحمة بالمؤمنين

---

(١) ينظر :النهاية في غريب الحديث والأثر : ١٧٦/٢ .

(٢) ينظر الآيات الآتية : البقرة:١٤٣؛التوبة: ١١٧، ١٢٨؛ النحل:٧ ، ٤٧؛ الحج:٦٥؛النور:٢٠؛ الحديد:٩؛ الحشر:١٠ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان ، ٢٥٨/٦ .

(٤) ينظر : معترك الأقران ،السيوطي : ٣٠٠/٢ .

(٥) ينظر : زاد المسير :٣٥٤/٣ .

في هذا المقام .

ويؤكّد ما ذُكر أجواء السورة التي ورد فيها النعتان متلازمين ، فقد رفعت البسملة التي هي أمان للمخاطب من سورة التوبة ، وبرز فيها الترهيب حيث براءة الله ورسوله من المشركين والمنافقين ، ومن ثمّ يطلّ منه بعد إيحائي يتمثل بالرأفة التي تهدّئ روع المؤمنين بعد تلك الأجواء الملهبة بتعنيف الكافرين وطردهم [1] .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣٧/١٦ .

المبحث السادس :
النعوت الاجتماعيّة

يعنى بالنعوت الاجتماعية تلك النعوت التي رسمت بعض المعالم من حياة الرسولﷺ، إذ شعّت بتحمّل الرسولﷺ وصبره على المعاناة التي مرّ بها في أدوار حياته، ومن ثمّ فهي نعوت عكست المنن الإلهية عليه.

ومن النعوت الاجتماعية الصريحة للرسول الواردة في القرآن الكريم نعتا (العائل) و (اليتيم) .

(العائل)

العائل : المفتقر[١]، تقول : لا يدري الغنيّ متى يعيل ،أي متى يفتقر[٢] .

وورد النعت (العائل) للرسولﷺ في موضع واحد في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى :﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾ [الضُّحى:٨] .

ولم تخالف دلالة هذا النعت في التعبير القرآني دلالته في معاجم اللغة إلا من حيث التوسع في الدلالة ، إذ دلّ على الفقر والحاجة ؛لأنّ أوّل ما يتبادر إلى الأذهان العوز المادّي، ولعلّ هذا التبادر أقرب فهم لدلالة هذا النعت ، فقد ثبت أنّ الرسولﷺ كان عائلاً أي فقيراً محتاجاً فأغناه الله تعالى بأموال خديجة والغنائم التي غنمها[٣].

---

(١) ينظر : مجاز القرآن ،أبوعبيدة : ٣٠٢/٢ ، ولسان العرب (عيل): ٤٨٢/١١ ، والمصباح المنير (عال) : ٤٤٠ ،٣٩٢ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٢١/٣ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن ،أبوعبيدة : ١٣٠ ، والزاهر ، ابن الأنباري : ١٢٨/١ .

(٣) ينظر : مجمع البيان : ٣٤١/١٠ .

وبلحاظ أنّ جميع البشر فقراء إلى الله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] ، فلا يمكن قصر دلالة الفقر على الفقر المادّي فقط ، بل تترشّح دلالات أخرى من النعت (العائل) تتناسب مع مقام النبوّة فهناك جهات للفقر ، منها الفقر النفسي والفقر المعنوي ؛ لذا قيل : إنّ نعت (العائل) يدلّ على فقر النفس فجعل الله تعالى له الغنى الأكبر(١) ، كما في الحديث الشريف ((ليس الغنى عن كثرة العرض ولكنّ الغنى غنى النفس))(٢).

وهناك فقرٌ آخر وهو الفقر والحاجة إلى رحمة الله تعالى وعفوه ، فيُوحي النعت هنا بمنّة الله تعالى على عبده ، إذ أغناه بالمغفرة وفيوضات الرحمة الإلهيّة(٣)، بعدما كانت رغبة الرسول ﷺ شديدة في توجيه قومه وهدايتهم ، ولكنّه لا يدري ما الوسيلة التي يحقّق من خلالها الهدف المنشود ، فدلّ النعت (العائل) على الافتقار إلى معرفة طريقة الإرشاد وكانت منّةُ الله تعالى عليه بأن أغناه بالوحي(٤).

وقد ذُكر النعت (العائل) في سياق حديثٍ هادئٍ ينمّ عن عشق ومحبّة لا مثيل لهما، فهو يدلّ على حديث المعشوق عن عاشقه ، و((حين يتحدّث المحبوب عن ألطافه بحقّ العاشق الواله ، فإنّ حديثه هذا هو عينُ اللطف والمحبّة وهو دليلٌ على عنايته الخاصة، والعاشق بسماعه هذه الألفاظ تسري في جسده روحٌ جديدة ، وتصفو نفسهُ ويغمرُ قلبه سكينة وهدوء))(٥) .

ويمكن أن نستشف من النعت (العائل) دلالة تشير إلى مقام من مقامات الرسول ﷺ ، فالعائل هي إحدى منازله قبل أن يبعث نبيّاً(٦) ، ثمّ أغناه الله تعالى فجمع لرسوله مقامين ، مقام الفقير الصابر (عائلاً) ومقام الغنيّ الشاكر (فأغنى)(٧) ، فكان

---

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (عيل) : ٥٩٧ .

(٢) صحيح البخاري : ٢٣٦٨/٥ ح ٦٠٨١، ومسند أحمد : ٢٤٣/٢ ، وينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي : ٢٣٧/١٠ .

(٣) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (عيل) : ٥٩٧ .

(٤) ينظر : الكشّاف : ٢٦٥/٤ .

(٥) الأمثل : ٢٨٣/٢٠ .

(٦) ينظر : جامع البيان : ٢٩٣/٣٠ .

(٧) ينظر : تفسير ابن كثير : ٥٥٩/٤ .

يفخر بفقره ويقول : ((الفقرُ فخري))[١] ، والفقر والابتلاء سنّة إلهيّة لجميع الأنبياء ، فهم ((قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة))[٢].

(اليتيم)

اليتيم : من فقد أباه من الناس[٣] ، وأمّا في البهائم فيطلق على من فقد أمّه[٤]، وقد لخّص التهانوي (بعد١١٥٨هـ) ما قيل في أصناف اليتم عندما قال : ((اليُتْمُ إنسانٌ بلا أب ، وحيوان بلا أم ، وجوهر بلا نظير))[٥].

وعند استقراء لفظ (اليتيم) في القرآن الكريم ، ترى أنّه استُعمل مفرداً ومثنىً ومجموعاً في ثلاثة وعشرين موطناً[٦] ، وفي تلك المواطن جميعها حَمَلَ اليُتمُ دلالةً على الضعف والتفرد[٧].

وورد النعت (اليتيم) للرسولﷺ في موطن واحد من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى :﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضُّحى:٦] .

وقد وافقت دلالته القرآنية دلالته في معاجم اللغة من حيث الضعف والتفرد النَّسَبي ، واتسعت لتدل على التفرّد المعنوي .

ومن ثمّ يمكن لنا أن نلحظ فيه ثراءً دلالياً ، فهو من جهة دلّ على انقطاع الرسول ﷺ وتفرّده ، فنمّ عن حاجته إلى الإعانة والتقوية ، ومن جهة أخرى دلّ تفرّده على عدم وجود النظير والمماثل له[٨] ، فآواه الله تعالى إلى نفسه واختصّه

---

(١) جامع الأخبار ، السبزواري : ٣٠٢ ح ٨٢٨ .

(٢) نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده : ١٤٤/٢ ، وبحار الأنوار : ٤٦٨/١٤ ح٣٧ .

(٣) ينظر : العين (يتم) : ١٤٠/٨ .

(٤) ينظر : لسان العرب (يتم) : ٦٤٥/١٢ .

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي: ١٨١٢/٢ .

(٦)ينظر:البقرة:٨٣،،٢٢٠،٢١٥،١٧٧؛النساء:١٢٧،١٢٧،٣٦،١٠،٨،٦،٣،٢؛الأنعام:١٥٢؛الأنفال:٤١؛ الإسراء:٣٤؛الكهف :٨٢؛الحشر:٥٩؛الإنسان :٨؛ الفجر:١٧؛ البلد:١٥؛الضحى:٦،٩؛الماعون:٢ .

(٧) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن (يتم): ٢٣١/١٤ .

(٨) ينظر : مجمع البيان : ٥٠٦/١٠ ، وعلل الشرائع ،القمي : ١٣٠/١ .

لرسالته[١].

ويقود هذا النعت إلى معرفة مدى الارتباط بمصدر النعم وهو الله سبحانه وتعالى ، فقد ورد في سياق تقرير النعم الإلهيّة ، لبيان إفاضات الحق تعالى على رسولهﷺ منذ دخوله مسرح الحياة ، إذ عاش يُتماً مركّباً يتمثّل بفقدان الأب والأم[٢] .

ويتجلّى في هذا النعت عناية الله تعالى بعبده الذي ربّاه وحفّه باللطف بعدما وجده يتيماً – لا أب له فيرحمه ولا أمّ له فترأمه – فعلّمه من المحاسن ما علّمه وأوحى إليه ما أوحى[٣].

وبلحاظ عدم النظير والمماثل للرسولﷺ نُعِت بـــ(اليتيم) ، إذ يتجاوز اليُتم حدود الفهم العرفي له ، ليحلّق إلى معنىً أكثر لطافةً يمثّل حالة الانقطاع عن كُلِّ سبب مادّي والتعلّق والارتباط بالمُحسن القيّوم ، ففيه دلالة على أنّ المرء يعلو بِقِيمه وشرفه النفسي ، وأنّ الرفعة لا يلازمها كثرة المال ، بل يُستهجن المالُ عند ذوي العقول السليمة إن أوقع صاحبه في الرذيلة[٤] ، فندرك من السياق الذي ورد فيه النعت (اليتيم) للرسولﷺ أنّ العزّة والقوّة ليست من الآباء ولا من الأموال ، بل هي في الحقيقة من العزيز القادر سبحانه[٥] .

وتترشّح من هذا النعت جَنبَةُ الشعور بأحاسيس اليتيم ومواساته ، فحياة اليُتم لا يُدرك معاناتها إلاّ من ذاقها ، فرقّ قلبُهُ وشعر بالإنسانية تجاه اليتامى والمحرومين في زمن لا يرحم ولا يُقيم لليتيم وزناً ، قال فيليب حتّي: ((ومع أنّه كان في دور من أدوار حياته يتيماً فقيراً ، فقد كان في قلبه دائماً سعةٌ لمواساة المحرومين في الحياة))[٦].

---

(١) ينظر : تفسير العز بن عبد السلام : ٤٦٢/٣ .
(٢) ينظر : تفسير من وحي القرآن: ٣٥٦/٢٤ .
(٣) ينظر : جوامع السيرة النبوية ، ابن حزم : ٣٦٠ .
(٤) ينظر : خاتم النبيين ﷺ، محمد أبو زهرة : ٧٣/١ .
(٥) ينظر : نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ، رفاعة رافع الطهطاوي : ٥٥ .
(٦) الإسلام منهج حياة ، فيليب حتّي : ٥٤ .

المبحث السابع :
النعوت الأخرى

ويُعنى بالنعوت الأخرى النعوت التي لا تدخل تحت عنوان من عنوانات المباحث السابقة ، فهي نعوت صريحة للرسولﷺ ولكنّها وردت تدلّ على معانٍ خاصة بها ، وهي كالآتي :

(السراج المنير)

السراج : المصباح ، وجمعُهُ سُرُج[١]، وسُمّي سراجاً لما فيه من ضياء وحُسن وجمال وزينة[٢] ، فيزهر بالليل[٣] .

وورد النعت (السراج المنير) للرسولﷺ في موضع واحد في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦] ، فقد جلّى به الله تعالى ظلمات النفوس المشركة[٤].

ولم تفترق دلالة هذا النعت في القرآن الكريم عن دلالته في معاجم اللغة ، إذ دلّ على الكشف والإضاءة في كليهما إلا أن هناك توسّعا دلاليّا في الاستعمال القرآني لهذا النعت .

بيان ذلك يشع من تتبّع استعمال (السراج) في اللغة التي ثبت فيها دلالته على الإضاءة الحسّيّة ، أمّا استعماله في التعبير القرآني فيدلّ على الإضاءة المعنوية التي

---

(١) ينظر :المصباح المنير (سرج) :٢٧٢ .
(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة (سرج) : ١٥٦/٣ .
(٣) ينظر : العين (سرج) : ٣/٦ ، وأساس البلاغة (سرج) : ٢٩٢ .
(٤) ينظر : الكشاف : ٢٦٦/٣ ، و معالم التنزيل : ٥٣٥/٣ ، وأحكام القرآن ، الجصّاص : ٤٧٣/٣ .

تجلّت في النعت (السراج المنير) للرسولﷺ ، فاستضاء أهل الدين به[١] ، واهتدوا بأنواره[٢] ، إذ كانت أدلّةُ هدايته واضحة[٣]، فهو (السراج المنير) الدالُّ على نفسه بنفسه كالشمس دالّةٌ على وجودها بنفسها[٤].

وقد قُيِّد (السراج) هنا بـــ(المنير) ، فتكامل النعتُ (سراجاً منيراً) ؛ ((لأنّ من السُرُج ما لا يضيء إذا قلَّ سليطه ودقّت فتيلته))[٥] ، وفي هذا التقييد دلالة على قوّة معنى الاسم في الموصوف به ؛ لأنّ النور من لوازم السراج فيكون وصف هذا الشيء بوصفٍ قد اشتق من لفظه ، مثل قولنا : شعرُ شاعر ، وليلٌ أليل[٦].

إنّ نعت (السراج المنير) فيه إلماحٌ إلى فضيلة الرسولﷺ ، إذ لا تقتصر دلالته على الأمور الماديّة ، بل تتّسع لتشمل الأمور المعنويّة ، فتلألؤ الرسول ﷺ معنويٌ روحاني ، وتلألؤ الشمس ماديٌ ظاهري ، ممّا يدلّ على لطف التعبير بالنعت (سراجاً) للشمس وللرسول من دون القمر[٧] .

وتتجلّى لنا الدقّة المتوخّاة في اختيار هذا النعت (السراج المنير) الذي تضمّن هدوءاً تناسب مع هدوء نور الرسولﷺ الذي ((يجلو الظلمات ويكشف الشبهات، وينيرُ الطريق نوراً هادئاً هادياً كالسراج المنير في الظلمات))[٨] .

لقد ذُكرت ثلاثة نعوت للرسولﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[الفتح:٨]، على حين زيد نعتان في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦] وذلك لغرض سياقي ، ففي سورة الفتح ((وردت الآية في سياق إبطال شك الذين

---

(١) ينظر : كشف الغيب ، الثعلبي : ٥٢/٨ .
(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١٠٨/٧ .
(٣) ينظر : دقائق التفسير ، ابن تيمية : ٤٧٠/٢ .
(٤) ينظر : روح المعاني : ٢٢/ ٤٧ ، والأمثل : ٢٩٨/١٣ .
(٥) الكشّاف : ٢٦٧/٣ .
(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٥/٢٢ .
(٧) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(سرج) :٩٦/٥-٩٧ .
(٨) في ظلال القرآن : ٢٨٧٢/٥ .

شكّوا في أمر الصلح والذين كذّبوا بوعد الفتح والنصر))[١] ، أمّا في سورة الأحزاب فقد وردت ((الآية في سياق تنزيه النبيﷺ من مطاعن المنافقين والكافرين))[٢]، فكان لكلّ سياقٍ ما يناسبه ، وإنّ ورود النعت (سراجاً منيراً) في ختام نعوت الرسول ﷺ في هذه الآية فيه دلالة على شموليّته لجميع النعوت التي سبقته[٣].

(الأنفَس)

النفس تُجمع على نفوس وأنفس[٤] ، ولها دلالات متعددّة منها دلالتها على الروح[٥] ، كما تدل النفس على نفس الحيّ ، فكلُّ إنسانٍ هو نَفْسٌ[٦].

أمّا الأنفَس بقراءة الفتح فهو أفعَل من النفاسة وفيه دلالة على علو المنزلة والعظمة ،تقول : صار الشيء نفيسا أي معجبا [٧] .

وورد النعت (الأنفس) للرسولﷺ في موردين من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨][٨] ، وافقت فيه دلالته القرآنية الدلالة التي أفادتها معاجم اللغة.

وقد دلّ دقّة اختيار لفظة (من أنفَسكم) على عظمة الذات المحمدّية ، فالنعت (الأنفس) مشتقّ من النفس لشرفها ومكانتها في الإنسان[٩] ، وعلى وفق هذا فهو

---

(١) التحرير والتنوير :١٥٧/٢٦ .
(٢) التحرير والتنوير :١٥٧/٢٦ .
(٣) ينظر : المصدر السابق : ٢٨٢/١١ .
(٤) ينظر : العين (نفس) : ٢٧٠/٧ ، ولسان العرب (نفس) : ٢٣٣/٦-٢٣٤ ، و المخصّص (نفس): ١٧٩/١ .
.
(٥) ينظر : العين (نفس) : ٢٧٠/٧ ، و لسان العرب (نفس) : ٢٣٣/٦ .
(٦) ينظر : العين (نفس) : ٢٧٠/٧ ، وأساس البلاغة (نفس) : ٤٦٧ .
(٧) ينظر : المعجم الوسيط (نفس) :٦٤٠/٢ .
(٨) والآية الأخرى آل عمران : ١٦٤ .
(٩) ينظر : مجمع البيان : ١٤٧/٥ ، والتفسير الكبير : ٢٣٦/١٦ ، وتفسير السمعاني : ٣٦٢/٢ ، وأنوار

((أشدّ حساسيّةً وأعمقُ صلةً ، وأدلُّ على نوع الوشيجة التي تربطهم به))[١].

ونلحظ استعمال لفظ (منكم) أو (منهم) في هذا المقام ؛ لأنّ هذين اللفظين وردا في ثلاثة مواضع تخصّ الرسولﷺ[٢] على هذا النحو : (رسولاً منكم) و (رسولاً منهم) ، ممّا يدلّ على أنّ لفظي (منكم) و (منهم) يُستعملان في المواضع التي أُريد لها بيان مهمّات الرسولﷺ وتحديد بعض أهداف الرسالة ، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] ، فمن جملة مهمات الرسولﷺ تعليمهم وتزكيتهم ؛ لافتقارهم الشديد وحاجتهم الماسّة إلى من يرشدهم[٣].

إنّ زيادة (الأنفس) في لفظي (من أنفسكم ، ومن أنفسهم) إنّما هو بيان منّة الله تعالى على المؤمنين[٤] ، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] فقد أضيف (أنفس) إلى ضمير الغيبة ، لأنّ المقام كان مقام إظهار المنّة الإلهيّة على عباده المؤمنين التي جاءت مؤكّدة في صدر الآية السابقة .

ومن ثمّ تختلف دلالة (من أنفسكم) تبعاً لتعدّد القراءات ، فقد ورد فيها قراءتان بضم فاء (أنفُسكم) وفتحها ، وتوحي قراءة الضم بأنّ الرسولﷺ ليس بمجهول الحال، بل هو منهم ، وقريبٌ إليهم ، يعرفونه كما يعرفون أنفسهم[٥] ، كما أنّه من جنسهم بشرٌ مثلهم ؛ وذلك مدعاة لأن يفقهوا ما يدعو إليه[٦] ، إذ لو كان من جنس

التنزيل وأسرار التأويل : ١٨١/٣ .

(١) في ظلال القرآن : ١٧٤٣/٣ ، والأمثل : ٨٣/٦ .

(٢) البقرة : ١٢٩ ، ١٥١ ، والجمعة : ٢ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٤٧/٨ .

(٤) ينظر : أسرار التكرار في القرآن ، الكرماني : ٥٢-٥٣ .

(٥) ينظر : مجمع البيان : ١٤٨/٥-١٤٩ ، وتفسير مقاتل : ٧٩/٢ ، وجامع البيان : ١٠١/١١ ، ومعالم التنزيل : ٣٤١/٢ .

(٦) ينظر:معاني القرآن،النحاس:٢٧٠/٣،وحقائق التأويل،الرضي : ٣٠٨ ، والتبيان في تفسير القرآن: ٣٢٨/٥

مخالفٍ لهم لصعب الأمر عليهم[١] ، وتعكس هذه القراءة حقيقة عفاف الرسولﷺ وطهارته[٢] ، كما يؤطّر هذه المفاهيم قيد (من أنفسكم) فهو من جملة القيود التأكيديّة التي تُحدث أثراً عميقاً في إثارة عواطفهم وتحريك أحاسيسهم في الإقبال على الرسولﷺ[٣].

ومن ثمّ فإنّ قراءة ضم الفاء تدلّ على إمكانيّة النفاذ إلى أعمق مسرب من مسارب النفس والاتساع لكلّ جوانب الإنسانيّة لأنّه منهم ومن صميمهم[٤] ، فهو من أنفسنا ومتّصفٌ بهذه الصفات التي هي في غاية الكمال[٥].

أمّا دلالة قراءة فتح الفاء (من أنفَسكم) ، فهي التي نقول عنها :إنّها نعت للرسولﷺ ،وقيل : إنّها قراءة رسول اللهﷺ وفاطمة الزهراء(B)[٦] ، فقد أثمر انتقاء النعت وصياغته في هذه القراءة على (أَفْعَل) في إبراز دلالته على التميّز والتفضيل ، إذ جاءت كلمة (أنفَس) من الشيء النفيس وهو الشيء الكريم المرغوب فيه ، تقول : هذا نفيس أي عزيز المثل[٧].

(البَشَر)

البَشَرُ : الإنسانُ الواحد يقعُ على الذكر والأنثى ، ويُستعمل للواحد والاثنين

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣٦/١٦ ، والتسهيل لعلوم التنزيل : ٨٨/٢ .

(٢) ينظر : مجمع البيان : ١٤٨/٥ ، والخصائص الكبرى ، السيوطي : ٦٧/١ ، وعيون الأثر ، ابن سيد الناس : ٣٦/١ ، وتفسير نور الثقلين ، الحويزي : ٢٨٧/٢ .

(٣) ينظر : الميزان : ٤١٢/٩ ، والأمثل : ٢٨٣/٦ .

(٤) ينظر : الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، الحلبي : ١٤١/٦ .

(٥) ينظر : أضواء البيان : ٢/ ١٤٩ .

(٦) ينظر :الإتقان في علوم القرآن:٢٠٨/١،وتفسير القمّي:٣٠٨/١،والتفسير الصافي:٣٩١/٢ ،ومعجم القراءات:٤٨٤/٣ .

(٧) ينظر : المصباح المنير (نفس) : ٦١٧ ، وكشف الغيب : ١١٤/٥ ، وروح المعاني : ٥٢/١١ ، ٥٧ .

والجمع على حدٍّ سواء[١] ، قال عقيبة الأسدي[٢] :

معـــاوي إنّنـــا بشـــرٌ فأســـجح فلســـنا بالجبـــال ولا الحديـــدا

ورد النعت (البشر) صريحاً للرسول ﷺ في أربعة مواطن من القرآن الكريم، منها قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠][٣] ، وكانت دلالة الاستعمال الاستعمال القرآني موافقة دلالته في معاجم اللغة، فقد ((خُص في القرآن كلُّ موضع اعتبر من الإنسان جثّته وظاهره بلفظ البشر))[٤].

وقد عُدَّ لفظ (البشر) من الكلم القرآني، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي:((إنّ البشر في القرآن من الكلم القرآني فلم أجده في الشعر الجاهلي ممّ بين أيدينا من نصوصه الوافرة)) [٥] ، وجيء بهذا النعت لإثبات صنعة الآدميّة لكل مُرسَل ودفع أوهام وأباطيل الأفكار الراسخة في أذهان مُنكري بشرية الرسولﷺ[٦] .

ومن ثمّ يشعّ النعت (بشر) بحقيقة طبيعة الرسولﷺ الإنسانية ، إذ الطبيعة الإنسانية واحدة، ويقع التشابه والتماثل بين الطبائع الشخصية في جانب واحد أو أكثر وفي زمن قريب أو بعيد، فالبشرية قدرٌ مشترك بين الرسولﷺ وبين باقي أفراد الأمّة[٧].

وقد لازم مجيء النعت (بشر) على لسان الرسولﷺ في التعبير القرآني نعتي الرسالة أو الإيحاء في ثلاثة مواضع من المواضع الأربعة السابقة ، على النحو الآتي :

﴿ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٣] .

---

(١) ينظر : العين (بشر) : ٢٥٩/٦ .
(٢) ديوان بني أسد ،د.محمد علي دقّة :٤٦٥/٢ .
(١) والآيات الأخرى هي : الإسراء : ٩٣ ، والأنبياء : ٣ ، وفصّلت : ٦ .
(٢) مفردات ألفاظ القرآن (بشر) : ١٢٤ .
(٣) من وحي القرآن ، د. إبراهيم السامرائي : ٧٨ .
(٤) ينظر : مفاهيم القرآن : ١٤٩/٧ .
(٥) ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني : ٣١٣/٢ .

و﴿ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[الكهف:١١٠] ، و[فصلت:٦]

وفي هذا دلالة على أنّ هذه الذات إنّما هي ذات غير منسلخة عن الطبيعة البشرية ، وفي الوقت نفسه هي ذاتٌ متلقيّة متّسعة لإفاضات الخالق سبحانه[١] من خلال اتصّالها بمصدر المعرفة والإيحاء[٢].

أمّا في الموضع الرابع فقد ورد النعت (بشر) على لسان قومه ، فكان النعت مُقيّداً بقيد (مثلكم) فقط ، ولم يكن مقيدا بقيد الإيحاء أو الرسالة ، كما في قوله تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[الأنبياء:٣] ، ففيه تأكيد على بشرية الرسول ﷺ التي كانت تمنعهم من قبول الإيمان ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[الإسراء: ٩٤].

ومن ثمّ فقد كانت محاولة القوم من خلال إثبات هذا النعت للرسول ﷺ نفي الرسالة عنه ؛ لذا نرمقُ أسلوباً منطقيّاً هادئاً ، نلمسُ منه بادئ الأمر كأنّه وافقهم في اعتراضهم (أنا بشرٌ مثلكم) ، ثمّ بيّن أن لا تعارض بين البشرية والنبوة[٣] ، فأُتبعَ النعت (بشر) بقيد (يُوحى إليّ) ، وتلك نعمة منّ بها الله تعالى على من اختص من عباده[٤]، فنعت (بشر) للرسول ﷺ ليس نقصاً أو عيباً ؛ لأنّنا نلحظ أنّ النص القرآني قد شعّ ببيان بشريّته الرسالية في أعلى وأنقى مراتبها[٥] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ

---

(٦) ينظر : علوم القرآن،محمد باقر الحكيم : ٢٦١ .

(١) ينظر : نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي : ٢٠٠/١ .

(٢) ينظر : مفاهيم القرآن : ١٦٩/٤ .

(٣) ينظر : الإتقان في علوم القرآن، السيوطي : ٣٦١/٢ .

(٤) ينظر : النبي في القرآن : ٩ .

فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء:٩٠-٩٣] ، نلحظ المناسبة بين اقتراحهم المتمثّل بمطالبهم الناجمة عن العناد وبين تعجب الرسول**ﷺ** بقوله (سبحان ربي) ، والمناسبة أيضاً بين مطالبهم وبين النعت (بشر) ، إذ يدفعُ عن نفسه حالة التصرّف المطلق بهذا الوجود[١]، ويُثبت أنّه إنسان مخلوق يستمد العون من خالقه، لا يملك لنفسه شيئاً ، بل هو عاجزٌ تماماً أمام إرادة الله تعالى[٢] ، وقد جسد هذا النعت التمييز بين الذات المُلقية والذات المُتلَقّية (يُوحى إليّ)[٣] ، ففيهما بُعدان متعاكسان أحدهما بعدٌ صاعد والآخر بعد نازل[٤] .

ومن ثمّ تبقى الذات الرساليّة ببشريتها محافظة على مسارها من الأسفل إلى الأعلى ، وذلك من خلال قطع الصلة بالمُثُل المنخفضة وشدّ الإنسان البشر إلى المُثُل العليا، حيث الصعود والتكامل نحو الخالق سبحانه[٥].

ويستلزم نعت الرسول بـــ(البشر) نفي علمه بالغيب ، فلا قابلية له على أن يخرق حجب المستقبل إلاّ بالقدر الذي يُطلعه عليه الله تعالى ويعلّمه إيّاه[٦] ، ويُوحي هذا النعت بالتواضع ونبذ التكبّر من ساحة الرسالة[٧] .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥/٢١٠ــ٢١١ .

(٢) ينظر : علوم القرآن : ٢٦١ ، والنبأ العظيم ، محمد عبد الله دراز : ١٢٦ ، و مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح : ٢٨-٢٩ .

(٣) ينظر : علوم القرآن : ٢٦١ .

(٤) ينظر : المصدر السابق .

(٥) ينظر : مقدّمات في التفسير الموضوعي ، محمد باقر الصدر : ١٦٠ .

(٦) ينظر : الميزان : ١٨/١٩٠-١٩١ .

(٧) ينظر : معالم التنزيل : ٣/١٨٧ ، وزاد المسير : ٥/١٤١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٥/٣٤٠ .

الفصل الثاني:

النعوت غير الصريحة للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم

المبحث الأول : النعوت الوظيفيـــــة

المبحث الثاني : النعوت الخُلُقيّـــــة

المبحث الثالث : النعوت العباديـــــة

المبحث الرابع : النعوت الرتبيّـــــة

المبحث الخامس: النعوت التنزيهية

المبحث السادس: النعوت الأخرى

الفصل الثاني :

النعوت غير الصريحة للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم

بعد استجلاء دلالة النعوت الصريحة للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم ، كان لابُدّ لنا من دراسة أخرى نستجلي خلالها دلالة نعوت الرسول ﷺ غير الصريحة التي بيّنها الخالق سبحانه في كتابه العزيز ، ويُعنى بالنعوت غير الصريحة النعوت التي اشتُقّت من الأفعال أو المصادر الدالة عليها ، إذ يمكن أن نلحظ الوصف بالفعل الإسنادي في التراكيب التي يردُ فيها ، فقد عرض الدكتور فاخر الياسري حقيقة هذا الوصف تحت عنوان (ملمح الوصف الإسناديّ في التركيب النحوي)[١] ، مشيراً إلى أنّ هناك من ألْمع إليه إلماعاً من السابقين ، وهناك من صرّح به أو ألمح إليه من المحدثين ، ومن ثمّ يُلحظ الوصف المعنوي من خلال العلاقة الإسنادية في الفعل[٢].

وكذلك تدخل النعوت الضمنية تحت إطار النعوت غير الصريحة ، فالنعوت الضمنية هي النعوت التي تُوحي بها بعض الآيات القرآنية ، التي تنوب عنها بعض ألفاظ الآية ، لتدلّ من خلال سياقها على نعت الرسولﷺ ، كما في اشتقاق بعض الأسماء الإلهيّة بدلالة بعض الألفاظ الواردة في النص القرآني ، مثال ذلك اسم (الواقي) عزّ شأنه ، فهو اسم مشتق من قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١] ، فنابَ السربال في هذا السياق عن الاسم للدلالة عليه فكان (الواقي)[٣] ، إذ كما تولد ذلك الاسم الجليل بدلالة لفظ آخر فكذلك الأمر بالنسبة لنعوت الرسولﷺ الضمنية الأخرى .

---

(١) ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي ، د. فاخر الياسري : ١٤١.
(٢) ينظر : المصدر السابق : ١٤٤ ، ١٥٦.
(٣) ينظر : شرح الأسماء الحسنى ، صدر الدين القونوي : ١٠٦.

والقسم الثالث الذي اشتملت عليه النعوت غير الصريحة هي النعوت التطبيقيّة أو ما تسمّى بالنعوت التفسيرية ، أي ما ذكرهُ المفسرون إمّا بلحاظ السياق الذي وردت فيه أو بلحاظ الأحاديث التي تثبت تفسير بعض الألفاظ القرآنية.

وآثرت تناول نعوت الرسول ﷺ غير الصريحة على وفق الدلالة التي تشير إليها ، فجاءت في ستة مباحث كما يأتي:

١-المبحث الأول : النعوت الوظيفيّة

٢-المبحث الثاني : النعوت الخلقيّـــة

٣-المبحث الثالث : النعوت العباديّـــة

٤-المبحث الرابع : النعوت الرتبيّـــة

٥-المبحث الخامس: النعوت التنزيهيّة

٦-المبحث السادس : النعوت الأخرى

المبحث الأول:

النعوت الوظيفية

قد تمّ بيانُ المراد من إطلاق تسمية (الوظيفية) على نعوت الرسول ﷺ الصريحة آنفاً[١] ، فالمهام أو الوظائف النبويّة التي ثبتت للرسول ﷺ في القرآن الكريم كثيرة ، تناولت منها :

(التالي)

التلاوة : الإتباع أو المتابعة وهي عبارة عن ذكر الكلمة بعد الأخرى على وجه منظم ومتّسق[٢] ، وتلاوة العبارات إتيانها بصورة متتابعة وبنظام صحيح[٣] ، أي إنّ هناك مزيداً من العناية يُوجّه إلى اللفظ من دون المعنى[٤].

وورد النعت (التالي) للرسول ﷺ غير صريحٍ مأخوذاً من الفعل في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم[٥] ، كما في قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٥١] ، (رسولاً) في الآية السابقة هو محمد ﷺ[٦].

---

(١) ينظر : صفحة (٢) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة (تلو) : ٣٥١/١ ، و شمس العلوم : ٢٢٨/١.

(٣) ينظر : الأمثل : ٣٧٦/١.

(٤) ينظر : الميزان : ٣٣٣/١.

(٥) ينظر : الآيات القرآنية : البقرة : ١٢٩ ، ١٥١ ؛ وآل عمران : ١٦٤ ؛ القصص : ٥٩ ؛ الطلاق : ١١ ؛ البينة : ٢ ؛ المزّمّل : ٢٧ ، ٤٥ ، ٦٩ ، ٧١ ؛ الجمعة : ٢.

(٦) ينظر : تفسير مقاتل : ٨٧/١ ، و جامع البيان : ٥٠/٢ ، و تفسير ابن أبي حاتم : ٢٥٩/١ ، وتفسير بحر

وقد أشار الفعل (يتلو) إلى أنّ من مهام الرسولﷺ تلاوة آيات الله عزّ وجلّ ، فكان حاكياً لما يُوحى إليه بلفظه ، ولم يكن ناقلاً له بالمعنى ، بل يُوحي هذا النعت بعدم قدرة الرسولﷺ على زيادة حرف في القرآن أو نقصانه ، وإنّ اختصاص لفظ التلاوة بكتب الله عزّ وجلّ المنزّلة على عباده[١] يحمل دلالة أخرى تؤكّد على صيانة القرآن من التحريف مادامت وظيفة الرسولﷺ هي الإعلام بالآيات القرآنية كما أنزلها الخالق عزّ وجلّ .

ونلمس في هذا النعت إلماعا إلى الوظيفة التربوية التي مكّنت الرسولﷺ من النفاذ إلى قلوب قومه ، وإعداد أنفسهم إلى التزكية والتعليم من خلال الوقع الكبير الذي تثيره قراءة الآيات بصورة متتالية[٢].

ولم تبتعد دلالة (التلاوة) في معاجم اللغة عن دلالتها في التعبير القرآني ، إلا أنّ اختصاص استعمالها بالكتب المقدسة يدل على العناية بما اشتملت عليه من آيات ، لذا يُعد استعمالها في غير الكتب المقدّسة تجوّزاً لغرض العناية ليس إلاّ[٣] ، زيادة على ذلك ندرك أنّ العناية بالألفاظ لا تعني إهمال العناية بالمعنى أو الفهم والتدبّر في الآيات القرآنية ، بل إنّ النعت (التالي) يؤكّد مزيد العناية باللفظ من دون إهمال الجوانب الأخرى لتحقيق غايات أشرنا إلى بعضها.

وتفترق (التلاوة) في دلالتها عن (القراءة) ، فالتلاوة أخصّ من القراءة أي إنّ بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً ، فكلّ تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة[٤] ، وإنّ أصل القراءة جمعُ الحروف[٥] ؛ لذا يصح إطلاق القراءة على الكلمة الواحدة ، زيادة على ذلك إطلاقها على كلمات متعددّة ، فنقول : قرأ فلان اسمه ، ولا يصح القول :

العلوم: ١٢٩/١ ، و معالم التنزيل : ١٢٨/١ ، و جوامع الجامع : ١٦٦/١ ، و الأمثل : ٤٢٩/١.

(١) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السبزواري : ١٧٤/٢.

(٢) ينظر : الأمثل : ٣٧٦/١.

(٣) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١٧٤/٢.

(٤) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ١٤٠ ، والكليّات : ٤٧٣.

(٥) ينظر : مجمع البيان : ١٩٩/١ ، و ٣٩٦/٥.

تلا فلانٌ اسمه ؛ لأنّ التلاوة تكون في كلمات يتبعُ بعضها بعضاً[١].

ومما تقدّم يتبيّن لنا أنّ التلاوة فيها دلالة على ما يعرّف عظمة الخالق (عزّ وجلّ) وجلاله وجماله فيما يتعلّق بالتكوين والتشريع ، فلا يطلق التلوّ إلاّ عند إرادة التشريف الخاص أو التعظيم[٢] ، وقد جعلها الراغب ((تختص باتّباع كتب الله المنزلة تارةً بالقراءة ، وتارةً بالارتسام ؛ لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب أو ما يتوهم فيه ذلك))[٣] .

إنّ تلازم المتعلّق (عليهم) ، و (عليكم) مع الفعل (يتلو) في الآيات التي ورد فيها نعتاً للرسولﷺ بدلاً من (لديهم) فيه نكتة دلالية هيّأ لظهورها الفرق بين قوله تعالى : ﴿ يَتْـلُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الجمعة: ٢] ، وبين قول القائل : (يتلو لديهم) ، ذلك أنّ (عليهم) فيه معنى الاستعلاء ، ممّا يدّل على استعلاء الشيء بظهوره للنفس ، وإقرار تلك التلاوة ، ولا يتحقّق ذلك باستعمال المتعلّق (لديه) مع الفعل (يتلو) لأنّها بمعنى (عنده)[٤] .

(الصادع)

الصدعُ : الشَقُّ[٥] أو الفصلُ[٦] والانفراج[٧] ، والصادعُ القاطعُ بالأمر المتكلّم به به جهراً ، والفارقُ له[٨].

---

(١) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ١٤٠.
(٢) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(تلو) : ٣٩٤/١.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن (تلو) : ١٦٧ .
(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٥٥٤/٢.
(٥) ينظر : معجم مقاييس اللغة(صدع) : ٢٦٣/٣ ، والمصباح المنير(صدع) : ٣٣٥.
(٦) ينظر : تهذيب اللغة (صدع): ٦/٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن (صدع) : ٤٧٨ .
(٧) ينظر : معجم مقاييس اللغة (صدع) : ٢٦٣/٣.
(٨) ينظر : الصحاح (صدع): ٢٤٢٥/٦ ، و لسان العرب (صدع) : ٥٢/١٥ ، و إرشاد العقل السليم : ٩٢/٥.

ويُستعمل الصدع في الأمور المهمَّة الماديّة أو المعنوية[١].

وورد ضمناً غير صريح نعتاً للرسول ﷺ في موضع واحد في القرآن الكريم، وافقاً في استعماله القرآني دلالته في الاستعمال المعجمي في جانبه المعنوي، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحِجر:٩٤] ، أي فافرق بين الحقّ والباطل في هذا الأمر وامضه[٢] ، أو اقطع هذه النفس عن متعلّقاتها وتمسّك بإظهار الحقّ[٣].

ولمّا كان السياق فيه إظهار لأمرٍ مستصعب على القوم المعاندين ، كان لابدّ من انتقاء لفظٍ يلائم هذا الموقف ؛ لذا أوثر استعمال لفظة (فاصدع) بدلاً من (فاعمل بما تؤمر) ، إذ انتقاء الفعل (فاصدع) في هذا المقام لكونه أبلغ في الدلالة من الفعل الذي ينبغي أن يكون على وجه الحقيقة وهو الفعل (فاعمل)[٤].

ولم يكن الفعل (فاصدع) غريباً في نفسه ، بل هو غريبٌ للاستعارة الحاصلة فيه[٥] وسيتبيّن لنا ذلك في المباحث التي نتناولها في الفصل اللاحق ، وهذا من إعجاز القرآن في معانيه ، فقد حُكيَ : إنّ أعرابياً سجد لفصاحة الكلام عندما سمع قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ [الحِجر:٩٤][٦] ، ((أي أظهر وأعلن وصرّح بما أمرت به غير خائف))[٧] ، إذ نزلت في مكة في بداية دعوة الرسول ﷺ تحدّياً للقوم المستهزئين بدعوته ، وكسراً لشوكتهم ، يعضد ذلك دلالة ذيل الآية ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [الحِجر:٩٥] ، فاشتمل لفظ الأمر (فاصدع) على تحدٍّ موجب للإعجاز[٨].

---

(١) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن (صدع): ٢١٠/٦.
(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣١٧/١.
(٣) ينظر : الكشاف : ٣٩٩/٢ ، وأضواء البيان : ١٣٣/١٦ ، والتحقيق في كلمات القرآن(صدع) : ٢١١/٦.
(٤) ينظر : تطور البحث الدلالي ، د. محمد حسين علي الصغير : ٦٢.
(٥) ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٩٥.
(٦) ينظر : أعلام النبوّة ، الماوردي : ٧٦ ، والبرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٤٣٧/٣.
(٧) بحار الأنوار : ١١٤/٩ ، و ١٦١/١٨.
(٨) ينظر : مدخل التفسير ، محمد فاضل اللنكراني : ٦٩-٧٠.

(المُبَلِّغ)

التبليغ من مادة بلغ الدالة على الوصول إلى الشيء[١] ، وبلّغه الشيء تبليغاً أوصله إليه[٢] .

والبلاغ يدلّ على التبليغ[٣] وهو الإيصال[٤] ، وتبليغ الرسولﷺ هو إيصال إيصال كلّ ما أمر الخالق فلا يُخفي أو يكتم منه شيئاً .

وقد ورد النعت (المبلِّغ) للرسولﷺ مأخوذاً من الفعل (بلِّغ) في مورد واحد في القرآن الكريم ، دالاً على وظيفة من وظائف الرسولﷺ ، ولم يخرج في الاستعمال القرآني عن دلالته في معاجم اللغة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧] ، ففعل الأمر (بلّغ) في هذه الآية تكليف من الله تعالى بهذه المهمّة وهي التبليغ.

والخطاب بالفعل (بلّغ)مع كون التبليغ وظيفة أساسية للرسول ﷺ له دلالة عل ديمومة التبليغ من جهة [٥]، وأهمية الأمر الذي يبلّغه في هذا المقام من جهة أخرى ،فالتبليغ في الآية السابقة ليس أمرا عاديا ،بل هو تبليغ يعدل الرسالة جمعاء بدلالة قوله تعالى :﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة:٦٧] ،أي إنه تبليغ خاص ،فلا مورد لحمل التبليغ في هذا المقام على إطلاقه ،إذ إنّ إغفال التبليغ المُكلَّف به في هذا الخطاب يؤدي إلى إهمال الرسالة جميعا[٦].

---

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة(بلغ) : ٣٠١/١.
(٢) ينظر : لسان العرب (بلغ) : ٤١٩/٨.
(٣) ينظر :مفردات ألفاظ القرآن (بلغ) : ١٤٤.
(٤) ينظر :الصحاح (بلغ) : ١٣١٦/٤.
(٥) ينظر: تفسير البحر المحيط :٥٣٨/٣
(٦) ينظر:الإنصاف فيما تضمنه الكشاف :٦٣٠/١ .

وحُدّد هذا التبليغ بأنّه تبليغ له خطره فهو تبليغ بشأن ولاية علي بن أبي طالب (φ) (١) ، ومنزلة هذا التبليغ تظهر من الإنذار والتهديد في السياق القرآني الذي ورد فيه الفعل (بلّغ) (٢) .

(المُحرِّض)

التحريض هو الحض والحث الشديد المقترن بالترغيب والتزيين بما يسهّل القيام بفعل ما(٣) ؛ للتخلّص من الحَرَضَ وهو مقاربة الهلاك(٤) .

وورد النعت (المُحرِّض) للرسولﷺ بصيغة فعل الأمر في موضعين من القرآن الكريم ، وافقت فيهما دلالتهما في معاجم اللغة ، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ ﴾ [الأنفال:٦٥] ، أي حثّ المؤمنين ورغّبهم بالثواب الذي وعدهم الله تعالى به على القتال(٥) ، وذكّرهم بوعد الله ونصرته لهم على قلتهم(٦) ، وذلك أنّ من وظيفة القائد أن يعمل على رفع معنويات جيشه لتعويض النقص المادي في الجيش الرسالي(٧).

وقرئ (حَرّص) بالصاد بدل الضاد ، كما حُكِيَ ذلك عن الأخفش(٨)،وهذه قراءة الأعمش(٩) ، فدلّ على الحرص في توجيه المؤمنين ، وقيل : هذه لغة هُذَيل(١٠) ،

---

(١) ينظر : تفسير نور الثقلين :٦٤٦/١، والأصفى في تفسير القرآن:٢١٨/٤،و٩٤/٦،والميزان ١٩٣/٥.
(٢) ينظر : علوم القرآن : ٢٧١.
(٣) ينظر : كتاب العين (وضع) : ١٠٣/٣ ، والكليات : ٦٤٦.
(٤) ينظر : معاني القرآن ، النحاس : ١٦٨/٣ ، وتفسير ابن زمنين : ١٨٦/٢ ، والتبيان في تفسير القرآن : ١٥٣/٥ ، ، ومفردات ألفاظ القرآن (حرض) : ٢٢٨ ،ومدارك التنزيل : ٧٢/٢ ، والكشاف : ١٦٧/٢.
(٥) ينظر : تفسير بحر العلوم : ٣٠/٢ ، والكشف والبيان: ٣٧٠/٤ ، ومعالم التنزيل : ٦٠/٢.
(٦) ينظر : البيان في تفسير القرآن ، السيد الخوئي : ٣٥٤.
(٧) ينظر : من هدى القرآن : ٩٣/٤ .
(٨) ينظر : تفسير السمعاني : ٢٧٧/٢ ، والكشاف : ١٦٧/٢.
(٩) ينظر : تفسير البحر المحيط :٥١٢/٤ .
(١٠) ينظر: : تفسير السمعاني : ٢٧٧/٢ ، والكشاف : ١٦٧/٢، والمعجم الموسوعي : ٥٦٦.

ويُلحظ في هذه القراءة المقاربة بين دلالة كلّ من الحرض والحرص ، فيُقال : ((حارض فلان على العمل وواكب عليه وواظب عليه إذا داوم عليه))[١] ، على أنّ في (حَرِّض) شحنةً دلالية تحذيريّة تتمثّل بالشدّة في الحث مع التحذير من الهلاك[٢] ، وهذا ما لا نراه في قراءة الفعل (حَرِّص) .

وقراءة دقيقة في مواضع استعمال الفعل (حرِّض) الموجّه للرسولﷺ ، نعرف من خلالها اختصاص استعماله في المواقف المهولة والشديدة ، فقد ورد في سياق الحث على القتال ، ممّا يدلّ على ضعف النفوس وتراجعها في مثل هذه الحال، فتبرز أهمية وظيفة الرسولﷺ من خلال استعمال الفعل (حَرِّض) الدال على دوام التذكير والحث والاستمرار في ذلك ، لدلالة فعل الأمر على الاستمرارية مطلقاً[٣] ، زيادة على ذلك فإنّ هذا التحريض لا دلالة فيه على الإكراه ، بل لا إكراه إكراه حتّى لغير المسلمين على دخولهم إلى دين الإسلام .

والسياق القرآني الذي ورد فيه الفعل (حرِّض) ينبئ عن إطلاق التحريض تارةً، وتقييده تارةً أخرى ، وفي هذا ملحظٌ دلالي ، فإنّ إطلاقه في قوله تعالى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:٨٤] يُوحي بالإبهام في الشيء المحرَّض عليه ، فلم يُصرَّح بالأمرِ الذي ينبغي أن يُحرَّضَ عليه المؤمنون ، بل اكتُفي بالإشارة إلى القتال[٤] في أول الآية في قوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٨٤] ، وفي آخر الآية بقوله : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [النساء: ٨٤] ، في حين نلحظُ التصريح بالقتال في قوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال:٦٥] ممّا يدلّ على اختصاص استعمال التحريض مع القتال ، زيادة على ذلك نلحظ اختصاص التحريض بالمؤمنين ؛لأنّهم أولى بطاعة الأمر من غيرهم،ومن اختصاص التحريض

(١) تهذيب اللغة(حرض) : ١٢٠/٤.
(٢) ينظر :معاني القرآن ، النحاس : ١٦٨/٣ ، وتفسير ابن زمنين : ١٨٦/٢.
(٣) ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم اللغة ، د. محمود عكاشة : ١٠٤.
(٤) ينظر : أضواء البيان : ٥٢/٥-٥٣.

على القتال بـــ(المؤمنين) تلمّس الشافعي في أحكام القرآن دلالةً فقهيةً بكون القتال مفروضاً على الذكور من دون الإناث[١] ، وقد غُلِّط في ذلك ، إذ ذكر ابن فارس قول أبي بكر بن داود : ((وهذا من غريب ما يغلط فيه مثلُهُ ، يقول الله جل ثناؤه: (يا بني آدم) افتراه أراد الرجال دون النساء))[٢].

(المُعَلِّم)

العلم : نقيض الجهل ، يقال : رجل علاّمة للمبالغة في امتلاكه العلم ، ومن صفات الله تعالى العالم والعليم والعلاّم[٣].

وقد ورد النعت (المعلِّم) للرسول ﷺ في خمسة مواضع من القرآن الكريم[٤] ، وافقت فيها دلالته في التعبير القرآني دلالته اللغوية ، إذ أشار إلى ما كان يبذله الرسول ﷺ من جهد كبير لاستئصال الجهالة المتجذّرة في تلك المجتمعات.

ويمكن لنا أن نلحظ تقديم التزكية على التعليم في موضعين :

الأول : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران: ١٦٤] .

والثاني : قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] .

وكذلك نلحظ تقديم التعليم على التزكية في مورد واحد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩] .

---

(١) ينظر : أحكام القرآن ، الشافعي : ٢٢/٢.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة : ٣٤ .

(٣) ينظر: العين (علم) : ١٥٢/٢ .

(٤) ينظر: الآيات الآتية: البقرة :١٢٩، ١٥١ ، ١٥١ ؛ آل عمران : ١٦٤ ؛ الجمعة :٢ .

وقد قدم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة في الموضعين الأولين ؛ لأنّهما يصفان تربية الرسول ﷺ للمؤمنين ، إذ ابتدأت الآية المباركة بذكر المنّة الإلهية على المؤمنين ، ومن ثمّ فإنّ التزكية يكون لها السبق في مقام التربية على تعليم العلوم والمعارف ، بخلاف ما في الآية السابقة التي عبّرت عن دعوة إبراهيم ﷺ ، فقد تقدم فيها التعليم على التزكية ؛ لأنّها في معرض الدعاء في أن تتم التزكية والعلم بالكتاب في ذريته ، والعلوم والمعارف في هذا المقام أسبق مرتبة وأرفع درجة ــ من حيث الوقوع والاتصاف بها ــ من التزكية التي تتعلق بالأعمال والأخلاق[1] .

(١) ينظر: الميزان : ١٩/ ٢٦٥ .

المبحث الثاني :
النعوت الخُلُقيّة

سبق أن بيَّنّا المراد من النعوت الخلقية[١] ، وعليه فقد وردت نعوت غير صريحة دالة على خُلق الرسول محمدﷺ في القرآن الكريم ، سأعرض طائفةً منها :

(الصّابر)

الصبرُ ضد الجزع ، وهو الثبات[٢] و ((حفظ النفس عن الاضطراب والجزع بالسكون والطمأنينة))[٣].

وقد ورد النعت (الصّابر) للرسولﷺ غير صريحٍ بصيغة فعل الأمر (اصبر) في ثمانية عشر موضعاً من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان:٢٤][٤] ، إذ جاء الأمر بالصبر بفعل الأمر للدلالة على الثبات في احتمال أذى قومه وإهمالهم له إلى أن يأتيه أمرُ الله تعالى بقتالهم[٥] ، فوافق استعمالها القرآني دلالتها في معاجم اللغة.

وتعدّدت المتعلّقات التي وردت مع الفعل (اصبر) في القرآن الكريم ، فقد جاء

---

(١) ينظر : صفحة (٤٤) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة (صبر) : ٣٢٩/٣.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن(صبر) : ١٨٢/٦.

(٤) والآيات الأخرى هي : المدثر : ٧ ؛ المزمّل : ١٠ ؛ المعارج : ٥ ؛ القلم : ٤٨ ؛ الطور : ٤٨ ؛ ق:٣٩ ؛ الأحقاف : ٣٥ ؛ غافر : ٥٥ ، ٧٧ ؛ ص: ١٧ ؛ الروم : ٦٠ ؛ هود : ٤٩ ، ١١٥ ؛ النحل : ١٢٧ ؛ الكهف : ٢٨ ؛ طه : ١٣٠ ؛ يونس : ١٠٩.

(٥) ينظر : جوامع الجامع : ٦٩٨/٣ ، و تفسير القرآن الكريم ،عبد الله شبّر : ٥٢٩.

المتعلّق (لحكم ربِّك) في ثلاثة مواضع ، كما في قوله تعالى : ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم:٤٨] [١] ، أي لا تقابلهم بالقبيح إلى أن يحكم الله تعالى بأمرهم[٢] ، وظاهر السياق أنّ المراد بالحكم ، حكمُهُ تعالى في المكذّبين بالإمهال والإملاء والطبع على قلوبهم ، وأما الحكم الذي كُلِّف به الرسول ﷺ فهو أن يدعو إلى الحقّ وتحمّل ما فيه من الأذى في جنب الله[٣].

فالأمر في هذا المقام بالصبر تثبيتٌ لمنهج الرسول ﷺ ، والإشارة إلى عدم العجلة والابتعاد عن الغضب إذ تبعه بقوله ((ولا تكن كصاحب الحوت)) أي يونس (ﷺ)[٤] ، وفيه دلالة على مواجهة المشاكل والتحمل والصبر لرفع موانع الطريق المتمثّلة بكثرة الأعداء وعنادهم ، حتّى يستقيم في سيره على صراط الله المستقيم[٥]. المستقيم[٥].

وتتجلّى الرعاية الإلهية من خلال التعبير القرآني باستعمال (الفاء الفصيحة) في (فاصبر) لتدلّ على أنّ المؤيِّد والحامي هو الله تعالى ، يعضد ذلك انتقاء لفظة (الربّ) الدالّة على الحنوّ والرعاية[٦].

وقد استُعمل الفعل (اصبر) مع المتعلّق (على ما يقولون) بثلاثة أوجه في القرآن الكريم :

الأول : مع الفاء العاطفة ، إذا اقتضى السياق التفريع على ما سبقه[٧] ، وذلك في موردين من القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ...﴾

(١) والآيتان الأخريان هما : الإنسان : ٢٤ ؛ والنجم : ٤٨.
(٢) ينظر : مجمع البيان : ٩٩/١٠.
(٣) ينظر : الميزان : ٢٤/١٩.
(٤) ينظر : جامع البيان : ٥٥/٢٩ ؛ وتفسير بحر العلوم : ٤٦٤/٣ ، و تفسير السمعاني : ٣١/٦ ، ومعالم التنزيل : ٣٨٤/٤، ومدارك التنزيل : ٢٧٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٥٣/١٨.
(٥) ينظر : الأمثل : ٢٧٤/١٩.
(٦) ينظر : المصدر السابق .
(٧) ينظر : الميزان : ٢٣٢/١٤.

[طه:١٣٠، ق : ٣٩] ،إذ كان الأمر بالصبر على أقوال اليهود والمشركين[١] ، أي تحمَّل الأذى حتّى يفرّج الله تعالى عنك[٢].

والثاني : مع الواو العاطفة في مورد واحد ؛ وذلك في قوله تعالى : ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزّمل:١٠] ، وفيه دلالة على عمق التربية الرسالية وما تشتمل عليه من دعوة الرسول ﷺ إلى مداراتهم وإيكال أمرهم إلى الله سبحانه وتعالى[٣] ، فينمّ عن مقامٍ من مقامات الرسول ﷺ.

والوجه الثالث : من دون حرف العطف في مورد واحد ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص:١٧] ممّا يدل على شدّة الأذى بتقوّلهم عليه.

وفي قوله تعالى : ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدّثر:٧] ، آثَرَ الأسلوب القرآني مجيء الفعل (فاصبر) مع المتعلّق الذي قُدِّم عليه (ولربِّك) ، ليجلّي معنىً واسعاً وشاملاً لمفهوم الصبر في هذا المقام ، إذ الصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى المصيبة[٤] ، وفيه تعزية للرسول ﷺ[٥] ، وإنّ تقديم (الربّ) على الفعل (اصبر) في هذا السياق له دلالة على كون الصبر خالصاً وطلباً لمرضاته سبحانه وتعالى[٦] ، ، فيشع هذا النعت بالثبات والصفاء والنقاء.

(الصّفوح)

(١) ينظر : الكشاف : ١٢/٤ ، والميزان : ٢٣٢/١٤.
(٢) ينظر : جوامع الجامع : ٤٢٢/٣.
(٣) ينظر : الأصفى في تفسير القرآن : ٣٦٨/٢ ، وتفسير القرآن الكريم ، شبّر : ٥٣٧.
(٤) ينظر : الميزان : ٨٢/٢٠.
(٥) ينظر :تفسير بحر العلوم : ٤٩٢/٣.
(٦) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ١٦٠/٤ ، وتفسير البحر المحيط : ٣٦٤/٨.

الصَّفْحُ : الإعراض عن الذنب وتجاوزه[١] ، وإزالة أثره من النفس[٢]، والصفوح الكريم ؛ لأنّه يعفو عمّن أساء إليه[٣].

وورد النعت (الصفوح) للرسول ﷺ غير صريحٍ في ثلاثة مواطن من القرآن الكريم بصيغة فعل الأمر الدالّة على الدوام والاستمرار لترسيخ هذا الخُلُق بما يحمل من لطف ضمنيّ[٤] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحِجر:٨٥] [الحِجر:٨٥] ، فالخطاب موجّه للرسول محمد ﷺ أن يُعرِض ويتجاوز عن خطايا المذنبين[٥] ، إن لم يكن هؤلاء مفسدين[٦].

والصفوح صيغة مبالغة على زنة (فعول)[٧] ، وهذه الصيغة فيها دلالة على كثرة صدور الصفح عن الرسول ﷺ[٨] ، أو دوام الفعل ممّن له القوّة على الإتيان الإتيان به[٩].

ووافقت دلالته في الاستعمال القرآني دلالته في معاجم اللغة ، فهناك لطفٌ يُستشف من استعمال صيغة (فعول) ، إذ إنّ أكثر الأدوية تأتي على هذه الصيغة كاللعوق والنشوق[١٠] ، ممّا يثير دلالة على أن صفح الرسول ﷺ دواءٌ لقومه الذين كانوا يجهلون.

ويتأنَّق التعبير القرآني في دقة انتقاء لفظة (الصفح) بدلاً من (العفو) ؛ لأنّ دلالة الصفح أبلغ من دلالة العفو[١١] ، فقد يعفو الإنسانُ عمّن أساء إليه ، فيُسقط اللوم

---

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة (صفح) : ٢٩٣/٣ ، والمصباح المنير (صفح) : ٣٤٢.
(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٧١/٢ .
(٣) ينظر : لسان العرب (صفح) : ٥١٥/٢ ، وتاج العروس (صفح) : ١٢٣/٤ .
(٤) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(صفح) : ٢٤٩/٦.
(٥) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (صفح) : ٤٨٦.
(٦) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(صفح) : ٢٤٨/٦.
(٧) ينظر : لسان العرب (صفح) : ٥١٥/٢ ، ومجمع البحرين ، الطريحي : ٦١٤/٢.
(٨) ينظر : همع الهوامع : ٧٥/٣ ، والكليات : ٣٩٨ ، و معاني الأبنية : ١١٤.
(٩) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ١٢-١٣ ، ودرة الغواص ،الحريري :١٠٦ ، ومعاني الأبنية : ١١٥.
(١٠) ينظر : فقه اللغة،الثعالبي:٦٣٦/٢،والمخصّص : ١٠١/٥-١٠٢، والكليات :٣٩٩ ، ومعاني الأبنية : ١١٥.
(١١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن(صفح) : ٤٨٦ ، والكليات : ٥٦٢.

والذّم فقط[١] ، أي إنّه قد يعفو ولا يصفح[٢] ، أمّا الصفحُ فهو محو أثر الذنب والتجاوز عنه كليّاً حتى كأنْ لم يكن هناك شيء[٣] ، ممّا يدلّل على خُلُق الرسول ﷺ ، وهذا نعت اتسم به ، إذ كان صفوحاً أي متسامحاً[٤] مع المذنبين، ولم يكن عفوّاً عنهم فقط .

وقوله تعالى : ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحِجر:٨٥] ، فيه حث على عدم الحزن والابتعاد عن الغضب نتيجة صنع أعداء الدين[٥] ، فقد ((حُذف متعلّق الصفح لظهوره ، أي عمّن كذّبك وآذاك))[٦].

وما ذِكْرُ القيد (الجميل) إلاّ دلالة على العفو عنهم مع عدم النفرة منهم[٧] ، فقد نُقل عن أمير المؤمنين علي (φ) وابن عباس : أنّ الصفح الجميل هو الرضا بغيرِ عتاب[٨]،وفي قوله تعالى:﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣] [المائدة:١٣] نلحظ تقديم النعت (العفوّ) للرسول ﷺ على النعت (الصفوح) ؛ لإبراز دلالة تناسب الموقف ، فالعفو دالٌ على ترك العقوبة ، وهذه بحدّ ذاتها خطوة أولى للتجاوز عن المذنبين ، ثمّ تعضدها خطوة أخرى وهي (الصفح) الدالّة على إزالة نقطة الخلاف ومحوها من القلب[٩] ، فيتضافر (العفو والصفح) عن قبائحهم وخيانتهم وخيانتهم ، ليرسم لنا صورةً أسمى ، تشّع بالإحسان الذي هو قمّةُ الخُلُق[١٠].

والموردُ الثالث للصفح في القرآن الكريم،هو قوله تعالى:﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[الزُّخرُف:٨٩]،(فاصفح)أي أعرض عنهم بالعفو يارسول الله ﷺ

(١) ينظر : الكليات : ٥٦٢.
(٢) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن(صفح) : ٤٨٦.
(٣) ينظر : الكليات : ٥٦٢.
(٤) ينظر : المعجم الموسوعي : ٢٧٦.
(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٧٧/١٤ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) ينظر : الأمثل : ١٠٦/٨.
(٨) ينظر : أضواء البيان : ٣١٣/٢.
(٩) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(صفح) : ٢٤٨/٦.
(١٠) ينظر : في ظلال القرآن : ٨٦٠/٢.

إذ ورد الصفح أو الإعراض في سياق تهديد المجادلين المرائين[١]، وتسليةً لرسوله ﷺ[٢].

(اللَّيِّن)

اللّينُ خلافُ الخشونة[٣] ، ويدلُّ على السهولة[٤] ، والملاطفة[٥] ، وأُطلق على على الخُلُق[٦] ، يُقال : رَجُلٌ لَيْنٌ ولَيّنٌ بالتخفيف والتثقيل[٧].

وورد النعت (الليِّن) للرسول محمد ﷺ ضمناً في مورد واحد في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، أي بتوفيق من الله تعالى رفق الرسول ﷺ بمن تولاهم يوم أحد[٨] ، فقد ليَّن الله تعالى جانبه لهم[٩].

ويعرضُ القرآن الكريم صورةً لطيفةً لخُلُق الرسول ﷺ ذات أسلوب تعبيري أخّاذ من خلال الدقّة في انتقاء لفظة (لِنْتَ) بدلاً من (رفقت) ؛ وذلك لعلاقة العموم والخصوص بين اللّين والرفق ، فيتفقان في مجال المعاملة ، لكن يتفرد اللّين بمجالي اللسان والقلب ، فهو أعمُّ من الرفق[١٠].

والسياق القرآني الذي ورد فيه الفعل (لنت) في الآية السابقة خيرُ دليلٍ على علاقة اللّين باللسان والقلب ، فقد كان الرسول ﷺ ليّناً في لسانه وقلبه مع من يُريد

---

(١) ينظر:التبيان في تفسير القرآن :٢٢/٩ ،وفي ظلال القرآن: ٣١٩٦/٥ ، وتفسير القرآن الكريم: شبّر : ٤٦٣.
(٢) ينظر : الكشاف : ٤٩٩/٣ ، والميزان : ١٢٧/١٨.
(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة (لين) : ٢٢٥/٥ ، ومفردات ألفاظ القرآن (لين) : ٧٥٢، والتوقيف على مهمات مهمات التعاريف ،المناوي : ٦٣٠.
(٤) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٨٦/٤.
(٥) ينظر : الصحاح (لين) : ٢١٩٨/٦.
(٦) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (لين) : ٧٥٢ .
(٧) ينظر : لسان العرب (لين) : ٢٩٤/١٣-٢٩٥.
(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٨/٤.
(٩) ينظر : تفسير بحر العلوم : ٢٥٨/١.
(١٠) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(لين) : ٢٧٩/١٠.

هدايتهم[١] ، وإنّ هذا اللِّين كان برحمة الله تعالى ، إذ لنت لهم مع رحمة الله تعالى ، ، ويتجلّى ذلك في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[آل عمران:١٥٩] فالباء هنا للمصاحبة[٢]،وقد أفاد هذا التعبير أنّ النبع الأساس للعطف واللّين هو الله سبحانه وكلُّ ما عند البشر من رحمة هي من فيوضات رحمته تعالى.

وفي استعمال الفعل الماضي (لِنت) دلالة على أنّ هذا النعت قد صار سجيةً معروفةً عند رسول الله لا تخفى على أحد ، إذ فطره الله تعالى على ذلك الخُلُق[٣].

(المُشاور)

المشاورة تدل على استخراج شيء من شيء آخر أو إبداء الشيء وعرضه[٤].

وشاور أحدهم الآخر أخذ الرأي منه[٥] ، أي انتخب أمراً من بين أمور متعدّدة[٦] ، ويكون ذلك في الأحوال الاجتماعية أو الأمور الجزئية التي يتردّد المرءُ فيها بين الإتيان بها أو تركها ، فيستنبط الرأي من غيره[٧].

وورد نعت (المشاور) للرسولﷺ غير صريحٍ ، بصيغة فعل الأمر في موطن واحد من القرآن الكريم ، لم تفترق فيه دلالته القرآنية عن دلالته في المعاجم، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، أي استخرج آراءهم في غير

---

(١) ينظر : المصدر السابق .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤٤/٤ .
(٣) ينظر : المصدر السابق .
(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة (شور) : ٢٢٦/٣.
(٥) ينظر : لسان العرب (شور) : ٤٣٧/٤ ، ومفردات ألفاظ القرآن (شور) : ٤٧٠ .
(٦) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(شور) : ١٤٩/٦.
(٧) ينظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، الراغب الاصفهاني : ٢٩٤

الأمور التشريعيّة ، بل في شؤون الأمّة[١] ، يعضد ذلك قراءة ابن عباس (وشاورهم في بعض الأمر)[٢].

وفعل الأمر (شاور) يدلّ على الدوام والاستمرارية في المشاورة ؛ لأنّ المشاورة ذات نتائج إيجابيّة نافعة على العموم[٣].

وخُلُق المشاورة عند الرسول محمدﷺ فيه دلالة على تطييب النفوس وإيناسها[٤] ، وحصول التعاطف وإزالة الفرقة والاختلاف ممّا ((يوجب علّو شأنهم ورفعة درجتهم ؛ وذلك يقتضي شدّة محبّتهم له وخلوصهم في طاعته))[٥] ، وإنّ النعت (المشاور) فيه دلالة على زيادة البصيرة والمعرفة بطرح الآراء والأفكار ، وتشخيص الأفضل والأرجح والأصلح والأوفق لحالة من الحالات بانتخاب أفضل برنامج لهم[٦] ، بعيداً عن الاستبداد في الرأي المتفرّد الذي يوجب انطماس شخصيّة الآخرين وإماتة مواهبهم[٧] ، فليس بالضرورة أن تكون المشاورة استفادة الرسول ﷺ منها ، بل ربّما تكون لتمييز الفاضل من المفضول عند معرفة مقادير عقولهم وأفهامهم[٨].

---

(١) ينظر : تفسير بحر العلوم : ٣٦٥/١ ، و الميزان : ١٢١/٤ .
(٢) ينظر : إملاء ما من به الرحمن ، العكبري : ١٥٦/١ .
(٣) ينظر : الأمثل : ٧٤٩/٢.
(٤) ينظر : مدارك التنزيل : ٢٨٥/١.
(٥) التفسير الكبير : ٦٦/٩.
(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٥٣٤/١ ، والتحقيق في كلمات القرآن (شور): ١٥٠/٦.
(٧) ينظر : الأمثل : ٧٥٠/٢.
(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٤٧/٢.

المبحث الثالث :
النعوت العباديّة

سبق أن عرّفنا بالنعوت العبادية الصريحة[١] ، وآن لنا أن نقف عند النعوت العبادية غير الصريحة التي وردت في القرآن ، لاستجلاء دلالة طائفةٍ منها.

(المُتوكِّل)

التوكّل هو الاعتماد على غيرك في أمرٍ من الأمور والاستسلام إليه بدافع الثقة[٢] ، والتوكّل على الله الثقةُ به تعالى[٣] ، واعتماد القلب عليه[٤] ، وتفويض الأمر كلّه له تعالى[٥].

وورد النعت (المتوكّل) للرسولﷺ في القرآن الكريم بصيغتين الأولى بصيغة الفعل الماضي في أربعة مواضع ، وذلك في قوله تعالى :﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [التوبة:١٢٩][٦] ، فالمأمور بالتوكّل على الله في

---

(١) ينظر : الصفحة (٢٤) من هذه الرسالة .

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة (وكل) : ١٣٦/٦ ، ومفردات ألفاظ القرآن (وكل) : ٥٣١ ، و الصحاح (وكل) : : ١٨٤٥/٥ ، ولسان العرب(وكل) : ٧٣٤/١١ ، والتعريفات : ٩٧.

(٣) ينظر : التعريفات : ٩٧.

(٤) المصدر السابق .

(٥) ينظر : الكشاف : ١٣٢/٣.

(٦) والآيات الأخرى هي يونس : ٧١ ؛ والرعد : ٣٠ ؛ والملك : ٢٩.

هذا المقام هو الرسول محمدﷺ[1]،ودلّ زمن الفعل على ثبوت التوكّل له.

وفي لفظة (التوكّل) تراكم دلالي ، إذ نراها تتّسع لتشمل معانيَ متعددة كالثقة والاعتماد والتفويض والاستسلام أو التسليم ، والتكثيف الدلالي هنا يدلُّ على أن مقام التوكّل يشيرُ إلى رتبةٍ أعلى من رتبة كلّ واحدة من تلك المعاني ؛ لأنّه شملها جميعاً[2].

والصيغة الثانية التي ورد بها نعت (المتوكّل) ضمناً هي صيغة فعل الأمر (توكّل) ، اختص الخطاب فيها للرسول محمدﷺ في تسعة مواضع ، منها قوله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء:٨١][3].

ومن تتبّع مواضع فعل الأمر (توكّل) التي خُوطب بها الرسولﷺ في القرآن الكريم يَلحظ دقّة التناسب في اختيار الكلمة ، ففي قوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨] ، عُلِّقَ الفعل (توكّل) بالحيّ الذي لا يموت وعُدِل عن تعليقه بلفظ الجلالة (الله) الذي غالباً ما يُعلّق به كما في قوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٦١] ، والعدول في هذا السياق إنّما ورد لغرض دلالي وهو إفادة التعليل ؛ وذلك أنّ الذي لا يمكن أن يفوته شيء هو الذي يُوثق به فعلاً ، وهو الحيّ الذي لا يموت[4] .

إنّ التعليق بالحي الذي لا يموت ورد في سياق قرآني مشتمل على التعريض بالمشركين الذين التزموا آلهةً أصناماً لا حياة لها ، فنلمس من خلاله الدقّة في مقابلة عبادتهم وتوكّلهم التوهمي على أصنامهم بتوكّل الرسولﷺ على (الحي الذي لا

(١) ينظر : أضواء البيان : ١٤٩/٢.
(٢) ينظر : التعريفات : ٩٧ ، و مدارج السالكين : ١٤٧/٢ ، و المعجم الموسوعي : ٤٨٧ .
(٣) ينظر : الآيات : آل عمران : ١٥٩ ؛ الأنفال : ٦١ ؛ هود : ١٢٣ ؛ الفرقان : ٥٨ ؛ الشعراء : ٢١٧ ؛ النمل : ٧٩ ؛ الأحزاب : ٣ ، ٤٨.
(٤) ينظر : فتح القدير : ٨٣/٤ ، والميزان : ٢٣٢/١٥.

يموت)[١].

وحرف الجر (على) في هذا المقام لم يرد للاستعلاء ، بل دلَّ على الإضافة والإسناد ، أي أُضيف التوكّل وأُسند إلى الخالق تعالى ممّا يجلّي منزلة التوكّل والمُتوكِّل[٢] ، ويمكن أن يكون (على) دالاً على معنى الاستعانة كحرف الباء[٣].

وورد أمر (التوكّل) للرسول**ﷺ** مقترناً مع الاسمين العظيمين لله تعالى وهما (العزيز الرحيم) في موضع واحد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء:٢١٧] ، وفي هذا إلماعٌ إلى أنّ المقام يتطلّب نُصرةً للرسول **ﷺ** ، ويتطلّب رحمةً يرحمُه تعالى بها ، فجيء بالاسمين العظيمين لمناسبة الموقف[٤] ، و ((لأنّ العزّة كالعلّة المصححة للتوكّل والرحمة كالعلّة الداعية إليه))[٥].

(المُرتِّل)

((الترتيل في القراءة الترسّل فيها ، والتبيين بلا عجل))[٦] ، وهو مشتق من الرَّتَل[٧] ، و ((الرَّتَل والرّتِل الطيِّب من كلِّ شيء))[٨] ، فالترتيل يتضمّن التأني في في الأداء[٩].

وورد النعت (المرتّل) للرسول**ﷺ** بصيغة فعل الأمر في موطن واحد من

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير :٥٩/١٩ .
(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢٨٤/٤.
(٣) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٤٧٨/١.
(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٩/١٩ .
(٥) روح المعاني : ١٣٦/١٩.
(٦) الصحاح (رتل) : ١٧٠٤/٤ ، وينظر : لسان العرب (رتل) : ٢٦٥/١١ ، و معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج : ٢٤٠/٥.
(٧) ينظر : القاموس المحيط (الرتل) : ٣٨١/٣.
(٨) بصائر ذوي التمييز : ٣٥/٣ .
(٩) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٦٢/١٠ .

القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزّمل:٤] ، أي تمهّل في قراءة القرآن ، وهذا التمهّل يُفضي إلى إيجاد فُسْحَة للفكر في التدبّر وفهم المعاني ، فيُوحي بدلالته إلى رقّة القلب وبما يُفاض عليه من النور والرحمة[١]،فلم يخرج في دلالته القرآنية عن دلالته في معاجم اللغة.

ولم يُكتَفَ بذكر الفعل (رتّل) بل ورد مؤكدّاً بالمصدر دالاًّ على المبالغة في تمييز الحروف وإخراجها من مخرجها[٢] ، فقال أميرُ المؤمنين (φ) : ((الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقف))[٣] ، وقال الفراء : ((اقرأه على هينتك ترسّلاً))[٤] ؛ ترسّلاً))[٤] ؛ وذلك لتعظيم شأنه والترغيب في ثوابه[٥].

والترتيل فيه بُعدٌ دلالي أوسع من القراءة ، فقراءة الألفاظ القرآنية لها فضيلتها ، إلاّ أنّها تظلُّ مقدّمة لبيان محتواها بالترتيل[٦] ، إذ لا تدبُّرَ إلاّ مع الترتيل[٧].

وتفخيم الألفاظ والإبانة عن الحروف هو كمال الترتيل ، وإنّ قراءة الألفاظ بلفظ المهدّد في موضع التهديد ، وبلفظ المعظّم في موضع التعظيم واشتغال القلب في التفكّر بما يلفظ[٨] فيه دلالة على امتثال الرسولﷺ المطلق لأوامر الله تعالى ودلالة على العبادة الحقيقية[٩] ؛ ذلك أنّ الترتيل ((أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشدُّ تأثيراً في القلب))[١٠].

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣٨٧/٥.
(٢) ينظر : فتح القدير : ٣١٦/٥.
(٣) النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري : ٢٣٥/١ ؛ وينظر :الإتقان في علوم القرآن : ٢٢١/١.
(٤) معاني القرآن ،الفراء : ١٩٧/٣ .
(٥) ينظر : التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري : ٦١.
(٦) ينظر : الأمثل : ١٣٠/١٩.
(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٥٠٣/٤.
(٨) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤٥٠/١ ، والإتقان في علوم القرآن : ٢٨٣/١.
(٩) ينظر : المصدران السابقان .
(١٠) تاريخ القرآن الكريم ، محمد طاهر الكردي : ٢٠٢.

(المُسبِّح)

التسبيح : التنزيه ، وتسبيح الله تنزيهُه وتقديسه عن كلِّ ما لا يليق به من نقائص ومعايب[١] ، ويُطلق التسبيح على العبادة[٢] ، وعلى شيء مخصّص من العبادة كإطلاقه على الصلاة[٣] تجوّزاً ؛ لأنّ التسبيح جزءٌ منها[٤] ، ويتّسع بدلالته ليشمل ألفاظ الذّكر عامّة[٥].

وورد النعت (المسبّح) للرسول ﷺ في أربعة عشرَ موطناً ، وجميعها بصيغة فعل الأمر (سبِّح) كما في قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[النصر:٣][٦]،ولا يخفى ما في فعل الأمر من دلالة على الدوام والاستمرارية[٧] ، حيث التنزيه الدائم والعبادة المستمرّة والذّكر المتواصل.

ويُلحظ من الآيات القرآنيّة التي ورد فيها الفعل (سبّح) اقتران التسبيح بالحمد في سبعة مواضع ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٨][٨] ، ممّا يدلّ على الملازمة بين حمد الله تعالى وتنزيهه عن الصفات التي لا تجوز عليه ، فكأنّه يقول : الحمد لله

---

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة(سبح) : ١٢٥/٣ ، ومفردات ألفاظ القرآن (سبح) : ٣٩٢ ، والتعريفات : ٨٠ ، وفتح الباري : ٢٠٦/١١ ، ومفاهيم القرآن : ٢٤٣/١.

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة (سبح) : ١٢٥/٣.

(٣) ينظر : لسان العرب(سبح) : ٤٧٠/٢ ، والمقام الأسنى ، الكفعمي : ٧٦.

(٤) ينظر : مجاز القرآن ، د. محمد حسين علي الصغير : ١٥٢.

(٥) ينظر : فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني : ٢٠٦/١١.

(٦) كما في الآيات الآتية: الحجر : ٩٨ ؛ طه : ١٣٠ ؛ الفرقان : ٥٨ ؛ غافر : ٥٥ ؛ ق : ٣٩ ، ٤٠ ؛ الطور الطور : ٤٨ ، ٤٩ ؛ الواقعة : ٧٤ ، ٩٦ ؛ الحاقة : ٥٢ ؛ الإنسان : ٢٦ ؛ النصر : ٣ ؛ الأعلى : ١.

(٧) ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ١٠٤.

(٨) ينظر : الآيات الآتية: الحجر : ٩٨ ؛ طه : ١٣٠ ؛ غافر : ٥٥ ؛ ق : ٣٩ ؛ الطور : ٤٨ ؛ النصر : ٣.

ربّ العالمين[١] ، وهناك الملازمة بين حمد الله تعالى ، أي شكره على نعمه وبين الصلاة له جلّ ثناؤُهُ[٢] ، فتتكامل العبادة على أحسن وجه ، كما في قوله تعالى : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه:١٣٠] ، فالتسبيح دالٌّ على استمراريّة الثناء على الربِّ – سبحانه – بحمده ربّه ، كما نقول : أعجبني ضربُ زيدٍ ، أي ضربي زيداً[٣].

ويتأنّق التعبير القرآني في تراكيبه[٤]، يُلحظ ذلك في تعلّق اسم الرب بالتسبيح ، وليس الربّ نفسه ، إذ اقترن الفعل (سبِّح) بلفظة (اسم) في أربعة مواضع في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١][٥] ، ولا يدلُّ هذا التعلّق على أنّ تسبيح الربّ تعالى يكمنُ في ذكر اسمه (الأعلى) كما في الآية ، أو من خلال ذكر اسمه (العظيم) كما في سورة الواقعة في قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤] ، وقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٩٦] ؛ للاستعمال المتعارف عند العرب بزيادة الاسم في مثل هذا السياق ، فكانوا يبدؤون أعمالهم في الجاهلية بقولهم (باسم اللات والعزّى) ، أي بأسماء آلهتهم ممّا يدلّ على أن لا وجود للعمل لولا ذكرُ الإله ، فيكون الاسمُ توطئةً للمقصود لا غير[٦] ، وفي الحقيقة أنّ التسبيح موجه إلى صفة الرب سبحانه ، أي تنزيه ربوبية الرب الأعلى عن كل مالا يليق به .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٨-٤٩] ، ورد فعل الأمر (سبّح) مصاحباً للباء تارةً

(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٥٠١/٧ ، ومجمع البيان : ٣٠٥/٧ ، والأصفى في تفسير القرآن : ٨٧٣/٢ ، والميزان : ٢٣٢/١٥ ، وتفسير القرآن الكريم ،عبدالله شبّر : ٣٥٢.

(٢) ينظر : الكشف والبيان : ١٤٢/٧ ، وتفسير بحر العلوم : ٣٧٤/٣ ، وتفسير السمعاني : ٢٧/٤.

(٣) ينظر : جامع البيان : ٢٨٨/١٦-٢٨٩.

(٤) ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٢٣.

(٥) ينظر : الآيات الآتية : الواقعة : ٧٤ ، ٩٦ ؛ والحاقة : ٥٢.

(٦) ينظر : تفسير القرآن الكريم ، السيد مصطفى الخميني : ١٠٨/١.

، وبدونها تارة ً أخرى ، وعندما نحمل فعل التسبيح على التنزيه فإنّ دلالته تكون واحدة في الموضعين السابقين ، وتقديره (سبّح الله مقترناً بحمد ربّك) فهو كقول القائل : سبّحه[١].

وأمّا عندما نحملُ فعل التسبيح على الصلاة فيكون الفعل في (فسبّح بحمدِ ربِّك) أمراً بالصلاة ، والفعل الثاني (فسبّحه) أمراً بالتنزيه ، وفيه دلالة على خير الأعمال وهي الصلاة[٢].

(المُستعيذ)

الاستعاذة : مصدر استعاذ وهي مأخوذة من مادّة (عوذ) الدالّة على ((الالتجاء إلى الغير والتعلّق به))[٣]،تقول:أعوذ بالله أواستعيذ بالله ، أي ألجأ إليه وأعتصم به[٤].

وورد النعت (المستعيذ) للرسولﷺ في ثمانية مواطن من القرآن الكريم ، وبصيغتين ، الأولى : بصيغة فعل الأمر (استعذ) في أربعة مواطن[٥] ، والثانية : بصيغة الفعل المضارع (أعوذ) في أربعة مواطن أيضاً[٦].

وجاءت دلالات نعت (المستعيذ) في القرآن الكريم مطابقة لدلالتها في معاجم اللغة ، ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨] ، خُوطب الرسول محمدﷺ[٧] بفعل الأمر (فاستعذ) الدالّ على الدوام والاستمرارية[٨] ، فينبعث منه تأكيد الدوام والاستمرار في طلب المعونة ؛ وذلك بالالتجاء إلى الله سبحانه مدّة دوام قراءته ، إذ أُمِرَ ﷺ أن يوجد الاستعاذة بذاتها

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٨٦/٢٨.
(٢) ينظر : المصدر السابق .
(٣) مفردات ألفاظ القرآن (عوذ) : ٥٩٤ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٦٠٢/٣.
(٤) ينظر : العين(عوذ) : ٢٢٩/٢ ، والمصباح المنير(عوذ) : ٤٣٧ ، وإعراب ثلاثين سورة ، ابن خالويه : ١٣.
(٥) ينظر : الآيات الآتية : الأعراف : ٢٠٠ ؛ والنحل : ٩٨ ؛ وغافر : ٥٦ ؛ وفصّلت : ٣٦.
(٦) ينظر : الآيات الآتية : المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨ ؛ والفلق : ١ ؛ والناس : ١.
(٧) ينظر : مجمع البيان : ٩٨/٦ ، وفقه القرآن : ١١٨/١ ، والتفسير الكبير: ٧٣/١.
(٨) ينظر : الزمن في القرآن الكريم ، د. بكري عبد الكريم : ٢٤-٢٥.

طول مدّة القراءة ؛ لذا انتقى لفظة (استعذ بالله) ، ولم يستعمل لفظة (أعوذ بالله) ، فهذا اللفظ لا يُوجد الاستعاذة ذاتها في النفس ، بل يوجد معنى الاستعاذة[١] وهو أسلوبٌ قرآنيٌ اكتُفي فيه بإطلاق المسبّب وإرادة السبب ، إذ التقدير (إذا أردت قراءة القرآن فقل أعوذ بالله)[٢].

إنّ تصدير بعض آيات الاستعاذة بفعل الأمر (قُلْ) ، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق:١][٣] ، يشعُّ بملحظ دلالي ، إذ الإعلان عن حالة الضعف الضعف والحاجة إلى الربّ المتعال ، فلا يُكتفى بشعور الاحتياج ، بل يُعلَمُ بذلك صراحةً ، ويلازم ذلك الإعلان إيحاءٌ بالتواضع والقتل لأمراض النفس المتمثّلة بالعجب والكبر والغرور[٤].

ويُلحظ في استعاذة الرسول ﷺ أنّها وردت في سياقٍ خالٍ من أحرف التوكيد، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] ، وفي ذلك مَلْمَحٌ دلاليّ كاشفٌ عن حال الرسول ﷺ ، إذ لم يكن مُهدَّداً على وجه الخصوص ، فمواطن التهديد تحتاج إلى توكيد ، وأمّا إن كانت أخَفَّ وطأةً من ذلك فيناسبها عدم التوكيد[٥].

ويتجلى التعبير القرآني في إعادة اللفظ ليُحِدث أثراً دلالياً ملائماً في السياق الذي يردُ فيه ، إذ يُلحَظُ ذلك في تكرّر الاستعاذة في قوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨] ، وإعادة الفعل (أعوذ) بلفظه فيه دلالة توكيدية تتناسب مع ما يشقّ على النفس الإنسانيّة من دفع السيئة بالحسنة ، فالسياق الذي وردت فيه هذه الاستعاذة وفّر مساحةً لعلاج تلك

(١) ينظر : الميزان : ٣٤٣/١٢-٣٤٤.
(٢)لسان العرب(عوذ) : ٥٨٢/٢ ، وينظر : مغني اللبيب ، ابن هشام الأنصاري : ٦٨٩/٢، ومجمع البحرين : ٥٦٥/٣ ، والميزان : ٣٤٤/١٢.
(٣) ينظر : المؤمنون : ٩٧ ، والناس : ١.
(٤) ينظر : على طريق التفسير البياني ، د . فاضل السامرائي : ٢٥/١.
(٥) ينظر: المصدر السابق : ٢٨/١.

النفوس ، إذ سبق الاستعاذة في الآية السابقة قوله تعالى : ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩٦][١].

وفي قوله تعالى : ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١-٣] وردت الاستعاذة متعلّقةً بصفة الربّ والملك والإله ، أي ثلاث صفات له تعالى في قبال شر الشيطان ، وأمّا الاستعاذة في قوله تعالى :﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلَق:١] ، فوردت متعلّقة بصفة الربوبية فقط في قبال شرور متعدّدة ؛ للدلالة على أن شرّ الشيطان ووسوسته أخطرُ على الإنسان من الشرور الأخرى[٢] ، وإنّ تعدّد الصفات الإلهية المتمثّلة بالرب والملك والإله في سياق واحد يدلّ على كمال استعاذة الرسول**ﷺ** فهي استعاذةٌ حقيقية لا يتطرّق إليها الضعفُ أو العجز[٣].

للمتعلّقات أثرٌ بالغٌ في تنوّع الدلالة في التعبير القرآني الذي ترد فيه وذلك من خلال تغيّر مواقعها في التراكيب ، ومن تلك المتعلقات الجار والمجرور الذي ليست له رتبة محفوظة في النظام اللغوي[٤] ، فيرتبط بالمسند لعناية خاصّة تتجلّى من خلال السياق ، وليست الرتبةُ فقط عاملاً مؤثراً في توجيه دلالة التركيب الذي ترد فيه ، بل إنّ اختلاف متعلّقاتها يُوحي بمداليل متعدّدة ، ومن هنا فإنّ اختلاف تعلّق الاستعاذة بـــ(ربّ الفلق)[٥] تارةً ، وبـــ(ربّ الناس)[٦] أخرى ، يدلُّ على أن هناك نوعين من الاستعاذة ، فسورة الناس كانت الاستعاذةُ فيها من أمرٍ تكليفيّ ، أي يقدرُ

---

(١) ينظر : على طريق التفسير البياني: ١/٣٩-٤٠.

(٢) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٨/٥٣٢،وفي ظلال القرآن:٦/٤٠١٠ ،وعلى طريق التفسير البياني : ١/٤٥.

(٣) ينظر : تفسير سورة الناس ، السيد جعفر العاملي : ٨.

(٤) ينظر : اللمحة في شرح اللمحة ،الصايغ:٢/٥٦١،ورسائل الإمام علي**ؑ** في نهج البلاغة (دراسة لغوية) ، رملة خضير مظلوم : ٢٧٢.

(٥) ينظر : [الفلق : ١].

(٦) ينظر : [الناس : ١].

عليه الإنسان ، أمّا في سورة الفلق فالاستعاذة كانت من شيءٍ خارج الإرادة والتكليف [١] .

والقرآن الكريم شديد الدقّة في انتقاء الكلمات التي تؤدّي المعنى المراد ، ((حتى يكاد السامعُ يؤمنُ بأنّ هذا المكان خُلِقت له هذه الكلمة بعينها ، وأنّ كلمةً أخرى لا تؤدّي المعنى الذي أفادته أختها))[٢] ؛ لذا إنّ اختيار لفظة (أعوذ) يشيرُ إلى الدقّة المتناهية في انتقاء الألفاظ القرآنية ذات الميزة الجمالية ، فاستُعملت (أعوذ) بدلاً من (ألوذ) ، لم تشتمل عليه (أعوذ) من معنىً يجعلها تتّسع لتضمَّ بين جوانحها إيحاءات تدلُّ على التذكّر والتوكّل[٣] ، وبذلك استبطن هذا النعت في دواخله معنىً أوسع من (ألوذ) فدّل على اللجوء والاستجارة لحماية نفسه ، في حين دلّ (ألوذ) على الاختباء أو الالتجاء فقط[٤].

(١) ينظر : على طريق التفسير البياني : ٢٤/١.
(٢) بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي :١٢٣.
(٣) ينظر : الميزان : ٣٨١/٨ ، والأمثل : ٥٨٢/٢٠.
(٤) ينظر : تفسير سورة الناس : ٨.

المبحث الرابع :
النعوت الرُّتَبيّة

الرَّتَب : المشرفُ من الأرض ، أي المرتفع منها ، كالدَّرَج وجمعه رَتَبٌ ، والمرتبةُ دالّةٌ على المنزلة عند ذوي الشأن(١).

وعلى وفق ذلك فالمراد من النُّعوت الرتبيّة أو المقاميّة هي النعوت التي دلّت على شرف الرسول ﷺ ومكانته عند الله تعالى ، بما منّ عليه الخالق ، فهي هبةٌ إلهيّة أفاض بها الخالق على عبده محمد ﷺ ، وقد كثر ذكرها في القرآن الكريم ، فوقفتُ على طائفةٍ منها :

(الأمان)

الأمان : اطمئنان النفس ، ورفع كلّ ما يخيف ويُوحش(٢).

ورد النعت (الأمان) للرسول ﷺ ضمناً في مورد واحد من القرآن الكريم ،

(١) ينظر : العين (رتب) : ١١٥/٨ ، ومعجم مقاييس اللغة (رتب) : ٢٤٦/٢.

(٢) ينظر:المصباح المنير (أمن) :٢٤، ومفردات ألفاظ القرآن (أمن) : ٩٠ ، والتحقيق في كلمات القرآن(أمن) : ١٠٥/١.

وذلك في قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣] ، فكأن القول : إن الله يعذّبهم لو لم تكن بينهم[١] ، إذ إنّ سبب إمهالهم والرفق بهم إقامةُ الرسولﷺ بين أظهرهم ممّا يدلّ على فضله ومكانته عند الله تعالى[٢] ، فقد كنّى الله تعالى عن استحقاقهم للعذاب[٣] ، وأنّ المانع من عذاب الاستئصال – العذاب الجماعي – هو وجودُهُ المباركﷺ[٤] ، مع الالتفات إلى أنّه لا مانع من عذاب الأفراد المعاندين[٥].

إنّ الخطاب القرآني الذي ورد فيه نعت (الأمان) كان موجّهاً إلى الرسول مباشرةً ، إذ قال : (وأنت فيهم) ، ولم يقل (وفيهم رسولُهُ) ، ليثيرَ جماليةً خاصّةً بالتعبير المباشر التي تحمل في أثنائه لطافةً دالّة على كرمه[٦].

ويُلحظُ في التركيب الذي أوحى إلى نعت (الأمان) مجيء الفعل المضارع (يعذّبهم) مسبوقاً بالفعل الماضي (كان) ، فصار هذا الأخير قيداً من قيود الفعل التي تحدّد علاقة الزمان به ، فيُعَدّ زمن الفعل المضارع مُستقبلاً مقيّداً ، ويُطلقُ على مثل هذا التركيب في اللغات الأجنبية (حكاية المستقبل الروائي)[٧].

وقد دلَّ الفعل الماضي (كان) مع الفعل المضارع (ليعذّبهم) في تركيب واحد على الزمن المستقبل ؛ لدلالة لام الجحود في الفعل (ليعذّبهم) على الاستقبال الذي أخذته من المجاورة ، إذ سبقت (أن) المضمرة التي تدل على الاستقبال ، أو لأنّها تقوم مقام (أن) فتطلب المستقبل[٨] على الرغم من اجتماعها مع الفعل الماضي (كان) (كان) الدالّ بالوضع على المضيِّ.

والسياق القرآني لا يُقرُّ بما حكم به النحاة من دلالة هذا التركيب على المستقبل

---

(١) ينظر : الكشاف : ١٥٦/٢.
(٢) ينظر : مجمع البيان : ٤٦٠/٤.
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٣٣/٩.
(٤) ينظر : أحكام القرآن ، الجصاص : ٦٤/٣ ، والميزان : ٦٨/٩ ، والأمثل : ١١/١٩.
(٥) ينظر : الأمثل : ١١/١٩.
(٦) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٣٣/٩.
(٧) ينظر : الأزمنة في اللغة العربيّة ، فريد الدين آيدن : ١٤.
(٨) ينظر : كتاب اللامات ، الزجّاجي : ٦٨.

وحده[١] ، بل فيه دلالة على سريان الزمن من المضيّ وانطلاقه إلى زمن استقبالي يحدّده ظرف زمني آخر[٢] ، فلا يُعذّبهم الله تعالى مادام فيهم رسولُهُ الكريم ، إذ هو أمانٌ لهم ، ويُرفَعُ عنهم هذا الأمان متى فارقهم فيصيبهم ما رصدوا به من عذاب[٣]. عذاب[٣].

ونعته**ﷺ** بالأمان دليل على مقامه وشرفه عند الله تعالى ، إذ جعله سبباً لأمان عباده ، زيادة على ذلك نلحظ في هذا النعت إيماءً إلى أنَّ الاقتران بأهل الصلاح مدعاةٌ لرفع العذاب[٤].

(ذوالسّكينة)

السكينة :الاستقرار والثبات وهي ضد الاضطراب والحركة[٥] ، وتدلّ على الوقار والتأنّي ، قال الشاعر[٦] :

لله قبـــرٌ غالهـــا مـــاذا يُجِـــنْ نَ لقـــد أجـــنَّ ســـكينةً ووقـــارا

وقد تدلُّ السكينة على الرحمة والنصر[٧] ، وهي الطمأنينة التي يسكن بها اضطراب القلب[٨].

وورد النعت (ذو السكينة) للرسول**ﷺ** في ثلاثة مواطن من القرآن الكريم[٩]، وفي جميعها كانت لفظة (السكينة) دالَّةً على الطمأنينة ، لقول ابن عباس : ((كلُّ سكينةٍ في القرآن فهي طمأنينة إلاّ في سورة البقرة))[١٠] ، ففي قوله تعالى : ﴿إِذْ

(١) ينظر : الزمن في القرآن الكريم : ١٦٢.
(٢) ينظر : المصدر السابق .
(٣) ينظر : الكشاف : ١٥٥/٢-١٥٦.
(٤) ينظر : جواهر البحار من فضائل النبي المختار **ﷺ** ، الشيخ يوسف النبهاني : ٢٩٧/٢.
(٥) ينظر : معجم مقاييس اللغة (سكن) : ٨٨/٣ ، والصحاح (سكن) : ٢١٣٦/٥.
(٦) ينظر : لسان العرب (سكن) : ٢١١/١٣ ، والبيت لأبي عُريف الكلبي .
(٧) ينظر : لسان العرب (سكن) : ٢١٣/١٣ ، والنهاية ، ابن الأثير : ٩٧١/٢.
(٨) ينظر : التعريفات : ١٢٥ ، والتوقيف على مهمات التعاريف : ١٩٦ ، ومدارج السالكين : ٥٢٥/٢.
(٩) الفتح : ٢٦ ؛ التوبة : ٢٦ ، ٤٠ .
(١٠) مدارج السالكين : ٥٢٥/٢ ، وبصائر ذوي التمييز : ٢٣٩/٣ ، وينظر: الدر المنثور : ٣١٧/١ ، والتنبيه

جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦] ، أي أفاض عليه بالطمأنينة والوقار ، وثبتهم الله تعالى على الرضا والتسليم[١].

ويمكن لنا ان ندرك قوّة السبك في الألفاظ المستعملة في سياق الآية السابقة التي ورد فيها النعت (السكينة) للرسول ﷺ ، من خلال الدقّة في انتقاء الألفاظ إذ استعمل (جعل) في حقِّ الكافر ، في حين استعمل (أنزل) في حقِّ المؤمن ؛ للدلالة على أنّ الحميّة كانت مجعولةً في الحال عرضاً زائلاً وليست محفوظةً كالسكينة في خزائن رحمة الله ومُعدَّة لعباده[٢] ، كذلك ذُكر في سياق هذه الآية (الحميّة) مضافةً إلى (الجاهلية) ، والحميّة صفة مذمومة زادها قُبحاً إلى الجاهليّة ، بخلاف (السكينة) فهي صفة ممدوحة وإضافتها إلى الله تعالى فيها من الحُسْن ما فيها[٣] ، فلا يظلم ولا يطغى على أحد[٤].

وفي قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا...﴾ [التوبة:٤٠] ، أي انزل سكينته على الرسول ﷺ حتى اطمأنَّ[٥] ، وقد عُطِف الفعل (فأنزل) بالفاء وليس بالواو لترشُح منه دلالة المقابلة بين الحالين ، بين حال الكفّار وبين حال الرسول ﷺ[٦].

والرد ، محمد الملطي : ٧٧.

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٩/١٦.

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٠٢/٢٨.

(٣) ينظر : المصدر السابق .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٣٢٩/٦.

(٥) ينظر : مجمع البيان : ٥٨/٥ ، وتفسير بحر العلوم : ٦٠/٢.

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ١٠٢/٢٨.

فسكينة الرسول ((هي ما ينزله الله على أنبيائه من الحياطة لهم والخصائص التي لا تصلُحُ إلاّ لهم))[١] ، فهي هيأة نفسانية تفترق عن الوقار الذي هو هيأة بدنيّة[٢] ؛ لذا هي ليست كباقي معاني الطمأنينة بل ((هي نوعٌ خاصُ من الطمأنينة النفسانية))[٣] ، ذكرها الله تعالى في مورد المنّة الإلهية على الرسولﷺ وعلى المؤمنين، وخصّها بفعل (الإنزال) للدلالة على أنّها حالة إلهيّة يختصّ بها من كان قلبهُ طاهراً ومستعداً لقبول الفيض الإلهي ، وهذا الرَوْحُ الإلهي يقتضي ((سكينة القلب واستقرار النفس وربط الجأش))[٤].

(ذو الفُتوح)

الفتحُ : الحكمُ[٥] ، والقضاء[٦] ، وفَتْحُ الله تعالى نَصرُهُ[٧].

وورد النعت (ذو الفتوح) للرسولﷺ بصيغة الفعل الماضي في موطن واحد من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] ، (فتحْنا) أي قضينا وحكمنا لك حكماً بيّناً ظاهراً ، وقضاءً عظيماً[٨].

وتختلف دلالة الفعل (فتحنا) من حيث الزمن تبعاً لقرائن تاريخية ، فقد يُرادُ به زمن المستقبل عند من حمل الفتح على أنّه فتح مكّة ، إذ نزلت الآية قبل فتح مكّة عند عودة الرسولﷺ من الحديبيّة ، وهي بالتالي تعده بالفتح[٩] ، ومعهود أنّ

---

(١) المحرر الوجيز : ٣٦/٣.
(٢) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ٢٨١.
(٣) الميزان : ٢٢٤/٩.
(٤) المصدر السابق : ٢٩١/٢.
(٥) ينظر : معجم مقاييس اللغة (فتح) : ٤٦٩/٤.
(٦) ينظر : المصباح المنير(فتح) : ٤٦١.
(٧) ينظر : كتاب الأفعال ، ابن القطّاع : ٤٥٥/٢.
(٨) ينظر : لسان العرب (فتح) : ١٠٤٤/٢ ، والإتقان في علوم القرآن : ١١٦/١ ، وجامع البيان : ٥٦٤/١٢. ٥٦٤/١٢.
(٩) ينظر : الكشاف : ٥٤٠/٣ ، ومجمع البيان : ١٨٢/٩ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٩٩/٥.

الفعل الماضي يُطلق على ما يسبق زمن المتكلّم[١] ، عندما ننظر إليه بصفة زمن وجوده من دون النظر إلى زمن الإخبار عنه[٢] ، إلاّ أنّ زمن الماضي قد ينصرفُ إلى المستقبل تبعاً لاستعماله في السياق ، للدلالة على تحقّقه وتيقّن وقوعه[٣].

ومن سنن العرب أنّها تستعمل لفظ الماضي ويُرادُ به المستقبل كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:١] ، بمعنى (يأتي)[٤] ، وهذا الاستعمال مُعتادٌ في أخباره سبحانه وتعالى ، لما فيها من التيقّن بوقوعها ، فنزلت منزلة الحادثة الموجودة ، وفي ذلك دلالة على علوّ وفخامة ومنزلة شأن المُخْبِر[٥] ، وكذلك شأنُ المُخْبَر وهو الرسول محمدﷺ، فلم يكن الفتح لأحدٍ من الأنبياء (عليهم السلام) غير رسول اللهﷺ ، يعضد ذلك تقييد الفتح المتعلّق (لك) ، أي خاصاً به وإكراماً له ، وفي هذا عظيمُ المنّة[٦].

والقرائن في أجواء السورة تشيرُ إلى أنّ هذا الفتح فتحُ الحديبية الذي مثّلَ أهم أسباب فتح مكّة[٧] ، وبهذا يكون الفعل الماضي مستعملاً في هذا السياق بدلالته المتعارفة وهي المضيّ لا غير.

وقد وقع الفعلُ (فتحنا) ممزوجا بقرائن توكيدية تشع ببيان الرعاية الإلهية ، وتدلّ على منن الله غير المتناهية على الرسولﷺ ، كما أنها بينت ما لهذا الفتح من شأن وعظمة[٨].

وورد (الفتح) بصيغة المصدر فكان مقيَّداً في ثلاثة مواضع ، ومطلقاً في موضع

---

(١) ينظر : نحو الفعل ، د. أحمد عبد الستار الجواري : ٣٠.

(٢) ينظر :شرح المفصّل،ابن يعيش :٧/٤ ،والبحث النحوي عند الأصوليين ، د. مصطفى جمال الدين : ١٥١. ١٥١.

(٣) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ١٢/٤ ، ومعاني النحو ، د. فاضل السامرائي : ٢٧١/٣ــ٢٧٢.

(٤) ينظر : فقه اللغة وسرّ العربية : ٥٧٣/٢ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٥٤٠/٣ ، والإنصاف فيما تضمّنه الكشاف : ٥٤١/٣ ، والتفسير الكبير : ٧٧/٢٨ ، وإرشاد العقل السليم : ١٠٣/٨.

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ٨٠/٢٨.

(٧) ينظر : تفسير بحر العلوم :٨٨/٤،وتفسير القرآن الكريم،عبد الله شبّر:٤٧٧ ، والميزان : ٢٥٢/١٨-٢٥٣ . .

(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٨٠/٢٨ ، والميزان : ٢٥٢/١٨.

واحد ، أمّا مواضع التقييد فهي على النحو الآتي :

الأول والثاني : في قوله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨] ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] ، إذ قُيِّد الفتح هنا بالقريب ، والمراد به فتح الحديبية[١] ، وقيل : هو فتح خيبر[٢].

والثالث في قوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] ، فقد قُيِّد الفتحُ في هذا المقام بأنّه مبين ، وذُكر هذا الفتح أنه فتح الحديبية[٣] وفي هذا التقييد دلالةٌ على قرب هذا الفتح وظهوره بما يُبشّر به الرسول ﷺ والمؤمنون الذين كانوا معه.

وأمّا مجيئه مصدراً مطلقاً من دون تقييد فكان في مورد واحد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] ، ودلَّ على الدقّة المتناهية في انتقاء هذا النعت إذ أريد من إطلاق الفتح هنا رفعُ كلِّ عائقٍ ماديٍّ أو معنويٍّ يقفُ في طريق المسيرة الرسالية التي جاء بها الرسول محمد ﷺ[٤].

(المرضِيّ)

الرضا : ترك السُخْط[٥] ، ((ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به

(١) ينظر : معالم التنزيل : ١٩٤/٤ ، والميزان : ٢٩٠/١٨.

(٢) ينظر : تفسير مقاتل : ٢٥٣/٣ ، وجامع البيان : ١٤٠/٢٦ ، ومدارك التنزيل : ١٥٦/٤ ، وإرشاد العقل السليم : ١١٣/٨ .

(٣) ينظر : تفسير القرآن ، عبد الرزاق الصنعاني : ٢٢٥/٣ ، و جامع البيان : ٩٠/٢٦.

(٤) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(فتح) : ١٦/٩.

(٥) ينظر : معجم مقاييس اللغة (رضي) : ٤٠٢/٢ ، والتوقيف على مهمّات التعاريف : ٣٦٥ ، و مدارج السالكين : ١٧٧/٢.

قضاؤُهُ))[1].

وورد النعت (المرضّي) للرسولﷺ بصيغة الفعل المضارع في موطنين من القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه:١٣٠] ، ذُكر أنّ الكسائيَّ وأبا بكر قرءا الفعل (تُرضى) بضمّ التاء ، ليدلّ على أنّ الرسول ﷺ يُرضى بما يُعطاه من الشفاعة والثواب وما يناله من رتبةٍ مرضيّةٍ ودرجةٍ رفيعة[2] ، ممّا ينبئُ عن حقيقة مقامٍ من مقامات الرسولﷺ ، يؤكّد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩][3].

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو الفعل (تَرضى) بفتح التاء ، ليدلّ على أنّ الله تعالى يثيبُ رسوله ﷺ لامتثاله ما أُمِر به من فعل فيرضى به[4].

واستعمال (لعلَّ) مع (ترضى) إشارة إلى أنّ هناك شروطاً لازمة لتحصيل النتيجة ، يعضد ذلك تأويل (لعلّك ترضى) بـــ (لكي ترضى)[5] ، إذ يصح أن تأتي (لعل) للتعليل [6] كما في قوله تعالى :﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٥] ، وعلى هذا يكون رضا الرسولﷺ نتيجةً لتسبيح الله تعالى وحمده[7]اللذين ورد الرضا في سياقهما[8].

وقيل : إنّ (لعلّ) من الله تدلّ على الوجوب؛ لدلالتها على الطمع والإشفاق وهما

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن(رضي) : ١٩٧ ، وينظر : التعريفات : ١٤٨.

(٢) ينظر: الكشف والبيان : ٢٦٦/٦، ومجمع البيان: ٦٤/٧-٦٥ ، ومعجم القراءات ، د.عبد اللطيف الخطيب : ٥١٤/٥ ــ ٥١٥ .

(٣) ينظر : أحكام القرآن ، ابن العربي : ٢٦١/٣ ، والتفسير الكبير : ١٣٤/٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٦١/١١.

(٤) ينظر : معالم التنزيل : ٢٣٦/٣ ، ومجمع البيان : ٦٤/٧-٦٥ ، ومعجم القراءات : ٥١٤/٥ .

(٥) ينظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٧٠٨/٢ ، والتفسير الكبير : ١٣٤/٢٢.

(٦) ينظر : فقه اللغة وسرّ العربيّة : ٦٢٣/٢ ، وتاج العروس(لعل) : ٦٧٦/١٥ــ٦٧٧ .

(٧) ينظر : الأمثل : ١٠٩/١٠.

(٨) ينظر : طه : ١٣٠.

لا يصحّان على الله تعالى [١]، على حين يذهب سيبويه(١٨٠هـ) إلى أنّ دلالة (لعلَّ) في القرآن الكريم هو الترجّي مع مراعاة أنّه ترجٍّ مصروفٌ للمخاطبين، وليس عليه سبحانه وتعالى[٢] ؛ فوقع بعده المضارع على الأرجح لدلالته على الاستقبال[٣]، كما في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه:١٣٠] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضُّحى:٥] ، يتضافر إطلاق العطاء والرضا مع مضمون الجملة المؤكّد بلام الابتداء الداخلة على (سوف)[٤] بعد حذف المبتدأ ، إذ التقدير (ولأنت سوف يعطيك)[٥] ، لتشعَّ فيه دلالة بارزة على أنّ الإعطاء حاصلٌ لا محالة ، وإنّما أُخّر لمصلحةٍ وحكمة[٦] .

إنّ حذف المفعول الثاني للفعل (يعطيك) فيه دلالة على إبهام العطاء للتعظيم[٧] ، ، فكان الوعدُ بالرضا شاملاً[٨] ، وكانت أرجى آية في كتاب الله ، إذ ورد أنّ دلالة العطاء في الآية السابقة هو الشفاعة[٩].

(رفيع الذكر)

الرفعُ ضدُّ الخفض[١٠] ، والرفعُ في الذكر التنويه به[١] ، و((إعلاؤه عن مستوى

---

(١) ينظر : التعاريف : ٦٢١ ، وتفسير البحر المحيط : ٢٦٩/٦.

(٢) ينظر : الكتاب : ١٦٧/١ ، والمقتضب ، المبرد : ١٠٨/٤ ، والأمالي الشجرية، العلوي :٥٠ــ٥١ ، وشرح وشرح المفصل: ٨٥/٨-٨٦ ،ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة: قسم ١/ج٢/مج٢ ص٦٠٠

(٣) ينظر : النواسخ الفعلية والحرفية ، د.أحمد سليمان ياقوت : ٢٠٤.

(٤) ينظر : الميزان : ١٧٦/١.

(٥) ينظر : الكشاف : ٢٦٤/٤.

(٦) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٢/٥.

(٧) ينظر : تفسير القرآن الكريم ،عبد الله شبّر : ٥٦٠.

(٨) ينظر : الكشّاف : ٢٦٤/٤.

(٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٩٦/٢٠ ، والدر المنثور : ٥٤٣/٨ ، و جوامع الجامع : ٨٠٠/٣.

(١٠) ينظر : معجم مقاييس اللغة (رفع) : ٤٢٣/٢ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر : ٥٩٩/٢.

مستوى ذِكْرِ غيره من الناس))[٢].

وورد النعت (رفيع الذكر) للرسول محمدﷺ ضمناً في القرآن الكريم في موضع واحد ، بصيغة الفعل الماضي، وذلك في قوله تعالى:﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشَّرح:٤] ،فقد شرّفه الله تعالى بهذه الرتبة والدرجة وهي رفع ذكره[٣] وإعلاؤُهُ[٤] ، فوافقت دلالته في معاجم اللغة دلالته في القرآن الكريم .

والذِكْرُ هنا فيه تراكمٌ دلاليّ يتمثّل بما ذكروه به من النبوّة ، وانتشار ذكره وشهرته في الآفاق ، وكذلك ذكرُهُ مع الشهادة والتشهّد[٥] ، والصلاة عليه ومخاطبته بالألقاب[٦].

وقد زيد الجار والمجرور (لك) في السياق الذي ورد فيه هذا النعت ، إذ وقع فاصلاً بين الفعل والمفعول لإفادة المبالغة بالإبهام قبل الإيضاح[٧] ، فالمعنى مستقل من دون ذكر (لك) وذكرها فيه دلالة على الاهتمام بأمرهﷺ والعناية به[٨] ، وقد كانت مؤكِّدةً لرفعة ذكر الرسولﷺ[٩].

إنّ زيادة (لك) وعطف (رفعنا) على الفعل (وضعنا) الذي سبقه يُعرِبُ عن لطف التعبير القرآني في هذا السياق[١٠] ؛ ذلك أنّ الرفع ((يدل على خلاف الوضع))[١١].

زيادة على ذلك يُلحظ عدم إبراز الضمير مع النعم الماديّة (فآوى ، فهوى ، فأغنى) ، وهو ما يناسب مقام المنّة الإلهيّة بتعداد النعم ، وتجنّب إثقال المنّة عليه ﷺ ، أمّا في حال تعداد النعم المعنوية فيبرز الضمير ليناسب تلك المنّة ، في قوله

---

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن(رفع) : ٣٦١.
(٢) الميزان : ٣١٥/٢٠.
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١١٨/٣٢ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٥/٥.
(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٠٦/٢٠.
(٥) ينظر : المصدر السابق : ٣٢/٥ .
(٦) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٥/٥.
(٧) ينظر : المصدر السابق .
(٨) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٠٦/٤.
(٩) ينظر : الأمثل : ٢٩٩/٢٠.
(١٠) ينظر : روح المعاني : ١٦٩/٣٠.
(١١) معجم مقاييس اللغة (رفع) : ٤٢٣/٢.

تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشَّرح:١-٤][١] ، والرفّعُ في حقيقته أعم من أن يستعمل مع الأمور الحسية أو المعنوية ، فتبقى زيادة (لك) للاهتمام والعناية .

(المُؤَيَّد)

التأييد : التقوية[٢] والحفظ[٣].

وورد النعت (المؤيَّد) للرسولﷺ ضمناً غير صريح بصيغة الفعل الماضي في موضعين من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠] ، فقد وردت الآية في سياق الأجواء المحتدمة بالاستنفار للقتال ومواجهة الاختبار العظيم ، ممّا يدعو إلى تلبية نصرة الرسولﷺ ، فإن تخلّفوا عن ذلك فلن يضرّوه بشيء ، ممّا يُثيرُ دلالةً على أنّ النصر حاصلٌ لا محالة ، إذ إنّ الله تعالى هو الناصرُ والمُؤيِّدُ لرسولهﷺ[٤].

إنّ انتقاء الفعل (أيّد) فيه دلالة على الحفظ والتقوية والنصرة[٥] ، أي إنّ دلالته القرآنية لم تبتعد عن دلالته المعجمية ، وإنّ إسناد الفعل (أيَّد) للضمير العائد إلى لفظ الجلالة فيه دلالة على عظمة هذا التأييد ؛ لأنّ فاعله الحقيقي هو الله تعالى ، وما نفارُ المسلمين إلى الجهاد إلاّ وسائل يُحقّق بها اللهُ تأييد رسولهﷺ وينصره[٦].

---

(١) ينظر : أضواء البيان : ٥٦٣/٨.

(٢) ينظر : الصحاح (أيد) : ٤٤٣/٢ ، ومقاييس اللغة (أيد) : ١٦٣/١.

(٣) ينظر :معجم مقاييس اللغة (أيد) : ١٦٣/١.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠١/١٠.

(٥) ينظر : شذرات الذهب (دراسة في البلاغة القرآنية) ، د. محمود توفيق محمد سعد : ٨٢.

(٦) ينظر : المصدر السابق .

وأمّا الباء الداخلة على (جنود) فهي تؤكّد أمرين :

الأوّل : منزلتهم من تحقيق التأييد الإلهي لرسولهﷺ .

والثاني : كونهم وسائط لتحقيق ذلك التأييد ، والفاعل الحقيقي هو الله تعالى .

زيادة على ذلك التأييد (بجنودٍ)، نعتهم الله تعالى بأنّهم (لم يروها) ، ففيه ما فيه من الدلالة على لطف الله تعالى ، ذلك أنّ أسباب التأييد والنصرة لا تقتصر على ما تدركه الحواس أو ما تستشعره القلوب[١].

وكذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأنفال:٦٢] ، أي قوّى الرسولﷺ بنصره سبحانه وتعالى وبالمؤمنين[٢] ، يؤكّد ذلك مجيء الفعل (أيّد) على صيغة (فعَّل) التي فيها دلالة على التكثير من الأيد أي القوّة الشديدة[٣].

وقد وقع التأييد بعد السكينة التي هي من مظاهر نصر الله النفساني لرسولهﷺ، ثم تلاه تأييد الله له بجنود لم يروها ليحقّق النصر الجثماني[٤].

(المنصور)

المنصور هو الذي يُؤتى الخير والقوّة والإعانة[٥] ، ونصرَ اللهُ تعالى المسلمين أي آتاهم الظفرَ على أعدائهم[٦] ، فالمنصور ((من النصر ضد الخذل))[٧] ، والنصر والنصر أيضاً العطاء[٨] ، كما أنّ ((النصر يختص بالمعونة على الأعداء والمعونة

---

(١) ينظر : المصدر السابق : ٨٢-٨٣.

(٢) ينظر :معاني القرآن، النحاس : ١٦٧/٣ ، و تفسير السمعاني : ٢٧٦/٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤٢/٨.

(٣) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (أيد) : ٩٧ ، وأوزان الفعل ومعانيها ، هاشم طه شلاش : ٧٤.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠٣/١٠.

(٥) ينظر :معجم مقاييس اللغة (نصر) : ٤٣٥/٥ ، ومفردات ألفاظ القرآن(نصر) : ٨٠٨ ، والمصباح المنير (نصر) : ٦٠٧.

(٦) ينظر : معجم مقاييس اللغة (نصر) : ٤٣٥/٥.

(٧) الاشتقاق ، ابن دريد : ١١٠/١ .

(٨) ينظر : أساس البلاغة (نصر) : ٦٣٥ .

عامّة في كلّ شيء ، فكلُّ نصر معونة ولا ينعكس))[1].

وورد النعت (المنصور) للرسولﷺ غير صريح في أربعة مواطن[2] في القرآن الكريم منها بصيغة الفعل المضارع المُؤكَّد بالمصدر ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:٣] ، أي يُعزّ دين الرسولﷺ وسلطانه ، ويمنعه من كُلِّ جبّارٍ عنيد[3] ، فتبرز دلالة توكيد النصر الإلهي ، كما أنّ إطلاق الفعل المضارع (ينصرك) وعدم تقييده بمتعلّق تتجلّى فيه دلالة إطلاق النصرة[4].

والآية مسوقة في تعداد جملة من النعم الأخروية والدنيوية[5] التي أنعم بها الله تعالى على رسوله ، منها الفتحُ المبين ، وغفران الذنوب ما تقدّم منها وما تأخّر ، فهو تمهيد من الخالق تعالى لرسولهﷺ برفع الموانع لإتمام النعمة وتصفية الجو لنصره[6] ، وقيل : إنّ وصف النصر بصفة العزيز إسنادٌ مجازيٌّ[7] ، وقد يكون المراد أنّه نصرٌ ظاهرٌ باهرٌ لا نظيرَ له[8].

زيادة على ذلك فقد أُظهر لفظ الجلالة (الله) مع الفعل (ينصرك) في قوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:٣] ، إذ لم يُقْتصر على ذكره مع الفعل الأوّل الذي سبقه في قوله تعالى : ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] ،ولم يكتف بالعطف عليه من دون أن يذكر الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [الفتح:٢] وكذلك في العطف في قوله تعالى: ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢] ، ليحمل شحنةً دلاليةً ترشد إلى أنّ طريق النصر لا يتحقّق إلا بالله عزّ

(١) معجم الفروق اللغوية : ٥٤٠.
(٢) الأنفال : ٦٢ ؛ والتوبة : ٤٠ ؛ والفتح : ٣ ؛ والنصر : ١ .
(٣) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٣١٥/٩ ، والكشاف : ٥٤١/٣ ، وجوامع الجامع : ٣٨٠/٣.
(٤) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(نصر) : ١٤١/١٢.
(٥) ينظر : إمتاع الأسماع ، المقريزي : ١١٣/٣.
(٦) ينظر : الميزان : ٢٥٧/١٨.
(٧) ينظر : الكشاف : ٥٤١/٣ ، وجوامع الجامع : ٣٨٠/٣.
(٨) ينظر : الميزان : ٢٥٧/١٨-٢٥٨.

وجلَّ[١] ، وإنّ فيه دلالة على أنّه مظهر من مظاهر كمال عناية المُرسِل برسوله الكريم محمدﷺ[٢] ، وقيل : ((لأنّ المغفرة تتعلّق بالآخرة والنصر يتعلّق بالدنيا ، فكأنّه أُشير بإسناد المغفرة والنصر إلى صريح اسمه تعالى إلى أنّ الله عزّ وجلّ هو الذي يتولى أمرك في الدنيا والآخرة))[٣].

ويُلمَحُ في اقتران لفظ الجلالة (الله) مع معاني النصر،كما في قوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾[الفتح:٣]،وكذلك في قوله تعالى:﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] ، وفي قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر:١] تعظيمٌ لهذا النصر ، وهذا ما سوّغ قلّة ورود معاني النصر في القرآن الكريم من غير إضافة إلى لفظ الجلالة (الله) ، فالاقتران بهذا الاسم المعظّم ؛ للدلالة على اطمئنان القلب بذكره تعالى[٤].

(المصطفى)

الاصطفاء : الاختيار[٥] ، والمصطفى المختار ، ومنه الرسولﷺ والرسل المصطفون [٦].

وورد ذكرُ النعت (المصطفى) غير صريحٍ للرسول ﷺ في موضع واحد من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر:٣٢] ، فقد ذُكرت أقوال في (الذين اصطفينا) ، منها أنّ المراد بهم الأنبياء

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٧٩/٢٨.
(٢) ينظر : روح المعاني : ٩١/٢٦.
(٣) روح المعاني : ٩١/٢٦.
(٤) ينظر : إمتاع الأسماع : ١١٥/٣.
(٥) ينظر : لسان العرب (صفو) : ٤٦٣/١٤ ، و مفردات ألفاظ القرآن (صفو) : ٤٨٨ ، و تهذيب اللغة (صفا) (صفا) : ٢٤٨/١٢ ، والدر المصون في علم الكتاب المكنون : ١٢٣/٢ .
(٦) ينظر :العين (صفو) :١٦٣/٧ ، ولسان العرب (صفو) : ٤٦٣/١٤ .

والرسل(β)[١]،والرسول الكريم محمدΟιΠ خاتم أولئك الرسلΟβΠ .

وقد أُسند الفعلان (أورثنا) و(اصطفينا) إلى الخالق تعالى؛لإظهار عظيم التكريم، والاصطفاء يدلّ على التكريم،فالتقى التكريمان،تكريم الإسناد وتكريم الاصطفاء[٢].

ويُلحظ في الاصطفاء جهة خارجيّة تتمثّل في خلوصة عن الكدورة[٣] ، وتتّحد هذه الجهة مع انتقاء الفعل (اصطفى) من الاصطفاء أي الافتعال للدلالة على القصد والاختيار والرغبة في أن يكون المختارُ صافياً من كلّ ما يشوبه[٤].

إنّ الميزة الجماليّة التي تميّز بها القرآن الكريم عن غيره في انتقاء الألفاظ والدقّة المتناهية في استعمالها تعمدُ في اختيارها نعت (الاصطفاء) بدلاً من استعمال نعت الصفاء؛وذلك للمعنى الغزير والدلالة العميقة في (الاصطفاء)،إذ هو اختيار من الحقّ سبحانه في أن يجعل الشيء صافياً عندما يلتحم الاستعداد الذاتي مع توفيق الله تعالى [٥]، على حين أنّ(الصّفاء) يتعلّق بتصفية الشيء في مرحلة التكوين والخلق[٦].

(المعصوم)

العصمة هي المنَعَة[٧] ، والحفظ والوقاية[٨] ، و((العصام: ما يعصم به أي يُشد ، يُشد ، وعصمة الأنبياء حفظُهُ إيّاهم))[٩].

وورد ذكرُهُ نعتاً غير صريحٍ للرسولΟιΠ في موضع واحد من القرآن الكريم

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤/٢٦ ، والميزان : ٤٦/١٧ ، والتفسير الكاشف : ٢٩١/٦.
(٢) ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل السامرائي : ١٧١.
(٣) ينظر : تاج العروس (صفو) : ٤٢٦/٣٨.
(٤) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (صفو) : ٤٨٨.
(٥) ينظر : لسان العرب (صفا) : ٤٦٣/١٤ ، وتهذيب اللغة (صفا) : ٢٢٦/٤.
(٦) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(صفو) : ٢٥٩/٦.
(٧) ينظر : لسان العرب (عصم) : ٤٠٣/١٢ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر : ٢٤٩/٣.
(٨) ينظر : المصباح المنير (عصم) : ٤١٤ ، و مجمع البحرين (عصم) : ١١٦/٦.
(٩) مفردات ألفاظ القرآن (عصم) : ٥٧٠ .

بصيغة الفعل المضارع ، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧] ، فالمخاطب هنا هو الرسول محمدﷺ[١] ، وعصمته في هذا السياق هي حفظُهُ ومَنْعُه من المعاصي وصيانته عن الأخطاء مع مراعاة انّ العصمة البشرية لا تعني أنّ الرسولﷺ ليست له القدرة على الذنب ، إذ لا يثبت له فضل في عصمته ، فالعصمة هي عدم ارتكاب الذنب مع قدرته عليه ، والنعت (المعصوم) للرسولﷺ أظهر دلالتين في القرآن الكريم :

الأولى:الرعاية الإلهية بما وعد من الخالق[٢]،فتشتد عزيمته في إظهار الحق[٣] . الحق[٣] .

الثانية : مقامه ، إذ بلغ رتبة عدم الإتيان بالذنب ، بل عدم الهمّ بالذنب مع قدرته عليه ، وذلك مقام لا يناله إلاّ من عصم نفسه فعصمه ربُّه وهو مقام سيد الكائنات محمدﷺ.

(القريب)

القُرب : نقيض البعد ، يُقال : دنا فلان من فلان ، أي قرب منه[٤] ، وهو إمّا أن أن يكون قرباً بالذات أو قرباً بالحكم[٥] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا

(١) ينظر : جامع البيان : ٤١٣/٦ ، ومعالم التنزيل : ٥٢/٢.
(٢) ينظر : مناهل العرفان : ٤٠/١.
(٣) ينظر : إمتاع الأسماع : ٢٠٦/١١.
(٤) ينظر : لسان العرب (قرب) : ٦٦٢/١ ، وتاج العروس (قرب) : ٤٢٥/١.
(٥) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (قرب) :٦٦٣.

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾[النجم:٨] ، فهو قرب بالحكم[١] ،والتدلّي دالٌ على قوس الهبوط من الأعلى إلى الأسفل[٢].

وورد النعت (القريب) للرسول**ﷺ** ضمناً في القرآن الكريم في موضع واحد بصيغة الفعل الماضي المبني للمعلوم الدالّ على القرب[٣] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[النجم:٨] ، فقد اختُلف في نسبة القرب كونه للرسول**ﷺ** أو لجبرائيل(**ﷺ**) ، وذلك أنّ الضمير فيه تراكم دلالي ؛ لأنّه من الألفاظ المتواطئة ، ويُعنى بالمتواطئ اللفظ الذي يتناول ماهيات مختلفة تشترك في معنى واحد[٤] ، فتفسيره بالرسول**ﷺ** أو جبرئيل(**ﷺ**) ممّا يحتمله اللفظ ، فقيل : إنّ المراد بمن دنا في الآية السابقة هو الرسول محمد**ﷺ**[٥] ، أي قَرُب من ربّه تعالى قرباً معنوياً لا لا حسيّاً حتّى بلغ مقاماً عجز عن بلوغه الأنبياء الآخرون ، يعضد ذلك الإشارة إلى شدّة القرب[٦] في قوله تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم:٩] ،وذُكِر أيضاً إنّ النعت (القريب) دالٌ على الملك جبرئيل(**ﷺ**)[٧] ،ومن ثمّ فقد يكون في الكلام تقديمٌ أو تأخيرٌ ، أي إنّ هناك قلباً في الكلام[٨] ، إذ جُعِل المعطوف عليه معطوفاً والمعطوف والمعطوف معطوفاً عليه[٩] .

إنّ قلب العطف هو نوعٌ من أنواع المجاز[١٠] ، وقد لا نحتاج إلى تقدير القلب

---

(١) ينظر : بصائر ذوي التمييز :٦٠٧/٢ .
(٢) ينظر : الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون : ٨٥/١٠ .
(٣) ينظر : المعجم الموسوعي : ١٨٥.
(٤) ينظر : المحصول ، الرازي : ٢٦١/١ ، والإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي : ١٧/١ ، ونهاية الأفكار ، ضياء الدين العراقي : ٣٣٥/١.
(٥) ينظر : الدر المنثور : ١٢٣/٦ ، والميزان : ٢٠/١٣.
(٦) ينظر : الأمثل : ٢١٧/١٧.
(٧) ينظر : جامع البيان : ٥٩/٢٧ ، والتفسير الكبير : ٣٣١٩/١٠ ، والتبيان في تفسير القرآن : ٤٢٣/٩ ، وتفسير القرآن الكريم ، عبد الله شبّر : ٤٩٢.
(٨) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي : ١٠٣٨/٢ ، وتفسير السمعاني : ٢٨٥/٥.
(٩) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢٩٢/٣.
(١٠) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ١٠٣/٢.

لعلّتين :

الأولى : وضوح المعنى إذ يدل على أنّه دنا وامتدّ في الدنو .

والثانية : الفاء الداخلة على الفعل (فتدلّى) ، فهي ليست كالواو كونها تفيدُ الترتيب ، والقلب ينافي الترتيب[١] ، لذا يكون التقدير في الآية محلّ البحث (ثمّ تدلى) تدلى) أي زاد جبرائيل(γ) في القرب من نبينا محمدﷺ وقرب منه[٢].

ويمكن تقديم أيٍ من الفعلين إذا كانت دلالتهما واحدة ، فنقول دنا فقرُب ، وقربَ فدنا[٣] ، إلاّ أنّ تأنّق التعبير القرآني في انتقاء اللفظة ووضعها في موضع كأنّما خُلِقت له[٤] ، قدّم الفعل (دنا) على الفعل (تدلى) ، ليتّضح لنا فرق دقيقٌ بين دلالتيهما، إذ يدلّ كلاهما على (القرب) إلاّ أنّ التدلّي فيه زيادة في القرب[٥] ، وهذا ما يُوحي إلى بلوغ المصطفىﷺ أبعد غاية في تكريم الله تعالى له ؛ لأنّ الدنوّ يشمل القرب المطلق مع النزول ، في حين أنّ التدلّي يشمل الإرسال مع النزول[٦].

زيادة على ذلك نلحظ في قوله تعالى:﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩]، إيجازاً شديداً من خلال حذف المضافات،إذ التقدير ((فكان مقدارُ مسافةِ قُربه منه مثَل مسافة قابٍ))[٧]،وهذا الاختصار والتقارب بين الألفاظ يشعّ بدلالة تتناسب مع شدّة قربه من الحقّ تعالى ، وهي الغاية العظمى التي يطمح إليها المخلوق[٨].

---

(١) ينظر : إعراب القرآن ، الأصبهاني : ٤٠٧.

(٢) ينظر : تفسير بحر العلوم : ٢٤٦/٤ ، والتبيان : ٤٢٣/٩ ، والمحرر الوجيز : ١٩٧/٥.

(٣) ينظر : زاد المسير : ٢٢٨/٧ ، والتفسير الكبير : ٢٨٦/٢٨.

(٤) ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٦٧.

(٥) ينظر : لسان العرب(دلا) : ٢٦٤/١٤ .

(٦) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن (دلى) :٢٤٠/٣ .

(٧) الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ٨٦/١٠ .

(٨) ينظر : التفسير البياني ، د. عائشة بنت الشاطئ : ٣٦/٢.

المبحث الخامس :
النعوت التنزيهيّة

التنزيه : رفعُ النفس عن الشيء ، وعدم الرغبة فيه تكرّماً[١] ، ففيه دلالة على البعد عن الشيء والخلوّ منه[١] ، قال ابن السكّيت(٢٤٤هـ) : ((التنزه التباعد عن المياه والأرياف))[٢] ، يُقال : مكانٌ نزيهٌ أي خالٍ من كلّ أحد[٣] ، وتنزيه الخالق سبحانه هو تسبيحه وتبرئة ذاته المقدّسة عن كلِّ وصفٍ لا يليقُ به[٤].

ومن هنا جاءت تسمية هذه النعوت بالتنزيهية ، ويراد بها النعوت التي نزّهت الرسول محمداﷺ من أوصاف غير ممدوحة كان قد وصفه بها أعداؤُهُ ، وذكرها القرآن الكريم ، ليعالجها بنفي كل تُهمة موجّهة إلى الرسولﷺ ، وإثبات الصفات المنبئة عن كماله .

(١) ينظر : العين (نهز) : ١٥/٤ ، و معجم مقاييس اللغة (نزه) : ٤١٧/٥.

وقد وردت في القرآن الكريم النعوت التنزيهية التي يمكن أن يقال لها نعوت السلب ، بوصف أنّ تنزيه الرسول ﷺ هو تنزيه للرسالة والمرسل ، أي سلب الذمِّ ، وإثبات كلّ ما فيه مدحٌ لهﷺ ، ووضع هذه النعوت من ضمن النعوت غير الصريحة ، لاستعمال النفي معها فهي لم تقع مباشرةً إلاّ على لسان المنكرين لرسالة الرسولﷺ ، فكان النفيُ لها سلباً لصراحتها اللفظية وهو سلب لمضمونها فكانت غير صريحة ، ومن ثمّ فقد تناولت طائفة منها كالآتي :

(غيرُ شاعر)

الشاعر مأخوذ من مادة (شعر) الدالة على العلم والفطنة ، تقول: ((شعرت بالشيء ،إذا علمته وفطِنت له،وليت شعري ،أي ليتني علمت)) [٥]،، فنلمح من الدلالة في معاجم اللغة أنّ الشاعر ((يفطن لما لا يفطن له غيره))[٦] فقد يسبح في عالم

(١) ينظر : العين (نهز) : ١٥/٤ ، و معجم مقاييس اللغة (نزه) : ١٢٥/٣.
(٢) إصلاح المنطق ، ابن السكّيت: ٢٨٧.
(٣) ينظر : إصلاح المنطق: ٢٨٧ ، ومعجم مقاييس اللغة (نزه) : ٤١٧/٥.
(٤) ينظر : العين (نهز) : ١٥/٤ .
(٥) معجم مقاييس اللغة (شعر) : ١٩٤/٣.
(٦) المصدر السابق .

الخيال على وفق ما تقوده إليه عواطفه وأحاسيسه .

وقد اتّهم المُفْتَرون رسولنا الكريم محمداً ﷺ بوصفه شاعراً في ثلاثة مواطن في القرآن الكريم[١] ، ودفع القرآن الكريم صفة الشعر عنه ونزَّهه عنها في ثلاثة مواطن أيضاً[٢] ، لتكون ردّاً حازماً ودامغاً على جرأتهم في توجيه الاتهام إلى مقام الرسول ﷺ.

وحكى لنا القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء:٥] ، وممّا يُلحظ في هذا التعبير القرآني تدرّج المعاندين للرسالة في محاولة إلصاق التهم بالرسول محمد ﷺ ، ابتداءً من قولهم : أضغاث أحلام الدالّة على خلط رؤىً وأباطيل[٣] ، ثمّ ترقّيهم إلى وصفه بالمفتري الدال على أنّه يقول الكلام بعد تدبّره ، ثم ترقّيهم إلى وصفه بالشاعر الدال على إطلاق الكلام على وفق تخيّلاته[٤].

وهذا التأرجح في إلقاء التهم ، وعدم استقرارهم على تهمة معيّنة فيه دلالة على تحيّرهم في أمر الرسول ﷺ[٥] ، فقد استُعملت (بل) للإضراب من تُهمةٍ إلى أخرى أخرى من دون إبطالها، بل كان الغرضُ منها بيانَ التُهمةِ الأولى والزيادة عليها[٦] ، ، كما ((رُدّ بـــ(بل) على معنى تكذيبهم ، وإن لم يظهر قبله الكلام بجحودهم ؛ لأنّ معناه خطابٌ وإخبارٌ عن الجاحدين))[٧].

إنّ وصفهم رسول الله بأنه (شاعر) لا يدلّ بالضرورة على أنّ المراد قول الشعر ؛ وذلك لظهور وزن الشعر ومعرفته عند العرب[٨] ، فكان رمي هذه التهمة

---

(١) الأنبياء : ٥ ، الصافات : ٣٦ ، الطور : ٣٠.

(٢) الصافات : ٣٧ ، الحاقة : ٤١ ، يس : ٦٩.

(٣) ينظر:الجواهر الحسان في تفسيرالقرآن:٤/٨١،والميزان:١٤/٢٥٢،وتفسيرالقرآن الكريم،عبدالله شبّر: ٣١٥.

(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤/٨٣ ، والميزان : ١٤/٢٥٢.

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١١/٢٧٠.

(٦) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (بل) : ١٤١ .

(٧) معاني القرآن ، الفراء :٢/١٩٩ .

(٨) ينظر : أسرار التكرار في القرآن : ٢٠٨ .

ومحاولة إلصاقها بشخص الرسولﷺ ؛ لاشتهار الشعر بالكذب[١] ، ((فالشاعر في القرآن عبارة عن الكاذب بالطبع))[٢].

وفي قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور:٣٠] ، نُفي عن الرسولﷺ صفة الشعر نفياً ضمنياً ؛ لسبقه بـــ(أم) المنقطعة[٣] التي ((تدلُّ على الإضراب والإنكار المتضمّن معنى النفي))[٤] ، فتكون بمعنى (بل) ، قالَ الأخطل[٥]:

كذِبتك عينُــك أم رأيــتَ بواســطٍ

غلسَ الظلام من الربــابِ خيــالا

ومجيء الفعل المضارع في سياق الآية السابقة بعد (أم) ، وهو فعل قوليّ ، فيه دلالة على أنّ وصفهم الرسولﷺ لم يكن بلحاظ حاله ، إنّما كان مجرّد ادّعاء ، فأظهر هذا الانتقاء والرصف للألفاظ دلالة واضحة على كذبهم وتكلّفهم ، قال الفخر الرازي (٦٠٦هـــ) : ((والتقوّل يراد به الكذب ، وفيه إشارة إلى معنى لطيف وهو أنّ التفعّل للتكلّف))[٦].

إنّ ظاهرة انتقاء الألفاظ والتناسب بين مطلع السورة أو الآية وختامها ظاهرة قرآنية بارزة[٧] ، يمكن لنا أن نلمحها في قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة:٤١] ، فقد خُتمت الآية بذكر (ما تؤمنون) ؛ لتلائم (شاعر) ؛ وذلك لمعرفة العرب بالشعر وأوزانه ، واختلافه عن القرآن ، فتشير إلى تجسّد صفة عدم إيمان من أقرّ بهذه الحقيقة – أي حقيقة اختلاف القرآن عن الشعر – ثمّ أنكر وقال :

---

(١) ينظر :البرهان في علوم القرآن : ١١٣/٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن(شعر) :٤٥٦ ، وبصائر ذوي التمييز : ١٢٥/٢،و٣٢٤/٣ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن(بل) : ٥٩ .

(٣) ينظر : الكتاب : ١٧٢/٣.

(٤) أضواء البيان : ٤٥٩/٧.

(٥) ديوان الأخطل : ٤١ .

(٦) التفسير الكبير : ٢٥٧/٢٨.

(٧) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢٩٦/٢.

إنّ القرآن شعرُ شاعرٍ وإنّ قائله شاعر[١].

ويؤكّد التعبير القرآني نفي صفة قول الشعر عن الرسول ﷺ[٢] ،ونلحظ ذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٩] ، فلا يليقُ قول الشعر بالرسول ﷺ[٣] .

زيادة على ذلك ، فإنّ نفي تعليم الشعر له فيه دلالة على أنّ الرسول ﷺ كان لا يُحسنُ قول الشعر ، إذ لم يكن يُحسنْهُ ويمتنع عن قوله لمانع شرعيّ[٤] ،فعدم معرفة الشعر لا تُعدّ نقصاً ولا تعجيزاً له ، بل اقتضت الحكمة الإلهية تنزيهه عن تزيين كلامه بتخيلات شعرية ، وانفعالات كلّما أوغلَ قائلها في الكذب كانت أعذب للسامع[٥].

(غيرُضالّ) و(غيرُغاوٍ)

الضلال : خلاف الرشاد[٦] ، ورجلٌ ضالٌ أي جائرٌ عن قصده[٧].

والغيّ : خلاف الرشد ، يقال :غوى فلان ،أي جهل بالأمر وانهمك في الباطل[٨]

---

(١) ينظر : أسرار التكرار في القرآن: ٢٠٨ ، والإتقان في علوم القرآن : ٢٧٣/٢.

(٢) ينظر : الكشاف : ٢٦/٤ ، وفي ظلال القرآن : ٣٤/٧ ، والميزان : ١١٢/١٧ ، وخصائص النبي في القرآن ، علي الافتخاري الكلبايكاني : ٢١٤-٢١٦.

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٠٤/٢٦ ، وفي ظلال القرآن : ٣٤/٧ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٢٦/٤ ، والميزان : ٣٤/٧.

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٤/٧ ، والميزان : ١١٢/١٧

(٦) ينظر : معجم مقاييس اللغة (ضلّ): ٣٥٦/٣ .

(٧) ينظر : العين (ضلّ) : ٩/٧.

(٨) ينظر معجم مقاييس اللغة(غوي): ٣٩٩/٤ .

وقد نقض القرآن الكريم نسبة الضلال والغواية للرسولﷺ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم:٢] ، فالمعني به في هذه الآية هو الرسول محمد ﷺ(١).

ووقع نفي الضلال والإغواء مسبوقاً بالقسم ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١] الذي فيه دلالة على السقوط (٢)، ليتناسب مع (الضلال والإغواء) الدالتين على السقوط في في السلوك ، ووقوع هاتين الصفتين المنفيتين جواباً للقسم(٣) دالٌ على العلاقة بين المقسم به والمُقسم عليه ، وهو الرسولﷺ الذي لا يداخلُهُ شكٌ أو جهلٌ(٤) ، ففي المقسم عليه دلالةٌ على تبرئة الرسولﷺ من مواطن الظن بالسوء ومواضع التُّهم(٥) ، وهذا موضعٌ يُقسم فيه الخالق عزّ وجلّ ؛ ليثبت لهم أحقيّة الرسولﷺ(٦).

وذهب كثيرٌ من المفسّرين إلى أنّ هناك ترادفاً بين كلٍّ من دلالتي الإغواء والضلال تثبت إحداهما الأخرى وتؤكدّها(٧) ، ولكن يمكن لنا أن نلمس فرقاً دقيقاً بين بين هاتين الصفتين ، فصفة الضلال تدلُّ على الخروج والعدول عن الصراط المستقيم(٨) ، و((الغيّ خلاف الرشد الذي هو الجهلُ بالواقع))(٩) ، والضلالة في الاستعمال القرآني تقابل الهداية(١٠) ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥] ، والغواية في الاستعمال

(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٤٠٩/٩ ، ومعالم التنزيل : ٢٤٥/٤.
(٢) ينظر: المصباح المنير(هوى): ٦٤٣ .
(٣) ينظر : الدر المصون في علم الكتاب المكنون : ٨٣/١٠ ، وتفسير بحر العلوم : ٢٤٥/٤.
(٤) ينظر : التفسير الكاشف : ١٧٣/٧.
(٥) ينظر : البصائر في تفسير القرآن : ٥٤/٤٢.
(٦) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣٩٠/١ ، والتبيان في أقسام القرآن ، ابن القيم : ٧.
(٧) ينظر : مجمع البيان : ٢٨٨/٩.
(٨) ينظر:المصباح المنير(ضلّ):٣٦٣ ،ومعجم مقاييس اللغة(ضلّ):٣٥٦/٣،ومفردات ألفاظ القرآن(ضلّ): ٥٠٩ ٥٠٩
(٩) الميزان : ٢٧/١٩.
(١٠) ينظر : الأقسام في القرآن : ٧٧ ، والتحقيق في كلمات القرآن(ضلّ) : ٣٨/٧.

القرآني تقابل الرشد[١] ، كما في قوله تعالى ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦] .

وتكريرُ النفي في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:٢] يُشيرُ إلى تنزيه الرسول ﷺ من أن يتصف بهاتين الصفتين منفردتين أو مجتمعتين[٢].

أمّا عدم التصريح باسمه ﷺ في هذا المقام ، فلَه دلالة المحاججة التي تقصمُ ظهورهم ، إذ انتقى (صاحبكم) ، أي من كنتم تعرفونه بخصائصه السامية ، وليس بغريبٍ عنكم ، ومن كان أمرُهُ هكذا فلا يرضى بالضلال أو الغواية[٣].

زيادة على ذلك فقد وردت دلالة أخرى للضلال في كتب اللغة،منها دلالة الضلال على الضياع أو النسيان[٤]،ومن ثمّ فلا سبيل لأحد أن يحتج بقوله تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾[الضحى:٧] على ذكر الضلالة ونسبتها إلى الرسول بلفظ صريح،إذ يمكن أن نصرف الضلال إلى الضياع في قومه وعدم معرفته،وأما الهداية التي وردت بعده فهي عائدة على قومه إذ المعنى فهدى الناس ودلّهم عليك [٥].

(غيرُ مجنون)

الجنون مأخوذ من (جنَّ) الدال على الستر والتغطية[٦] ، ويقالُ للرجل :

---

(١) ينظر : الأقسام في القرآن : ٧٧.
(٢) ينظر : لمسات بيانية : ٤٩.
(٣) ينظر : البصائر في تفسير القرآن : ٥٤/٤٢.
(٤) ينظر : لسان العرب (ضلل) : ٣٩٠/١١ .
(٥) ينظر : تفسير القرآن الكريم ،مصطفى الخميني : ١٥٩/٢ــ ١٦٠ .
(٦) ينظر : معجم مقاييس اللغة (جنّ) : ٤٢١/١-٤٢٢.

مجنون[١] دلالة على نقصان عقله[٢].

وقد نقض القرآن الكريم نسبة (الجنون) ونفاها عن الرسول محمدﷺ بعدما اتّهمه أعداء الرسالة المحمّدية بأنّه (مجنون) في خمسة مواطن في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١][٣] ، وردّ عليهم ربُّ العزّة والجلالة بنفي الجنون عنه وتنزيهه في ستة مواطن من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:٢٩][٤].

إنّ ظاهرة التوسّع والعمق في دلالة السياق واضحة من خلال تكثير الألفاظ التي لها الأثرُ في إثبات أو نفي صفةٍ ما ، فعندما توسّع المفترون بتوجيه التُهم للرسول ﷺ ، وقالوا عنه : إنّه شاعر وكاذب ، زيدت كلمة (كاهن) منفيةً في الآية السابقة ؛ لتلائم ولوغهم في محاولة إلصاق التُّهم بالرسولﷺ[٥] ، وأثبتت الآية أمراً آخر تمثّل بإظهار تناقض افتراءات المناوئين للرسولﷺ ، فقد نعته هؤلاء بأنّه كاهن ، وأنّه مجنون ، والجمعُ بين الافتراءين فيه دلالة على بطلان وصفهم الرسولﷺ ، فالكهانة وإن كانت غير مشروعة إلاّ أنّها تستدعي ذاكرةً قويّةً ، والجنون خلاف هذا الأمر[٦] ، ممّا يدلُّ على التخبّط والمفاجأة من قبلهم أمام الظاهرة القرآنية[٧].

وتوجُّه القوم إلى وصف الرسولﷺ بالجنون ، يُشير إلى دلالة تُلقي بظلالها على المعنى الذي يُضمر وراء هذا الوصف ، فلفظ (مجنون) تعني محاولة إثبات

---

(١) ينظر : الصحاح (جنن) : ٢٠٩٣/٥.

(٢) ينظر : لسان العرب(جنن) : ٩٢/١٣ .

(٣) ينظر : الآيات الآتية: الحجر : ٦ ؛ الصافات : ٣٦ ؛ الدخان : ١٤ ؛ سبأ : ٨.

(٤) ينظر : الآيات الآتية: الطور : ٢٩ ؛ سبأ : ٢٦ ؛ الأعراف : ١٨٤ ؛ المؤمنون : ٧٠ ؛ التكوير : ٢٢.

(٥) ينظر : لمسات بيانية : ١٠٩.

(٦) ينظر : الأقسام في القرآن : ٨٥ ، والأمثل : ١٦٥/١٧ ، وأمثال القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي : ٢٩٠. ٢٩٠.

(٧) ينظر : معجزة القرآن ، الشعراوي : ١٢.

زوال العقل ممّا يؤدي إلى إسقاط الوعي في رسالته ﷺ[1].

ولا يخفى على أصحاب النظر أنّ تقييد النفي (ما أنت) بالمتعلّق (بنعمة ربّك) في قوله تعالى ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:٢٩] ، شعّ بدلالته على نوعٍ خاصٍ من المنن الإلهية على رسوله الكريم محمد ﷺ ، فقد تلبّس بدرع نعمة الله وتحصّن به ، فامتنعت عليه صفات السوء من سِحْرٍ أو كهانةٍ أو جنون[2] ، يعضد ذلك الباء في (بنعمة ربّك) التي هي في محل نصب على الحاليّة والعامل فيها (بكاهن أو مجنون) ، إذ التقدير (ما أنت كاهناً ولا مجنوناً متلبّساً بنعمة ربك)[3] ، وقيل : إنّ الباء متعلّقة بمضمون الجملة المنفية ، وتدلّ على تنزيه الرسول ﷺ عن الجنون بسبب نعمة الله عليه[4].

المبحث السادس :
النعوت الأخرى

في المباحث السابقة قُمنا باستجلاء النعوت غير الصريحة من ضمن حقول دلالية حملت كلٌّ مجموعة ما لاءمها من عنوان يمثّل الإطار العام لتلك النعوت ،

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٨٥/٢١.
(٢) ينظر : الميزان : ١٧/١٩.
(٣) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ، العكبري : ٢٤٦/٢.
(٤) ينظر : الدر المصون : ٣٩٩/١٠ .

وآن لنا أن نعرض نعوتاً أخرى وردت في النص القرآني ، وحُمِلت على وجه التأويل ، عزّز ذلك الأحاديث التي أشارت أنّها نعوت للرسولﷺ ويمكن أن تُسمى بالنعوت التفسيرية أو التوجيهيّة وقد وقفت على طائفة منها :

(البرهان)

البرهان : البيان للحجّة وإيضاحها[١] ، وهو أقوى الأدلّةِ تأكيداً[٢].

وقد ذكر كثير من المفسرين أنّ (البرهان) في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:١٧٤] ، هو نعت للرسول محمدﷺ[٣].والبرهان مصدرٌ على وزن (فُعلان) كالرُّجحان[٤] ، دالٌ على بيان للحجّة ، وقد يُستعمل بمعنى الفاعل فيما إذا أطلق على الحجّة نفسها[٥] ؛ وبذلك يُطلق على الحجج القاطعة المشتملة على الأدلة المتحصّلة بالعقل والنقل ، ويُشير إلى الآيات الأفقية والنفسية[٦] ، كما في قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣] .

إنّ انتقاء نعت (البرهان) يشيرُ إلى دقة انتقاء اللفظة في التعبير القرآني ، فقد استعمل (برهان) بدلاً من (دليل) ؛ لأنَّ البرهان فيه دلالة على الحجّة القاطعة التي تفيد العلم ، في حين لا تتوافر هذه الدلالة في لفظة (الدليل) ؛ فالدليل يفيد الظنّ[٧].

---

(١) ينظر : المصباح المنير (بُرهة) : ٤٦ ، و مفردات ألفاظ القرآن (بره) : ١٢١.

(٢) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (بره) : ١٢١.

(٣) ينظر : تفسير الثوري : ٩٨ ، وجامع البيان : ٥٢/٦ ، وتفسير بحر العلوم : ٣٨٦/١ ، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٠٤/١، ومعالم التنزيل : ٥٠٣/١، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل:٢٦٥/١،ومجمع البيان : ٢٥٢/٣ ، والتفسير الكبير : ١١٩/١١، وتفسير العز بن عبد السلام : ٣٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٧/٦ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٣٣١/٢ ، وتفسير القرآن الكريم ،عبدالله شبّر : ١٣٢.

(٤) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن(بره) : ١٢١.

(٥) ينظر : الميزان : ١٥٢/٥.

(٦) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في كلام المنّان ، عبد الرحمن السعدي : ٢١٧.

(٧) ينظر : معجم الفروق اللغوية : ٦٨.

إنّ الدلالة تُشير إلى إحضار المعنى في النفس فكأنّها آلةُ الإحضار ، والبرهان يشير إلى تثبيت المعنى في النفس فكأنّه آلةٌ لتثبيت ذلك المعنى ، فالبرهان أعمّ من الدلالة ، إذ كلّ برهان فيه معنى الدلالة[١] .

زيادة على ذلك وقوع النعت (البرهان) في سياقٍ قرآني يشتمل على (قد) مع الفعل الماضي (قد جاءكم) يشع بحقيقة إثبات مجيء البرهان ؛ لما في الفعل الماضي من دلالة إحداث الحدث في الماضي[٢] ، ولم تقف إيحاءات النص القرآني عند هذا الحد ، بل أفاضَ بسمةٍ أخرى ثبّتت هذا البرهان وبرزت من خلال التركيب (من ربّكم) الذي تلا هذا النعت فقد اشتمل على دلالة إيحائية تشريفية صوّرت عظمة هذا البرهان لكونه من الربّ تعالى[٣].

(البيِّنة)

الإبانة : الوضوح والانكشاف[٤] ، والبيّنة هي الدلالة الواضحة العقلية والحسيّة[٥].

وفُسِّرت (البيِّنة) بأنّها دالة على الرسول محمدﷺ في موضعين من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البيِّنة:١-٢] ، فالبيِّنة هنا هو الرسول محمد ﷺ[٦] ؛ وهو أمرٌ مقطوعٌ به ممّا يعطيه السياق القرآني الواردة فيه[٧].

---

(١) ينظر : الوجوه والنظائر ، العسكري : ١٣٤-١٣٥.
(٢) ينظر : الكليات : ٥٢٣ ، ومعاني الأبنية في العربية : ١٧.
(٣) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في كلام المنّان : ٢١٧.
(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة (بين) : ٣٢٧/١ ، ولسان العرب (بين) : ٦٢/١٣.
(٥) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن(بين) : ١٥٧.
(٦) ينظر : تفسير مقاتل : ٥٠٤/٣ ، وتفسير بحر العلوم : ٥٧٩/٣ ، وتفسير ابن زمنين : ١٥١/٥ ، والكشف والبيان : ٢٦٠/١٠ ، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٨٨/١ ، ومعالم التنزيل : ٥١٣/٤.
(٧) ينظر : الميزان : ٣٣٥/٢٠.

ولم تبتعد دلالتها القرآنية في الآية السابقة عن دلالتها في معاجم اللغة ، بل نلمح المزاوجة بين الدلالتين ؛ لتأكيد الوضوح والانكشاف ، و ((للإيذان بغاية ظهور أمره))[١] ، يعينُ على ذلك الملمحُ الدلالي في إسناد البيِّنة إلى فعلٍ مضارعٍ ، مستقبلٍ بلفظه ، ماضٍ بدلالته[٢] ، فقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البيِّنة:١] ، تقديرُهُ :حتى أتتهم البيِّنة،أي الحجّة القاطعة والبصيرة الكاشفة وهو محمدﷺ[٣] ، وأيّ حجّةٍ أظهر من الرسولﷺ.

والمورد الآخر الذي وردت فيه لفظة (البيِّنة) نعتاً دالاً على الرسول ﷺ هو قوله تعالى :﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[هود:١٧] ، فقد ذكرها جمع كبير من المفسرين[٤] ، والسياق يكشف عن أنّها حجّة دامغة لكونها (من ربِّه) فلا حجّة أبلغ منها.

وقد يُسألُ أنّ (البيِّنة) التأم في سياق قرآني في بداية سورة البيّنة [٥] فأدّى مفهوما قد يعارضُه مفهوم آخر للبيّنة ورد في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البيِّنة:٤] ، وعند إنعام النظر ندرك أن لا وجود لهذا التعارض سوى أنّ الآية الكريمة الأولى[٦] وردت للحكاية عن المنافقين ، وأمّا الثانية[٧] ، فهي إخبار عمّا يحصل بالواقع[٨]. وعلى وفق ذلك فالتعبير عن إتيان البيِّنة بصيغة الفعل المضارع يلحظ حال المحكي لا حال الحكاية[٩].

---

(١) إرشاد العقل السليم : ١٨٤/٩.
(٢) ينظر : تفسير السمعاني : ٢٦٣/٦ ، ولسان العرب(فكك) : ٤٧٥/١٠ ، والتفسير الكبير : ٣٩/٣٢.
(٣) ينظر : تفسير السمعاني : ٢٦٣/٦ ، ولسان العرب(فكك) : ٤٧٥/١٠ .
(٤) ينظر : تفسير مقاتل : ٢٣٦/٣ ، وتفسير بحر العلوم :٥٧٩/٣ ، والتبيان في تفسير القرآن : ٢٩٦/٩ ، و الأصفى في تفسير القرآن : ٤٣٧/٢.
(٥)البيّنة :١ــ٢.
(٦) البينة : ١.
(٧) البينة : ٤.
(٨) ينظر : التفسير الكبير : ٣٨/٣٢.
(٩) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١٨٤/٩.

(العروةُ الوثقى)

العروة : المقبض ، وهي ما يُتمسّك به[١] ، والوثقى : الوثيقة وهي تأنيث الأوثق[٢].

وورد النعت (العروة الوثقى) في موضعين من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، وفي قوله تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢] ، فالعروةُ الوثقى تدلّ على السبب الموصل إلى رضوان الله تعالى[٣] ، وقد فُسِّر (العروة الوثقى) أنَّهُ الرسولﷺ ، ذكر ذلك جمع من أصحاب السيرة والتفسير[٤].

وهذا من باب التطبيق ، إذ التمسك بالرسولﷺ هو التمسك نفسه بالذات الإلهية المقدّسة ، كونه من أجلِّ المصاديق على أنّه العروة التي ينبغي أن يُتمسك بها.

ومجيء النعت (العروة الوثقى) في الآية السابقة في سياق تعبير قرآنيّ يرسمُ لنا صورةً مؤلّفةً من أطراف متعدّدة،الطرفُ الأول منها العروةُ الوثقى ، والثاني التمسّك بها ، والثالث عدمُ انفصامها ، يؤكّد ذلك استعمال (قد) مع الفعل الماضي (استمسك) للدلالة على تحقيقه ، وإن كان معناه مستقبلاً ؛ لوقوعه جواباً للشرط ، إذ لا يتخلّف تحقّق الشرط[٥]،وفي هذا إشعارٌ إلى أنّ الاستمساك حاصلٌ لا محالة وثابتٌ وقوعه.

---

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة (عرو) : ٢٩٥/٤ ، ولسان العرب (عرا) : ٤٥/١٥. .

(٢) ينظر : مجمع البيان : ١٦٢/٢.

(٣) ينظر : تفسير السمعاني : ٢٣٥/٤ ، ومعالم التنزيل : ٢٤٠/١.

(٤) ينظر : حقائق التفسير : ٧٧/١ ، و ١٣٣/٢، والنهجة السوية ،السيوطي : ١٩٩ ، والرياض الأنيقة ، السيوطي : ٣٥ ، وسبل الهدى والرشاد ، الصالحي: ٤٨٩/١ ، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية : ٤٤٧/١

(٥) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ٣٢٤/٢.

ولا تتوقف إشعاعات النعت (العروة الوثقى) الدلالية ، فنلمسُ فيه وصفةً روحيّةً إلهية حقيقيّة شاملة الإحساس براحة الثّقة والطُّمأنينة التي سبَّبها التمسّك بالعروة الوثقى[١] ، أي الوسيلة الموصلة إلى الخالق سبحانه ، ومَنْ أحسنُ وسيلةً من الرسول محمدﷺ ، وإنّ تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله أُجري مجرى دقيقاً ، تحصَّل منهُ توافقٌ ترتيبيّ مع ما يناسبه من دلالة الفعل الذي وقع جواباً للشرط وجزاءً له ، وهو فعل الاستمساك بالعروة الوثقى ، ودلّ الاستمساك هنا على ضرورة ترك كل شيء وتجنّبه والأخذ بالعروة ، أي أنَّ هناك أمرين :

الأمر الأول: الترك الذي لاءَمه تقديم الكفر وهو تركٌ آخر .

والأمر الثاني : الأخذ الذي لاءمه الإيمان وهو أخذٌ أيضاً[٢].

(النّاس)

الناس ، قيل إنّ أصله (أناسٌ) ، ثمّ حذفت فاؤه التي هي الألف فصارت ناساً[٣].

وورد نعت (الناس) في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[النساء:٥٤] ، وفيه أربعة أقوال :

الأول : الرسولﷺ .

والثاني : الرسولﷺ وبعض من الصحابة .

والثالث : العرب[٤] .

والرابع : الرسولﷺ والصحابة عامة[٥] .

ويرجُحُ في هذا المقام ما أجمع عليه كثيرٌ من العلماء ، وهو دلالة (الناس) على الرسول محمدﷺ خاصّة[٦] ، كما ذُكِر : إنها نزلت في علي (ع)[١].

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٣٥٥/٤.

(٢) ينظر : الميزان : ٣٤٤/٢.

(٣) ينظر : العين (نوس) : ٣٠٣/٧. ، ومفردات ألفاظ القرآن (نوس) : ٥٠٩.

(٤) ينظر : زاد المسير :١٤٠/٢ ، والدر المنثور : ٥٦٦/٢ ، وأحكام القرآن ، الجصّاص : ١٧١/٣.

(٥) ينظر : زاد المسير : ١٤٠/٢ .

(٦) ينظر : مناقب آل أبي طالب : ٢١٣/٣ ، و تفسير الحبري : ٢٥٥ ح ١٩، و الدر المنثور : ٥٦٦/٢ ،

وسياق الآية يدلُّ على أنّ المراد بالناس هو الرسول محمدΟιΠ؛وذلك لأنّ ذيل الآية﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾[النساء:٥٤]، فيه دلالة على أنّ الذي أُطلق عليه (الناس) هو من (آل إبراهيم) خاصة[٢].

ويحمل النعت (الناس) شحنةً دلاليّةً تتّسع لتبرز مقاماً من مقامات الرسول الأعظم ΟιΠ ، فقد سُمي الخاص باسم العام ؛((لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة))[٣] ، كما في نعت إبراهيم (γ) بأنّه أمّة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل:١٢٠] ؛ لأنّه كان يعدلُ أمّةً بفكره وبما يحمله من مزايا[٤].

والتعبير القرآني الذي ورد فيه نعت (الناس) فيه ملحظ دلالي يتمثّل بافتتاح الآية بـــ(أم) المنقطعة التي بمعنى (بل)[٥] الدالّة على أنّ سبب العداوة هو مرضٌ ناتجٌ عن ضعف النفس وهو الحسد ،وإنّ إسناد النعت (الناس) للفعل المضارع (يحسدون) فيد دلالة على أنّ حسدهم لهΟιΠ فيه استمرار وغير منقطع،أي إنّ العداوة له ولأتباعه تبقى مستمرّة ،زيادة على ذلك فقد كشف النعت (الناس) للرسولΟιΠ عن الميزات والخصائص التي نالها الرسول ΟιΠ ، فقد جُمعت له خصائص من الأنبياء الذين سبقوه ، فورث من كلِّ نبيٍّ (β) خصلةً[٦].

والإتقان في علوم القرآن : ٤٣/٢ ، والبرهان في علوم القرآن : ٧/٣ ، و: النهجة السوية : ٢٦٠ ، و سبل الهدى والرشاد : ٥٢٦/١ ، ومجمع البيان : ٦٠/٢.

(١) ينظر : تفسير الحبري : ٢٥٥ ح١٩.

(٢) ينظر : الميزان : ٤٠٠/٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن : ٤٣/٢.

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٦١٢/٢ ، والأمثل : ٣٦٤/٨.

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١٩٠/٢ ، وفتح القدير : ٤٧٨/١ ، وروح المعاني : ٧٥/٥.

(٦) ينظر : الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ابن الصباغ : ٨٩٧/٢.

الفصل الثالث:

فنّية التعبير في بعض نعوت الرسول محمد ﷺ

المبحـــث الأول: الإيحاء الصوتي في بعض نعوت الرسول محمد ﷺ

المبحث الثاني : الأداء التصويري في بعض نعوت الرسول محمد ﷺ

المبحث الثالث : المسالك التعبيرية لبعض نعوت الرسول محمد ﷺ

الفصل الثالث

فنّية التعبير في بعض نعوت الرسول OuP

بعد أن درسنا ملامح نعوت الرسول OuP الصريحة وغير الصريحة ودلالاتها في القرآن الكريم في الفصلين السابقين ، آن لنا أن نتلمس جماليات التعبير القرآني ، وذلك بلحاظ ما أحدثته ثنائية البناء اللغوي ــ الدال (الصورة الصوتية) والمدلول (الفكرة) ــ من إشعاع فنّي وعمق دلالي أثاره الارتباط الوثيق بين الصوت ومعناه(١) .

وتنطلق تلك الثنائية في بعض نعوت الرسول OuP لتتسق مع قريناتها في السياق البنيوي التركيبي،فتتكشّف لنا دلالات إبداعية تتمثل بإثارة معنى عميق أو معان متعددة(٢) .

ومن ثم يتضح في هذا الفصل الملامح الجمالية في التعبير القرآني ، التي نستشفها من دراسة الظواهر الصوتية ، وقدرة الأداء التصويري والتعبيري في بيان تلك الجمالية في بعض نعوت الرسول OuP الصريحة وغير الصريحة ؛ لذا وقع هذا الفصل في ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : الإيحاء الصوتي في بعض نعوت الرسولOuP .

المبحث الثاني : الأداء التصويري في بعض نعوت الرسولOuP .

المبحث الثالث : المسالك التعبيرية في بعض نعوت الرسولOuP .

---

(١) ينظر : فصول في علم اللغة ، دي سوسير :١٢٤ . ودلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس :٦٣، و ظاهرة اللبس في العربية ، د. مهدي أسعد عرار: ٥ .

(٢) ينظر : ظاهرة اللبس في العربية :٥٢ .

المبحث الأول:

الإيحاء الصوتي في بعض نعوت الرسولOuP

ويشمل هذا المبحث على ما يأتي :

أولا : المحاكاة الصوتية في بعض نعوت الرسولOuP الصريحة وغير الصريحة .

ثانيا : الفاصلة القرآنية .

أولا : المحاكاة الصوتية في بعض نعوت الرسولOuP

من إعجاز القرآن وتفرّده الرائع في الدلالة، ارتباط الصوت بمعانيه ارتباطاً وثيقًا،فالجانب الصوتي له منزلة كبرى في التعبير القرآني .

وتبرز تلك المنزلة من خلال تشكّل الأصوات وانسجام بعضها واتّساقه مع بعضها الآخر،ومن خلال ما تحمله تلك الأصوات من تفاوت في صفائها ورقّتها(١) .

لقد وظّف التعبير القرآني جرس المفردة القرآنية للإيحاء بمعناها قبل إيحاء مدلولها اللغوي على ذلك المعنى (٢)، فلا تقتصر أهمية جرس الأصوات على ذاته، بل العبرة بمقدار ما يشعره من حدث للنفس وتصويره بما يملكه الصوت من خصائص تشع ببيان الموقف الذي ترد فيه ، فيرتبط الجرس بالإيحاء ولا يكاد ينفك عنه في أغلب الأحايين ، ومن ثم تستمد العبارة ما تملكه من قوة في الدلالة من القوة

(١) ينظر : الطراز ، العلوي : ١٠٦/١ .

(٢) ينظر : التعبير الفني في القرآن : ١٨ .

التي تتوافر في مفرداتها الصوتية التي تؤدي المعنى المطلوب(١) ، إذ تؤدّي الفونيمات دورا كبيرا في تحديد دلالة الكلمات التي ترد فيها(٢) .

والذي نريد أن نسلط الضَّوء عليه هنا هو المحاكاة الصَّوْتِيّة لألفاظ النعوت الصَّريحة وغير الصريحة للرسول ﷺ في التَّعْبِير القرآنيّ .

فإذا ما أردنا أن نقف عند القيم الصوتية التي أشارت إلى دلالات الألفاظ النعتية التي وردت فيها ، ندرك أنّ الإيحاء الصوتي في الحروف مفردة ومركبة هيّأ لإظهار خاصية ثبتت في نعوت الرسولﷺ ،نلمح ذلك من التناسب بين أصوات تلك النعوت التي وردت في القرآن الكريم وبين المعاني التي تعبر عنها .

ومن أمثلة ذلك النعت (الباخع) للرسول ﷺ الذي ورد في موطنين من القرآن الكريم كما في قوله تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف :٦] (٣) ، إذ البخع في اللغة يدلّ على قتل النفس غيظا ووجدا وهو المبالغة في الحزن (٤)،فرسمت أصواته حالة الحزن والمعاناة التي كان الرسول ﷺ يعيشها جرّاء كفر القوم وعدم إيمانهم (٥) .

وألمحت أصوات النعت إلى ذلك المعنى ابتداء من صوت الباء الشديد(٦)الذي كشف عن معالم الإيحاء الصوتي ، فقد أشاع أجواء مليئة بالألم المحتبس في صدر الرسولﷺ،يتبعه إيحاء صوتي صاعد أبرزه ألف المدّ ،الذي صوّر بامتداده علوّ الألم وتصاعده وانتشاره في أعماق النفس الرساليّة .

كما عبّر التقاء صوت الخاء المهموس(٧)مع صوت العين العميق في مخرجه(٨)

---

(٣) ينظر :الخصائص ، ابن جني : ١٥٧/٢، والبلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، د.محمد إبراهيم شادي ٢٨:

(٢) ينظر : مقدمة لدراسة فقه اللغة ، د. محمد أحمد أبو الفرج : ١٣٢ وما بعدها .

(٣) وينظر : الشعراء :٣

(٤) ينظر : النهاية (بخع) :١٠٢/١ ، والقاموس المحيط (بخع) :٩٦/١ .

(٥) ينظر :أضواء البيان : ١٧/٧ .

(٦) ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢٢٨/١ ، وشرح شافية ابن الحاجب،الرضي:٢٦٠/٣ .

(٧) ينظر : إعجاز القرآن ، الباقلاني : ٦٦ .

(٨) ينظر :الكتاب :٤٣٣/٤ ، واللباب في علل البناء والإعراب، العكبري : ٤٦٣/٢ ، والصوت اللغوي في القرآن ، د. محمد حسين علي الصغير :١٣٠

عن الإحساس الداخلي الذي يتفاعل ويشتد داخل النفس المتكاملة التي تحرص على هداية الإنسان من الوغول في ظلمات العناد (١) .

ومن ثم نلحظ أنّ هناك ملاءمة خفية بين الصوت والمعنى (٢) أبرزتها الإيحاءات الإيحاءات الصوتية لذلك النعت ، فقد كان قومه غاية في الجحد والإنكار ،وكلما جاءهم بدلائل تبهر ذوي الألباب تفننوا في اختلاق التهم التي حاولوا من خلالها تشويه الحقائق، فمرة رمَوه بالشعر والكهانة وأخرى بالسحر والجنون ،وهذا مما يؤلم الروح الكبيرة التي تشفق على هؤلاء المفترين ، فتغتم وتحزن، لا لذاتها، بل لسعادة الآخرين الذين ينبغي أن ينهلوا من معين عطاء الخالق سبحانه ،وناسب هذا الموقف المليء بالحزن والآهات وقوع النعت (باخع) في سياق التسلية للرسول OuP ؛ للتخفيف عمّا كان يصيبه من اغتمام لذلك الأمر (٣) .

وتتضح دقة الأداء الصوتي في حروف النعت (المشاور) للرسولOuP ،إذ تلتقي إيحاءاته الصوتية مع دلالته المعجمية والسياقية ، لتظهر صورة فنية بثّتها أصوات حروفه ، فهذا اللفظ وحده شكّل لوحة اشتملت على أطراف متعددة ، تولّد فيها اجتماع تلك الأطراف المتمثلة بالرسول OuP وقومه ، وإثارة ما كان يدور في الأذهان من أفكار وسماعها ومناقشتها في أجواء يسودها الهدوء والوضوح .

فقد تعاضدت الأصوات التي اشتمل عليها الفعل شاور (الشين والألف والواو والراء) في إثارة دلالات شعّ بها النعت المأخوذ من ذلك الفعل ، كالانتشار والشيوع بين أولئك النفر الذين اجتمعوا لتدارس الموقف في قوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران:١٥٩].

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٩٦/١٧ .
(٢) ينظر :دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان : ٨١ .
(٣) ينظر : مجمع البيان : ٤٥٠/٦ .

كما أفشى صوت الشين المهموس الدال على التفشي والانتشار (١) إيحاء صوتيا يشير إلى ارتكاز تلك السمة في خلق الرسولOuP ، يعضده صوت الراء بما فيه من دلالة تؤكّد شيوع النعت (٢) من خلال التكرير الذي يتصف به ذلك الصوت (٣).

ومن الملامح التي استشفّت من النعت (المشاور) بأصواته قبل تقصي معناه اللغوي ،نستطيع أن ندرك أنّ المشاورة لا تكون في مدّة زمنية قصيرة ،بل أضفى ألف المد ــ وهو صوت صائت طويل ذو حركة كاملة ليست كالواو والياء اللتين هما أنصاف حركات(٤) ــ إيحاءً بالفسحة الزمنية التي ينبغي أن تتوافر فيها، فكان إيحاءً جميلا باعثا على التأمل في الفكرة المطروحة.

وقد ظهرت في تلك المشاورة حالة الانفعال (التأثير والتأثّر) ،وتحمّل المسؤوليّة التي جسّدها صوت الواو (٥).

ومن ثمّ يمكن لنا أن نقول : إنّ هناك طاقة إيحائية متولّدة من جرس لفظ (المشاور) ،تلك الطاقة التي لا تتوافر في ألفاظ دالّة على المعنى نفسه ،مثل : حاوِر، أو استَشِر،فقد جلّى الإيحاء الصوتي للنعت (المشاور) خلق الرسول OuP .

إنّ الهمس والتكرير والتفشّي في أصوات حروف النعت (المشاور) منحه دلالة إيحائية سرحت بالذهن إلى رسم صورة اللقاء الحميم المشتمل على الهدوء والوضوح وإعطاء الفرصة للمشاركة في مناقشة الأمور التي تواجههم .

ولعلّ انتقاء السياق القرآني هذه اللفظة ذات الأصوات الموحية إلى مدلولها إنّما كان لغرض بيان المشاركة في طرح الرأي،وليس الإملاء على الرسولOuP، فقد أكّدت ذلك الدلالة الكامنة في أصوات المادة اللغوية (شاور) التي تفترق عن دلالة

---

(١) ينظر : الكتاب : ٤/٤٣٤ ، والنشر في القراءات العشر : ١|٢١٤ . وعلم الأصوات لمالمبرج ، د.عبد الصبور شاهين : ١٢٢ ــ ١٢٦ ، والصوت اللغوي في القرآن : ٢٠

(٢) ينظر :المختصر في أصوات العربية ، د.محمد حسن جبل: ٦٨ ، والعربية وعلم اللغة الحديث : ١٢٨.

(٣) ينظر : الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم : ١٠٥ .

(٤) ينظر :الصرف وعلم الأصوات ، د. ديزيرة سقال : ١٥٥ .

(٥) ينظر :الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم :١٧ــ ١٨ .

أصوات (استشر) .

ونتلمس الأداء الصوتي في ما أثاره النعت (المتربّص) للرسول OuП الذي ورد في قوله تعالى :﴿ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور:٣١] ، فجاء النعت بتعبير القرآن يحمل كمّا هائلا من التهديد لأولئك القوم الذين دفعهم عنادهم إلى عدم الانصياع لصوت الحق ،وجرّهم إلى الكفر وترك الإيمان ،بل عمدوا إلى قتل الأنبياء غير مبالين بما يفعلون ،فلما كان لسان التعبير القرآني لسان تهديد ،كان لا بدّ من الإتيان بألفاظ تنسجم مع ذلك السياق .

وإذا حلّلنا النعت (المتربّص) تحليلا صوتيا ،وجدناه يجمع بين الشدة المستقاة من التاء والراء والباء (١) ، التي زاد تضعيف (الباء) من شدّتها ، وبين التفخيم الذي ألمع إليه صوت (الصاد) الذي اتصف بأنه صوت مطبق ، والإطباق دال على التفخيم (٢).

ومن ثمّ فإنّ اجتماع تلك الأصوات في لفظة واحدة أكسبها قوّة وشدّة ،جعلت أصوات النعت (المتربّص) في حالة تناسب تام مع المواجهة الشديدة التي برزت في السياق الذي وردت فيه ، فقد سبقه قوله تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور:٣٠] ؛ للإشارة إلى أساليب القوم في رمي صاحب الرسالة بتهم وافتراءات لا واقع لها وإنّما هي من نسج الخيال ،والغرض منها تشويه الرسالة الإلهية ،كما حكى الله (سبحانه وتعالى) من قولهم : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ [الدخان: ١٤] ، وقولهم :﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[الإسراء:٤٧] ، وقولهم:﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان:٥] ، فالأقوال السابقة وما ماثلها في التعبير القرآني حكاية عن قومه ،لا توجب وهناً في

(١) ينظر: سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي : ٢٣ ، والنشر في القراءات العشر : ٢٢٨/١ ، والأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس :٢٤ــ٢٥ ، والمختصر في أصوات اللغة العربية :١٠٧ .

(٢) ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢١٤|١ .

قاعدة الدين ، وإنّما هي كاشفة عن حيرتهم واضطرابهم الفكري مما يسبب ارتفاع حدة المواجهة مع الرسول ﷺ(١) .

فالتربّص لا يدلّ على الانتظار أو الترقب فقط ، بل هو ((الانتظار بالشيء من انقلاب حال له إلى خلافها)) (٢)، ومن ثمّ فهو انقلاب مصحوب بالتهديد ،وفيه لون من ألوان الخوف والشدة ، نلمح ذلك في قوله تعالى :﴿ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة:٥٢] ، فالآية تدل على أنّ كلاّ يتربص بصاحبه ، غير أنّ تربّص المنافقين ــ من حيث لا يعلمون ــ بالرسول ﷺ وأصحابه إحدى خصلتين حسنيين ،هما : الغلبة على العدو مع الغنيمة ، أو الشهادة في سبيل الله ، في حين يتربص المسلمون بالكافرين أن يعذّبهم الله تعالى بعذاب من عنده كالعذاب السماوي، أو بعذاب يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين كأن يأمرهم بقتال الكافرين ، وتطهير الأرض من قذارة وجودهم (٣).

وتشتمل أصوات (المتربّص) على لون من ألوان المفاجأة ، أوحى إلى ذلك اقتران صوت الميم المجهور مع صوت الباء الانفجاري(٤) ،وإنّ تشديد الباء فيه إلماح إلى تركيز موقف المفاجأة ،إذ تكون في بعضها ساكنة، والسكون في حقيقته هو وقوف حتمي، وهذا ممّا يضاعف الطاقة الإيحائية الدالّة على المفاجأة التي تلتقي الصاد المفخم ذات الوقع الصارخ (٥) ، فتتولّد لنا شدّة ممزوجة بالقوة والتفخيم .

والخطاب القرآني :﴿ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور:٣١] يشير إلى مجاراة الرسول ﷺ قومه في معرض الاحتجاج عليهم ، فقد تنزّل من مقام المطمئن الواثق من نهايتهم البائسة إلى حال المترقب المتفاجىء ، وواقع الأمر

(١) ينظر : الميزان : ٤٧/٦ .
(٢) مجمع البيان : ٩/ ٢٧٨ ..
(٣) ينظر: الميزان : ٣٠٨/٩ .
(٤) ينظر: علم الأصوات لمالمبرج : ١٢٢ــ ١٢٦ .
(٥) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن : ١٨٧ .

أبعد من ذلك ،فندرك أنّ الخبير حين استعمل هذه المفردة وظّف الطاقات كلّها ؛ لتحدث أثرا صوتيا يحمل التهديد والوعيد للمعاندين(١) .

ويتجلّى الأداء الصوتي في إيحاءات حروف النعت (المبلّغ) للرسول ﷺ في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] ،فقد تعانقت أصوات حروفه لترسم صورة ملائمة لما يقوم به الرسول ﷺ من وظائف تعمل على نشر رقعة التثقيف الرسالي واتّساعها .

وقد امتاز الأداء الوظيفي التبليغي بسمة الإصرار، والتمسّك الكبير لبلوغ الهدف الإلهي المرسوم ،تجلّى ذلك من إيحاء أصوات النعت (المبلّغ) بتلك الدلالة ،فقد اشتمل الفعل الذي اشتق منه هذا النعت على صوت الباء المجهور الشديد (٢)،واللام المشدّد الدالّ على الإصرار (٣) ،والغين الذي اتسم بصفة الاستعلاء(٤) ، فتضافرت تلك الأصوات مجتمعة في تثبيت دلالة تشير إلى ما كان يحمله الرسول ﷺ من حرص كبير على القيام بمهمة التبليغ بشكل واضح لا يكتنفه أي غموض ومن دون تردد ،أو تهاون في أدائها، يؤيّد ذلك رفضه كلّ عَرْض كان يُعرَض عليه من زخرف الدنيا مقابل تخلّيه عن أداء الرسالة الإلهيّة (٥) ، وأومأت أصواته بما اشتملت عليه من إصرار واستعلاء إلى تمسّك الرسول ﷺ في بذل ما يستطيع لرفع التعاليم الإلهية ،وإعلائها فوق التعاليم الأخرى .

وأفاض الأداء الصوتي في حروف النعت (الصادع) للرسول ﷺ بنبرة صوتية قوية ، ناسبت وظيفة التبليغ الرسالية ، التي اتسمت بالمشقّة والعناء ،وقد أشارت أصواته القوية إلى إمكانية نور الرسالة من أن يشقّ ظلمة اعتقاد المنكرين.

---

(١) ينظر :الخطاب الإلهي للنبي ﷺ في السور المدنية (رسالة ماجستير) ، عمر خليل حمدون: ٣٨٨

(٢) ينظر :المختصر في أصوات اللغة العربية : ٥٨ .

(٣) ينظر :الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم : ٩٥ .

(٤) ينظر : النشر في القراءات العشر ٢٢٨/١ .

(٥) ينظر :دلائل النبوة ،الأصبهاني ١٩٧/١ ، والجواب الصحيح ، ابن تيمية :٣٣٥/٥ ، والبدء والتاريخ ، المقدسي ١٤٨/٤ ، وتاريخ ابن الوردي ١٠٠/١ .

فـــيلحظ فـــي قولـــه تعـــالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤]طاقة إيحائية متولّدة من جرْس الألفاظ في لفظ (الصدع) ،ومن النســق الذي تولّد فيه هذا النعت ، فقد ورد في معرض تحدّي المشركين ،والإعراض عنهم، ولاسيّما إذا عرفنا أن السورة التي ورد فيها هذا النعت هي سورة مكية [١] تتطلــب التخفي والتستر ، ومن ثمّ فإنّ الإظهار والإعلان يبين قمة التحدي .

وقد شارك امتزاج العناصر الداخلية والخارجية في بيان قدرة أصــواته علــى تقريب الفكرة المتوخّاة بشكل كبير إلى ذهن المتلقي ، إذ نلمس في هــذه الوظيفــة التبليغيّة فخامة مشفوعة بنصاعة ، فقد أظهر تلك الفخامة صوت الصاد الذي جمــع بين الإطباق والاستعلاء [٢] ، ثم تلاها صوت الدال الذي اتّســم بنصــاعة صــوتية وفّرت له إمكانية ذاتية في التعبير [٣] ،وألمحت إلى قدرة الرسول OuП التعبيريــة في شقّ حجج المعاندين ، ويعقب ذلك صوت العين الذي هو من أنصــع الحــروف جرسا[٤] ، وفيه دلالة على الباطن [٥] ، ممّا يؤكّد مهمة الرسول OuП التــي تبــدأ بعلاج بواطن أولئك المشكّكين .

إنّ توالي هذه الحروف القوية يوحي بقدرة النعت الصوتية على الإبــداع فــي إظهار الموقف ، وإعلانه بقوّة ، وفي ذلك تناسب بين طبيعة اللفــظ وبــين الأمــر المعلَن الذي وجّه إليه ، فقد جاء الأمر للانتقال من مرحلة التخفي والتكتم في الدعوة إلى الله تعالى إلى مرحلة العلن ، وقد جيء بلفظ قوي يحمل طاقة دلالية وعاطفيــة مؤثرة في البعدين النفسي والعقلي ؛ ليلائم المرحلة الجديدة .

لقد كشف النص القرآني الطاقات الكامنة في أصوات نعــوت الرســولOuП، ووظّف الإيحاءات الصوتية في خدمة الدلالة ، إلى جانب ما يضفيه الأداء الصــوتي من جمالية وإبداع على التعبير القرآني، ويتجلّى لنا ذلك الإبداع مــن خــلال المــدّ

(١) ينظر : معجم علوم القرآن ، إبراهيم محمد الجرمي :١٢٢ .
(٢) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د.غانم قدوري: ٣٢٨ .
(٣) ينظر :الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم : ١٠٠ .
(٤) ينظر : العين :٥٣/١ .
(٥) ينظر :الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم :٩٤ ــ ٩٥ .

الصوتي الذي يثير دلالة فريدة في النعت (الرسول) عند اتّصال ألف المدّ به، فالإيحاء الصوتي المتولد من مدّ الألف يوحي بالندم والتوجّع النفسي، في قوله تعالى :﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾[الأحزاب:٦٦] ، فالآية المباركة ترسم صورة من صور أولئك الذين يعذّبون في نار جهنّم ، فتبرز حسراتهم ، ويظهر الندم جليّا من قولهم :(يا ليتنا) ،ذلك الندم الممزوج بمدّ الصوت في النعت (الرسولاْ) الذي جاء ملائما لصراخهم في جهنّم ،ومدّ أصواتهم بالبكاء[1]

والصوت اللغوي ألمع بطوله وقصره إلى دلالة ناسبت الموقف الذي ورد فيه ، ويمكن لنا أن نلمح ذلك الإيحاء في النعت الضمني (الموحى إليه) للرسول OuP في قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠] ،إذ دلّ انعدام صوت الألف في الضمير (أناْ) على نهاية البشر عامة،ورسول الله OuP واحد منهم ،فلابدّ من أن تكون له نهاية واحدة من ناحية الوجود البشري ، وكذلك من ناحية معرفته وعلمه مقابل العلم الإلهي المطلق الذي لا حدّ له .

فمثّلت هذه النغمة الصوتية المنقطعة إثباتا لبشريّة الرسولOuP ،وردّا على أولئك النفر من اليهود الذين كانوا يتوجهون بمطالب هي فوق قدرة الرسولOuP ، فقد سألوا عن الروح ، وطلبوا منه بيان حقيقتها ، وعندما لم يجبهم،ظنوا أنّ ذلك مدعاة لعدم تقبّل الرسالة المحمدية ،فنزل قوله تعالى :﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩] مُعلِما باتساع معلومات الله تعالى ،وعدم تناهيها ،ومن ثمّ فليس بمستنكر على الرسول OuP أن يقف دون معرفة بعض العلوم التي اختص الخالق سبحانه بمعرفتها ، وعُبّر عن مبلغ ذلك العلم بتمثيل رائع يشعّ من عبارة (قل لو كان البحر مدادا) التي وردت في الآية السابقة [2].

(١) ينظر :أسرار البيان في التعبير القرآني:٨٨ .
(٢) ينظر :تفسير البحر المحيط : ١٦٠/٦.

إنّ الهدوء والانحناءة في النطق ألمح إلى الرقة والتواضع الذي اتّسم به الرسولOuP، فقد ((قال ابن عباس : علَّم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه ، فأمره أن يُقِرَّ على نفسه بأنه آدمي كغيره ، إلا أنّه أُكرم بالوحي)) [١].

ومقابل ذلك الصوت المنقطع في (أناْ بشر) ، يأتي المدّ الصوتي في ذات السياق يمثّله النعت (الموحى إليه) للرسول OuP المأخوذ من العبارة (يوحى إليّ)، ليدلّ على أنّه بشرٌ ينتهي عِلْمه إلى حيثُ يوحى إليه [٢] ، كما أنّ في هذا المدّ دلالة على استمرار الرسالة وعدم انقطاعها حتى تبلغ بقاع الأرض كلّها [٣].

وعليه اتّسم التعبير القرآني بالدقّة في انتقاء الألفاظ ووضعها في أماكنها التي خلقت لها [٤] ، فلا يمكن استبدال لفظ بآخر ، بل لا يمكن استبدال حركة بأخرى ؛لتَغيُّر القيم الدلالية بتغيّرها ،وهذا ما نلحظه في توالي أصوات النعت (المدّثّر) للرسول OuP في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر: ١] ، فقد انسجم تشديد صَوتَي الدال والثاء المتجاورين مع شدّة التكليف الرسالي ، وكأنّ في التشديد والثقل إلماعاً إلى استعداده الروحي في إظهار دعوة الحق بثقة تامة وطمأنينة كبرى ، وقيامه بوظيفة التبليغ بجد ونشاط ، وما تضمنته تلك الوظيفة من إنذار الكفار ، والصبر على أذاهم ، حتى يحكم الله تعالى بينه وبينهم ، كما في الآيات القصار الآتية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ [المدثر: ١ – ٧] [٥] .

وقد استطاع الأداء الصوتي أن يشير إلى حالة التخفي التي دلّ عليها النعت (المزّمّل) للرسولOuP ، من خلال ما ألمح إليه إدغام تاء التفعّل في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾[المزمل: ١] ، ولعلّ في هذا الإدغام إشارة إلى أنّ الستر بالثوب لم

(١) زاد المسير : ٥/ ١٤١.
(٢) ينظر :الجواهر الحسان :٥٤٧/٣ .
(٣) ينظر :الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم :١٩١ ــ ١٩٢ .
(٤) ينظر :بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٢٣ .
(٥) ينظر : صفوة التفاسير : ٣ / ٤٧١ ــ ٤٧٢ .

يشمل جميع البدن ، إلى جانب ما حمله هذا اللفظ من البشارة بقوة الرسولOuP على تحمّل أعباء ما أمر به (١) . إذ ألمح الإدغام إلى حقيقة ذوبان صوت بآخر من بين الأصوات المجاورة له ، بحيث يحمل بعضها بعضا ،وفي ذلك تعبير فني ملائم لذوبان الرسولOuP مع الرسالة الإلهية ، واستعداده لحمل تكاليفها أجمع .

ونلحظ أنّ التعبير القرآني يعمد إلى استعمال أصوات تمتاز بالحدة والشدة في مواضع تتطلب تلك السمة تارة ، ويميل إلى استعمال أصوات تمتاز بالخفة والسهولة في مواضع تلائمها تارة أخرى ،وهذا ما نلمسه في توظيف مسألة العدول عن الأصل في الهمز في النعت (النبيّ) للدلالة على ما اشتمل عليه الرسول OuP من لين وسماحة ،فالأصل في ذلك النعت الهمز نقول :(النبيء) إلا أنّه خفّف كتخفيفه خابية وهي من الفعل المهموز (خبأ) (٢)، قال سيبويه (١٨٠هـ) : ((وليس من العرب أحد إلا وهو يقول تنبأ مسيلمة وإنما هو من أنبأت)) (٣) ، إذ إنّ تحقيق الهمزة يبرز أثرا صوتيا حادا وثقيلا ؛ لاتّصافها بصوتها الشديد الانفجاري (٤).

ومن ثمّ فالأداء الصوتي لهذا النعت بتسهيل الهمزة ، والبعد عن تحقيقها يشير إلى أنّ الرسولOuP جاء بشريعة عمادها اليسر والتخفيف على العباد، وهذا ما رُكِّز عليه في الحديث الشريف ، فقد روي أنّ رسول الله OuP قال : ((لا تنبر باسمي)) (٥) ، و لم يرد النعت (النبيّ) مهموزا في القرآن الكريم ، بل كانت لغته التسهيل لا غير .

ويمكن لنا أن نجلّي الإيحاء الصوتي في النعت (المحرّض) للرسولOuP المأخوذ من الفعل (حرّض) في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا

(١) ينظر : نظم الدرر ، البقاعي : ٨ / ٢٠٢ ــ ٢٠٣.
(٢) ينظر :النهاية في غريب الحديث والأثر : ٨/٥ .
(٣) الكتاب : ٤٦٠/٣ .
(٤) ينظر : أثر القراءات في الأصوات ، د. عبد الصبور شاهين : ١٦٧ وما بعدها .
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر:٣/٥ ، وبحار الأنوار:٢٩/١١ .

مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾[الأنفال: ٦٥] ، إذ إنّ انتقاء لفظة (الحَرَض) في (حرّض المؤمنين) له وقع مؤثر في رسم صورة تنبثق منها دلالة اللفظ عبر الإيحاءات الصوتية لذلك النعت ، فالاستعمال القرآني للفعل (حرّض) يفوق استعمال صيغ أخرى ــ قد تستحق في ظاهر لفظها أن تكون بديلا عنه ــ مثل (حثّ أو وجّه) أو غيرهما من الصيغ الأخرى ؛ لأنّ (حرّض) فيه تأكيد وتشديد على ضرورة امتثال تلك الفئة المطيعة ــ فئة المؤمنين ــ الأمر الرسالي الذي يقضي بقتال الأعداء ، فقد امتزجت أصواته (الحاء والراء والضاد) وتدرّجت من الصوت المهموس (الحاء) ،ثمّ صوت الراء المكرر المتوسط المجهور إلى الصوت الشديد المجهور (الضاد) ،وأوحى ذلك إلى تدرّج الأمر بالقتال ، إذ يبدأ بالصوت المرقق ثم يليه التشديد والجهر بما يناسب خطاب المؤمنين والحث على الاستعداد لمواجهة المواقف المهولة التي لا ريب فيها أنها تتطلب صبرا وتحملا .

ونغترف من معين القيم الصوتية في النعت (المتبتّل) للرسولOuP في قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾[المزمل: ٨] ، فقد كشف تكرير صوت التاء الشديد(١) المقترن بصوت الباء الشديد أيضا(٢) عن شدة المجاهدة والانقطاع إلى الله تعالى ، فأشاعت تلك الأصوات في التعبير القرآني الذي ورد فيه هذا النعت جوا من العناء والمكابدة في طريق ممتد نحو الحضرة الربوبيّة المقدّسة ،شعّ بذلك مجيء المتعلّق (إلى ربّك) مع الفعل (وتبتّل) ليدلّ على أنّ هناك رعاية ودعماً إلهياً للذي يريد سلوك الطريق إلى الله تعالى بما تشمل كلمة (الرب) من دلالة على الحنو والعطف والرعاية (٣) .

وقد أوحى صوت اللام المتّصف بالانفتاح (٤) المقترن بتلك الأصوات الشديدة إلى تكشّف تلك المعاناة بالوصول إلى الحقيقة المرجوة ، وهي القرب من الخالق عزّ وجلّ .

---

(١) ينظر : المقتضب ، المبرّد: ١٩٦/١ ، والأصوات اللغوية : ٢٥ .
(٢) ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي ، د.حسام سعيد النعيمي : ٣١٠ .
(٣) ينظر :تهذيب اللغة (رب) : ١٢٨/١٥ ، ولسان العرب (ربب) : ٣٩٩/١
(٤) ينظر :الكشاف : ١٠٨/١ .

ثانياً : الفاصلة القرآنية

تؤدّي فنية التعبير دورا بارزا في إذكاء قيم دلالة النص من خلال الإيحاءات الصوتية ، والفواصل التي تشتمل عليها سور القرآن الكريم (١) .

وقد قامت الفاصلة القرآنية بأداء حظ من دلالة الآي الذي وردت فيه ،فنلحظ ذلك في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾ [المدثر:١- ٤] ، إذ وقعت النعوت (المدّثّر ،المنذر، المكبّر ، المطهّر) للرسولOuP فواصل منسجمة ومتسقة في سورة امتازت بقصر آياتها وسرعة جريانها مما جعل لها مذاقا خاصا (٢) ، وقد أضفت تلك الفواصل معنىً حركيا يشير إلى التحدي والمواجهة ، ولاسيّما عند معرفة أنّ تلك النعوت وردت فواصل في سورة المدّثّر التي تعد من أوائل السور التي أنزلها الخالقU سبحانه على رسوله الكريمOuP .

وبذا أسهمت الفواصل في إبراز وظهور التحدي في بدء الدعوة الرسالية؛ وذلك بتكرير حرف (الراء) في النعوت التي وقعت فاصلة في هذا المقام ،وإنّ اتصاف حرف (الراء) بشيوعه وتكريره(٣) إلى جانب تكريره في تلك الفواصل يشير إلى دوام الصبر على المعاناة ، وهذا الشأن الوظيفي لا يليق إلا بمن صفت نفسه وطهرت فصارت محلا لتكبير الله تعالى (٤) .

ويمكن لنا أن ندرك أثر الفاصلة القرآنية بدلالتها على عاقبة من تخلّف عن طاعة الرسول OuP ،فأبرزت موقفا مهولا مخيفا تعددت فيه عناصر الجزاء وصوره،كما في قوله تعالى :﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ

(١) ينظر : الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي : ٢٣ــ ٢٦.
(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧٥٣ ــ ٣٧٥٤ .
(٣) ينظر : الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم : ١٠٥ .
(٤) ينظر : التفسير الكاشف : ٧/ ٤٥٥ ، وتفسير من وحي القرآن : ٢٢٥/٢٣ .

وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[الأحزاب: ٦٦ - ٦٧] .

جاءت كلمة (السبيلا) بالألف، والتعبير في هذا المقام عن أولئك الذين يُعـذَّبون في النار ، فيمدّون أصواتهم فيها، وجاء النعت (الرسولا) بالألف ، ليدلّ على صوت الباكي فيصوّر الحالة الطبيعية المتولدة من ذلك الاصطراخ (١).

وقد ورد النعت (الرسول) فاصلة ملائمة للفظ (السبيل) الذي هو فاصلة في الآية التي تليها ؛ ليدلّ على أنّ السبيل الحق والمنقذ من المهالك هو الرسول OuP لـيس غير، فولّدت الفاصلة المشتملة على النعت (الرسول) موقفا جزائيا ناسب الذين تتقلب وجوههم في نيران جهنم بسبب طاعة غيره .

ومن ثمّ فقد اختصرت الفواصل الجزاء الدنيوي وعَبَرَت إلى نقطـة المواجهـة التي لا مفرّ منها فظهر فيها حالة البؤس والمعاناة الحسية والنفسية حيث الجلود التي تقلّب بسرعة نلمحها من حذف التاء في (تقلّب) التي استعملت بدلا من (تتقلّب) ،ومع تلك السرعة والشدة فلا يترك مكان من تلك الوجوه لا تلفحه نيـران جهـنم التـي سعّرها الجبّار لغضبه ،كما نلحظ النفوس التي قتلتها الحسرة والندامة(٢) .

وننظر إلى عظم التناسب الذي أحدثته الفواصل في قوله تعالى :﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[الشرح:٥– ٨] ،فقد أعقب النعتين (الناصب والراغب) ــ المأخوذين من الفعلين (فانصب و فارغب) ــ العسر المصحوب باليسر ، للدلالة على أنّ النصب وهـو العنـاء أو التعـب (٣) ، والرغبة وهي طلب الشيء والإرادة له (٤) من شأنهما أن تعقبهما الراحة والرضـا ؛ لذا يجدر بالرسولOuP ومن خطا خطواته أن لا يركن إلى الراحة ، بل يتنقّل مـن موقع جهادي إلى آخر ، يفتح جبهات جديدة على الصُعُد كافة ، فبقدر ما يتحمّل من

(١) ينظر ص(١٣٣) من هذه الرسالة .
(٢) ينظر : جامع البيان : ٦١/٢٢ .
(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة (نصب) : ٤٣٤/٥ .
(٤) ينظر : المصدر السابق (رغب) : ٤١٣/٢ .

أذى في سبيل الله تعالى ، يمكن له أن يمتد في عالم الرضا وعلو الشأن والرفعة ، فيشير النعتان إلى جهاد النفس المستمر وتحمّلها النصب والتعب في مرضاة الله تعالى ، ليطيب ثمره ، ويكثر خيره (١) .

ونلمح من تآخي القيم الصوتية في النعتين السابقين اللذين وقعا فاصلتين متتاليتين دلالة موحية إلى التآخي والانسجام والتتابع في العمل والدأب في الإقبال على الله تعالى ، فلا مكان للفتور في حياة الرسولﷺ (٢) ،يعضد ذلك صوت الباء الشديد (٣) الذي وقع في فاصلتين متتاليتين فألمع إلى الاستمرار في السكون إلى الرب تعالى ومتابعة القيام بالدعوة إليه عن طريق التصاعد في درجات العبوديّة لبلوغ نهاياتها (٤) .

وتكرّر مجيء نعوت الرسولﷺ (المرضيّ ،اليتيم ،المهدي ،العائل ،المُغنَى) في سياق قرآني تفاعلت فيه هذه النعوت التي وقعت فاصلة أو اقترنت بفواصل تلاءمت معها ضمن تشكيلة إيقاعيّة هادئة، أعلنت عن حالة العطف والمنّة الإلهية في قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[الضحى :١ - ٨] ، فقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالضحى وبالليل لبيان ما للرسولﷺ من شرف ومنقبة ، إذ وعده ربه بمقام الشفاعة يوم القيامة ،ثمّ عرض نعوته التي تدلّ على المنّة والكرامة وصيانة فقره ويتمه من الحرمان والذلّة في فواصل متتالية شعت بتلك المقامات(٥) ، وإنّ الغرض من تعداد تلك النعم وتوالي نعوت الرسولﷺ وحشدها في آي

(١) ينظر : التفسير القرآني للقرآن ، د. عبد الكريم الخطيب: ١٦/ ١٦٠٩ ــ ١٦١٢.
(٢) ينظر :نحو تفسير موضوعي ، محمد الغزالي :٥٢٦ ــ ٥٢٧ .
(٣) ينظر :الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي : ٣١٠ ، وعلم اللغة ، حاتم صالح الضامن :٥٤
(٤) ينظر :العزف على أنوار الذكر، محمود توفيق محمد : ٢٦٨ ــ ٢٦٩ .
(٥) ينظر : بصائر ذوى التمييز : ١ / ٥٢٥.

متوالية تقوية قلبه OuП ، وتشجيعه على مواصلة السير في الطريق التي اختارها له اللّه تعالى (١) .

ويلحظ اقتران نعوت الرسول OuП مع الفاصلة الملائمة لها في قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[البقرة: ١٢٩] ، فنتج تلاؤم كبير بين النعوت (الرسول ، التالي، المُزكّي ، المُعَلِّم) والفاصلة القرآنية (العزيز الحكيم) ، إذ لم يكن التلازم بينهما إلا لسرّ من أسرار الإعجاز القرآني ، وأثر من آثار اقتران الفاصلة مع تلك النعوت .

فالدعاء الإبراهيمي في الآية السابقة التُمِس فيه أن يمنّ الله تعالى برسول ، له جملة من الوظائف والمنافع التي يحققها لأمته ، ومن تلك المهام أو الوظائف الرسالية التي سينهض بأعبائها كاملة من دون تردد هي تلاوة آيات الكتاب عليهم والقيام برفع مستواهم الثقافي عن طريق تعليمهم وتزكية نفوسهم ، أي غرس الاستعداد لحمل الشريعة في نفوس طاهرة ، وذلك كلّه يحتاج في تفعيله على أرض الواقع لمقتدر عزيز وحكيم ، عارف ما يصلحهم وما هم بحاجة إليه ، وهذا ما نجده في الفاصلة (العزيز الحكيم) التي وفّرت تلك المعالم كلّها (٢) .

(١) ينظر : إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين درويش: ١٠ /٥٠٦ ــ ٥١٣.
(٢) ينظر :البرهان في علوم القرآن : ١١/ ٨٨ .

المبحث الثاني :
الأداء التصويري في بعض نعوت الرسولOuP

إنّ المحاسن اللفظية والمعنوية في البلاغة القرآنية بما اشتملت عليه من حسن توظيف للصور التشبيهيّة ، والاستعاريّة ، وحسن استعمال الإيجاز وما شابه ذلك من الفنون الأدبية والتعبيرية ، ذلك كلّه يُعدّ وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم .

ومع أنّ غاية القرآن لم تكن المنازلة الأدبية أو البلاغية إلا أنّ فرسان الأدب والبلاغة تضاءلوا أمام أسلوب القرآن وأدائه التصويري الذي سيطر على نفوس العرب الذين بلغوا القمّة في اللغة والبلاغة وعلى وشعورهم .

ومن ثمّ يمكن لنا أن نقف في هذا المبحث عند الأداء التصويري لبعض نعوت الرسولOuP، وبيان القيم البلاغية التي اشتملت عليها من تشبيه واستعارة وكناية وما شابه ذلك من الفنون التصويرية الأخرى .

التشبيه :

لقد بُهر أهل البيان بتشبيهات القرآن الكريم ،وأقرّوا أنّ تشبيهاته هي أجمل التشبيهات(١) ، وتكمن جمالية التشبيه في قدرته على تقريب المتباعدين فتصبح بينهما ملاءمة وتناسب (٢) ، أي أنّ هناك تفاعلا بين المشبّه والمشبّه به يكشف عن صورة مؤثرة في ذهن المتلقيّ .

ويمكن لنا أن نلحظ ذلك في الصورة الفنية التي برزّها التشبيه في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴾ [المزمل: ١٥]، إذ نقف حيارى أمام دقّة الربط بين صورتين :

الأولى مستوحاة من التاريخ ، والثانية مازالت قائمة في زمن الخطاب القرآني لأولئك القوم ، ذلك الربط الموحي بحال القوم السابقين مع نبيهم وما حلّ بهم ،وكلّ

(١) ينظر :التمهيد في علوم القرآن : محمد هادي معرفة :٥/٥٨٠ .

(٢) ينظر :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني : ١/٢٩٢ .

ذلك صوّره تشبيه النعت الدال على الرسولﷺ في إرساله إلى أهل مكة ــ الذين ملأ قلوبهم العناد والتكبّر عن عبادة الله تعالى فأعرضوا عن التصديق ــ بإرسال النبيّ موسى(ﷺ) إلى فرعون زعيم المتكبّرين في زمانه المدّعي الربوبيّة[١] فنلمح من التشبيه في هذا المقام قوّة المبالغة ، وضخامة المواجهة ،إذ كما تحمّل موسى(ﷺ) العبء العبادي الخطير في مواجهة فرعون ، كذلك تتسم وظيفة إرسال الرسولﷺ بخطورة الموقف في مواجهة قريش ،وكان للأداة (الكاف) الأثر الواضح في قيامها بالربط بين الطرفين(المشبه والمشبه به)وتقريب العلاقة بينهما[٢].

ونستشف من هذا التشبيه تهديدا لأولئك المتكبّرين من قريش ، ففصّل لهم ما سيحلّ بهم ،وعرض عليهم عاقبة عنادهم وتكذيبهم ، وأبرز خيبة أملهم في أن يحققوا ما كانوا يصبون إليه ، يبدو ذلك في توظيف الصورة التشبيهية للرمز (فرعون) فقد كان لاختياره أثر كبير في انعقاد تلك الصورة ؛ لتكرير ذكره في أكثر من موضع في القرآن الكريم موضحا تكبّره وطغيانه [٣] ، ومن ثمّ فهو يرمز لحالة التكبّر التي رسخت في أذهانهم ،ودعتهم إلى الإعراض عن الحق والتعالي على الرسالة [٤].

إنّ هناك بعدا دلاليا آخر تمخّض عن هذا التشبيه ،إذ أشار إلى إثبات سنّة إلهيّة لابدّ من أن تتحقّق ، وهي لكلّ ظالم نهاية محتومة محكومة بالفشل كنهاية فرعون ،ولكلّ مهتدٍ نصر كنصر موسى (ﷺ)[٥].

ولمّا كان المقام الذي بلغه الرسول ﷺ مقام الداعي إلى الله تعالى لزم إرشاده إنارة العقول لإزالة مواضع الزلل والشبهاتَ بعدما طبَّقت الأرضَ ظلماتُ الشّرك ، كما ينير السراج المادي بنوره الأبصار[٦] .

ومن ثمّ نستطيع أن ندرك ما أضفاه التشبيه البليغ من قوّة في المبالغة عند تشبيه

---

(١) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٣٥٧/٨ .
(٢) ينظر :الإسلام والأدب ، د. محمود البستاني : ١٥٥ .
(٣) ذكر لفظ (فرعون) سبعا وستين مرة في القرآن الكريم .
(٤) ينظر : التحرير والتنوير: ٢٧٣/٢٩ .
(٥) ينظر : المصدر السابق .
(٦) ينظر : نظم الدرر :٦ /١١٥ ــ ١١٧، وأحكام القرآن ،الجصاص : ٤٧٣/٣ .

الرسول **OιΠ** بالسراج المنير في قوله تعالى :﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦] ، فكأنّ الطرفين اتّحدا في الصفات جميعها ، وصارا شيئاً واحداً ، بعدما أزيحت الحواجز بينهما ، فلم يعد هناك فاصل يفصل بين ذينك الطرفين ، إذ إنّ انعقاد الصورة التشبيهية بحذف أداة التشبيه فيه ملمح التوكيد على زيادة وقعه في النفس حتى كأنّ المشبه عين المشبه به [١] ، ولاسيّما إذا عرفنا أنّ التشبيه البليغ هو ما اقتصر فيه على ذكر الطرفين ــ المشبه والمشبه به ــ وحُذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه[٢] .

وتتصاعد دلالة تشبيه الرسول**OιΠ** بـ(السراج المنير) ؛ لتوحي بأنّ الذين اهتدوا به والذين آمنوا يخرجون به من ظلمة الكفر[٣] إلى نور الإيمان .

ويُجلّي هذا الرمز التشبيهي تناسقاً بيانيّاً في الكلم القرآني من خلال الجمع بين (السراج والمنير) التي فيها دلالة تعكسُ لنا مقاماً من مقامات الرسول**OιΠ** لكونه بمثابة الشمس والقمر للمخلوقات[٤] ، فالسراج يشتمل على النور والحرارة ، والشمسُ تشتمل عليهما ؛ لذا إنّ الشمس سراج[٥] ، والرسول**OιΠ** سراجٌ ، ممّا يجعلنا نقفُ أمام عجيب التشبيه الذي يضمّ بين جوانحه تناسباً بين منظومة الكون ومنظومة الإنسان من خلال اختيار هذا النعت ((فكما أنّ منظومة الكون الماديّ لها سراج هي الشمس تعطيها الضوء والحرارة فكذلك المنظومة الإنسانيّة لها سراجٌ أيضاً))[٦] .

---

(١) ينظر : مختصر المعاني ، التفتازاني : ٢٠١ ، وجواهر البلاغة ، الهاشمي : ٢٧٩ــ ٢٨٠ .
(٢) ينظر : البيان في ضوء أساليب القرآن ، د.عبد الفتاح لاشين :٣٧ ــ ٣٨ .
(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٤ /٣٨٩ .
(٤) ينظر : التناسق البياني لكلمات القرآن ، عبد الدائم الكحيل : ٣٦٨ .
(٥) ينظر : الحقّ المبين في معرفة المعصومين **OβΠ** ، علي الكوراني : ٣١ .
(٦) المصدر السابق : ٣١ .

الاستعارة :

نستطيع أن نتأمل الصورة الفنية التي ظهرت من دلالة النعت (الواضع) للرسولOuP المأخوذ من الفعل (يضع) في قوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، فقد ساعدت الاستعارة التمثيلية في الكشف عن سماحة تعاليم الشريعة الإسلامية واعتدالها ، إذ بعث الله تعالى الرسول OuP رحمة للعالمين ، ومن آثار تلك الرحمة رفع التكاليف الشديدة التي كانت في شريعة اليهود[١]،((وذلك أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضا،وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب،حرمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم)) [٢].

فالإصر في معناه اللغوي يدل على الثقل والحبس والعهد[٣] ، والأغلال جمع غلّ وهو القيد الذي يوضع في العنق أو اليد[٤] ، فكون الرسول OuP واضع الإصر الإصر والأغلال ((كناية عن تسهيل التكليف وتحميل العبء الخفيف)) [٥] ، يدل على ذلك قول الرسولOuP : ((بعثت بالحنيفية السمحة)) [٦] .

ولمّا كان الإصر دالا على الضيق والحبس ؛ بسبب ثقل التكاليف والعهود التي تأصر صاحبها عن الحركة فتثقله ،إلى جانب الأغلال التي تزيد في حبسه ضيقا وتثاقلا، فقد شُبّهت حالة تخفيف التكاليف الشاقة والمرهقة عن بني إسرائيل بحال من كان محمّلا بالأثقال ، ومقيّدا بالأغلال فأزيلت عنه تلك القيود .

---

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم : ٣/ ٢٧٩.

(٢) مجمع البيان : ٤/ ٣٧٤ .

(٣) ينظر : العين (أصر) :١٤٧/٧ ، والصحاح (وصر) ٨٤٥/٢ .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ،ابن سيده(غل) : ٣٧٠/٥ .

(٥) حقائق التأويل :٢٠٤ .

(٦) مسند أحمد بن حنبل : ٥/ ٢٦٦ ،والمعجم الكبير، الطبراني : ١٧٠/٨ ، ومجمع الزوائد :٢٦٠/٢ ، و ٣٠٢/٤ ، و٣٧٩/٥ ،والجامع الصغير ،السيوطي :٤٨٦/١

فتولّد لنا من مجموع تلك الصور استعارة تمثيلية صورت واقع اليهود ومعاناتهم الكبيرة في تأدية عبادات حرفت أصولها تصويرا دقيقا يحمل تفاصيل متعددة أوجزتها تلك الاستعارة بما اشتملت عليه من خصائص ،فالاستعارة التمثيلية تطلق على ((اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه)) [١]،أي أنّ انتزاع الشبه فيها من متعدد[٢]، وفي ذلك دلالة على أن الدين الإسلامي يرفض القيود والتشدد غير المشروع ،ويفتح باب الحرية واسعا أمام الإنسان ليحلق في فضاء الفكر والحقيقة بعدما رفع الرسولOuP تلك الأثقال والموانع المعيقة .

وقد هيّأت الاستعارة في النعت (المبشّر) للرسول OuP بناءً فنّيا يشتمل على تفصيل لمشهد التهكّم الذي أثارته الاستعارة العنادية في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[آل عمران: ٢١] ، فالاستعارة العنادية هي ما يمتنع اجتماع طرفيها ،أي أنّ بينهما تعاندا[٣]، ويبدو أنّ هذا التعاند قد ألمع إلى دلالة التهكم التي تبرز من استعمال (التبشير) مع (العذاب الأليم)، إذ نزل التناقض في طرفي الاستعارة منزلة التناسب[٤] ؛ لإظهار شدّة الموقف التحذيري ، فكأنّما أدخل الفعل (أنذرهم) في جنس الفعل (بشّرهم) ممّا أدّى إلى خلق مشهد مليء بالتهكم والاستهزاء [٥] ، فمن البداهة أن ينال العذاب تلك الفئة التي اتصفت بتكذيبها آيات الله ، وقتلها الأنبياء والمصلحين ، وقد وجه الكلام لتلك الفئة الضالة من اليهود في زمن الرسولOuP ، ولم يكن هناك قتل للأنبياء في عصره ، إذ في حقيقة الأمر أنّ أسلافهم هم الذين قاموا بهذا الفعل ، فنلمح في هذا التعبير القرآني

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني :٢٨٤، و فنون بلاغية ، أحمد مطلوب ١٤٣.
(٢) ينظر:معترك الأقران :٢٨٣ ، وأنوار الربيع في أنواع البديع ،المدني : ٢٥١/١ .
(٣) ينظر : فنون التصوير البياني ، : د.توفيق أبو الفيل :٢١٣ ــ ٢١٤، وعلوم البلاغة ، المراغي:٢٧٦
(٤) ينظر :الإيضاح في علوم البلاغة :٢٧٢/١ ، وفنون التصوير البياني :٢١٣ ــ ٢١٤ .
(٥) ينظر :دروس في البلاغة (شرح مختصر المعاني للتفتازاني)، الشيخ محمدي الباميانى : ٤/ ١٩٢ .

إشارة إلى أنّ رضاهم بفعل أسلافهم ، والاقتداء بهم ، جعلهم شركاء معهم ، فشملوا بذلك التهديد المؤكّد بلفظة (بغير حق) في الآية السابقة ؛ للدلالة على أنّ قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق (١).

ونلمح الأداء التصويري الذي تحقق بانتخاب النص القرآني استعارة (الصدع) في قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الحجر: ٩٤]، وجعله نعتا للرسولﷺ ، فاشتركت تلك الاستعارة مع قوة اللفظ في التعبير عن الأثر الرسالي الشديد الذي أحدثته وظيفة التبليغ في المجتمع المكي، فقد ((أحيل ما أمر به مادة يشق به ويصدع دلالة على القوة والنفاذ))(٢)، فالصدع اسم لشق الجسم الصلب كالزجاج والحائط ، فيجعله أجزاء ينفصل كل واحد منها عن الآخر بحيث يفقد كينونته(٣)،واستطاع النص القرآني أن يوظّف إحداث أثر الصدع في الزجاج وعدم التئامه مرة أخرى في ما يلائم مهمّة التبليغ وإظهاره وإحداث أثره في المقابل ، وشق صفوف المناوئين .

وقد رسمت الاستعارة صورة فنيّة اتّضح من خلالها شدة المواجهة مع أولئك المنكرين من كفار مكة الذين استقبلوا الرسولﷺبالاستهزاء والأذى والتكذيب(٤)، فقد بلغ من مكرهم واستهزائهم أن عمدوا بما اسطاعوا من همّة للتثقيف مخالفةً للرسولﷺ في الأماكن التي يحتشد فيها الناس عادة ، من ذلك ما فعله الوليد بن المغيرة ، ومن ساير فكرته، بإخبار الناس في موسم الحج : إنّ محمدا ﷺ ساحر يفرق بين الاثنين(٥) .

وعلى الرغم من صعوبة الموقف نجد أنّ استعارة الصدع لإعلان التبليغ أظهرت الجزم والقطع بإظهار ذلك الأمر(٦) ، وأفاضت بتسلية الرسولﷺواطمئنانه، وقد

---

(١) ينظر : أحكام القرآن : الجصّاص :٩/٢ ، و تفسير السمعاني : ٣٠٥/١ ، ومجمع البيان : ٢/ ٢٦٣ .
(٢) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ٨٤ .
(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (صدع) :٤٢٥/١ .
(٤) ينظر : الدر المنثور : ٩٩/٥ ..
(٥) ينظر :تفسير مقاتل : ٢١١/٢ .
(٦) ينظر :الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، الجرجاني : ١٧٥ ، وعلوم البلاغة :٢٧٠ .

بيّن التعبير القرآني ذلك بوصف أعداء الرسالة بـــ(المستهزئين) في الآية التي تليهـــا من قوله تعالى :﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[الحجر: ٩٥] ، وفي ذلك إيماء إلـــى أنّ الله تعالى قد كفاه استهزاءهم مما يشير إلـــى كفايتـــه مـــا هـــو أشـــدّ أذىً مـــن الاستهزاء(١) .

ونجري مع الاستعارة في النعت (المتواضع) للرسولOuP في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] ، فقـــد ســـاعدت الاستعارة باستعمالها الفعل (اخفض) على تشكيل لوحة فنية رائعة ، نكـــاد نبصـــر عناصرها ، ونحس بحركتها ، فتشير إلى استمرارية حركة الصورة الخلقية وقدرتها على بث العطف والحنان في نفوس البشرية عموما وفي نفوس المؤمنين خاصة ، ((وقد أمره الله سبحانه برعاية الكرامات الإنسانية والأخلاق الحسنة))(٢) .

لقد تحلّى الرسول OuP بخلق رفيع،تلمّست الآية السابقة مظهرا من مظـــاهره، فأبرزته في صورة الطائر وهو يحنو على صغاره تحننا ورأفة ورحمـــة بكـــل مـــا تحمل تلك الصورة من دقائق العطف والرقّة ، إذ كما يضم الطائر أفراخه إلى نفسه ويبسط جناحيه ثم يخفضهما في موقف مليء بالرقة والعطف على صغار ليس لهـــم القدرة الكافية لتحصيل معاشهم ، وتدبير أمرهم، وهم في حالة من الضعف الـــذي لا يوصف ،كذلك تواضع الرسولOuP مع الذين اتبعوه من المؤمنين فهم بحاجة إلـــى لينه ورفقه بهم .

ونلحظ عدول النص القرآني عن التعبير المباشر،إذ كان من الممكن أن يطالـــب الرسولOuP أن يتواضع للمؤمنين ، ويرحمهم ،لكنّه عدل إلى التعبير غير المباشر.

ومن ثمّ فقد أوحى باستعارة تبعية ينبغي أن يكون اللفظ المستعار فيهـــا فعـــلا أو اسما مشتقا(٣) ، واستعمل فيها الفعل (اخفض) مع (جناحك) ، وهو تعبير يشير إلى ما كانت العرب تستعمله في الوقار والتسامح ، إذ ((العرب تقول : فـــلان خـــافض

(١) ينظر :التحرير والتنوير : ٨٩/١٤ .
(٢) الميزان : ١٦١/٤ .
(٣) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة:٢٧٩/١ ،وعلوم البلاغة: ٧٤ ، و فنون التصوير البياني : ٢٣٨ .

الجناح ، إذا كان وقورا حليما)) (١) وتخصيص خفض الجناح بالمؤمنين ، يشير إلى استحقاق ثابت للمؤمنين ، ويوحي بسمة الخلق الكريم الذي ينبذ التعالي ، ويحقق ذلك خفض الطائر جناحيه عندما يكف عن الطيران فيكون إثباتا قاطعا لصورة الرفق(٢).

وتكررت استعارة خفض الجناح الدالة على النعت (المتواضع) للرسولOuP في قوله تعالى : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الحجر: ٨٨] ، فلم يكن المراد بالنهي(لا تمدّنّ عينيك) عدم إطالة النظر إلى ما بحوزة الآخرين من متاع الحياة الدنيا،إنّما أريد به النهي عن أصل النظر إلى ذلك الزخرف ، لا عن إطالته وإدامته ، وهذا ما يلائم مقام الرسولOuP(٣) .

أمّا النهي الآخر(لا تحزن عليهم) فهو توجيه بضرورة الانصراف عمن عميت بصيرته عن رؤية الحقيقة ، وفي هذا السياق نلحظ ما يقوم به الأداء التصويري من رسم صورة فنية تعكس لنا مقام العناية بالمؤمنين والاشتغال بهم ومداراتهم ولاسيّما إذا عرفنا أنّ الآية نزلت في مكة(٤)،حيث بدايات الدعوة الإسلامية والمصاعب التي كانت تواجه المنتمين إلى هذا الدين على الرغم من الأشواك التي تملأ طريقهم ، فناسبت استعارة صورة الطائر وحنانه على أفراخه حال الرسولOuP،وتعامله مع المؤمنين ،من خلال ضمهم إليه بكل ما يحمل من رحمة .

وقد أطلق السيد الطباطبائي على الأداء التصويري السابق الاستعارة بالكناية(٥) ، ولعلّ السبب في ذلك اختلاف النظرة إلى الألفاظ في اللغة ، فالسيد الطباطبائي ناظر إلى ما تؤدّيه هذه الألفاظ من وظيفة ، أي ما تحدثه من أثر في الواقع ،لا إلى دلالتها

---

(١) مجمع البيان : ١٢٨/٦ .
(٢) ينظر :التحرير والتنوير : ٨٩/١٤ .
(٣) ينظر :الميزان :١٩٣/١٢ .
(٤) ينظر :أسباب النزول : ١٢ .
(٥) ينظر:الميزان :٣٢٩/١٥، والبحث البلاغي في تفسير الميزان، د.حيدر هادي أحمد:١٢٣ .

على نفسها من حيث هي ألفاظ (١)، وهذه النظرة تدعو إلى تقييد كثير من المجازات اللغوية .

وتدعو الاستعارة التمثيلية في النعت (القريب) للرسولOuP إلى إبراز مقام من مقاماته الجليلة ،وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٨-٩] ، فالتعبير القرآني يذكر منزلا من المنازل التي وصل إليها الرسولOuP ليلة الإسراء والمعراج، إذ نال شرف القرب ، فالدنو هو القرب ، والتدلي هو الاقتراب (٢)، أي إنّه تأكيد للجملة التي سبقته ، ويدل على التعلق وفي حقيقته تعبير عن شدة القرب فقد بلغ ما لم يبلغه أحد قبله.

وبرّزت الاستعارة صورة القرب ، الذي عبّرت عنه بـ (قاب قوسين) ،فقد قال ابن الأثير(٦٠٦هـ) :((ألقاب ، والقيب ، بمعنى القدر))(٣)،أو بمعنى القيد ، وقيل هو مابين المقبض والسية (٤)،إذ ((سِيةُ القَوْسِ ما عُطِفَ من طَرَفَيْها)) (٥) .

والقوس معروفة وهي آلة الرمي(٦)، وكل قوس له قابان(٧)، والمعنى : فكان البعد قدر قوسين أو أقرب من ذلك (٨) ، فألمعت الاستعارة هنا إلى ((المرتبة التي لم لم يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب، وهي المرتبة التي تركه جبرئيل الأمين مع علو منزلته في هذا (الدنو) لوحده ولم يستطع مرافقته)) (٩) ، مما يدفعنا أن نقف مبهورين أمام الأداء التصويري الذي صوّر المعقول بالمحسوس ، فقد قرّب الله

---

(١) ينظر :الميزان:١٠/١.
(٢) ينظر مفردات ألفاظ القرآن (قرب) : ١٧١ .
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر :١١٨/٤.
(٤) ينظر :معجم مقاييس اللغة (قاب) :٤٦/٥ ، وتفسير ابن فارس ، د.هادي حسن حمودي (سورة فاطر) ،مجلة تراثنا :٢٠ .
(٥) لسان العرب (سيا) :٤١٧/١٤ .
(٦) ينظر :تاج العروس(قوس) :٤٣٠/٨ .
(٧) ينظر : معجم مقاييس اللغة (قاب) :٤٦/٥ .
(٨) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ٧٥/٤ .
(٩) مناظرات في العقائد والأحكام ، الشيخ عبد الله الحسن :٧٩/١ .

تعالى رسوله إليه بعدما قطع أشواطا طويلة في طريق الطاعة حتى بلغ التقدير الإلهي وحقق الفوز بقربه (١).

ويتجلّى الأداء التصويري في الانزياح الذي حققته استعارة النعت (لسان صدق) للرسولOuP في قوله تعالى:﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤] ، فقد وظّف التعبير في الآية السابقة استعارة اللسان وقيّده بالصدق للإشارة إلى نعمة بعث الرسولOgP (٢) في معرض الدعاء المستمر والمتواصل مع الآية التي سبقتها،وهي قوله تعالى :﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٣] ،والآية التي تلتها،وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الشعراء: ٨٥ - ٨٦] ، وقد ذكر في بيان دعاء إبراهيم (g) ربّه تعالى أقوال متعددة :

منها إنّ إبراهيم (g) دعا ربّه تعالى أن يجعل له ذكرا جميلا مستمرا ، وثناء حسنا ، وأن يكون مقبولا في الأمم التي تأتي بعده ، فلا ينقطع له ذكر أبدا إلى يوم القيامة(٣).

ومنها إنّه لم يكن مراد إبراهيم(g) من قوله (لسان صدق) حسن الثناء والذكر الجميل فحسب ، إنّما أراد بـ (لسان صدق) بقاء الدعوة الإلهية الحقّة(٤) بكل ما تحمل من تعاليم تحيي الإنسانية وتبث الروح المعنوية في هذه النفس التي كلما أريد لها أن تفك قيودها التي تربطها بعالم المادة أفلتت ورجعت مسرعة إلى هوى الدنيا ومادياتها.

ولاشك في أنّ شخصية عقائدية تدعو إلى التوحيد مثل شخصية إبراهيم الخليل (g) ، لا يمكن أن يُتصوّر له في حال من الأحوال أنّه يبحث عن الدنيا ووجاهتها ،

---

(١) ينظر :الفجر الصادق ، جميل صدقي الزهاوي : ٣٣ .

(٢) ينظر :الجامع لأحكام القرآن :٥٨/٩ .

(٣) ينظر : جامع البيان : ١٦/ ١١٧ ، و ١٠٦/١٩ ،١٠٧ ، ومعاني القرآن ، النحاس :٨٨/٥ ، وأحكام القرآن ، الجصّاص : ٣/ ٤٥٠ ، ومجمع البيان:٣٣٧/٧ .

(٤) ينظر :الميزان : ٣٤٥/١ .

فما قيمة المادة أمام عالم الروح المليء بأنوار الذكر الإلهي والطمأنينة التي لا يقدر أن يتلمس معالمها الماديون الذين لا يعرفون عن الحياة إلا الدنيا فتنحصر الآمال فيها وتتقيد المطالب بنيلها ، فنفس إبراهيم (γ) ذابت في عشق الله تعالى ، حتى أصبح لا يرى إلا عجائب قدرة الله ، وتجلّيه في كل ما لاح له ، فأراد بدعائه بقاء اللسان الصادق بعده الذي يُبقي جذوة هذه الدعوة الحقّة ،فاستجاب له ربّه سبحانه أن بعث لسان الصدق وهو الرسولOıΠ،إذ كان يقول:((أنا دعوة أبي إبراهيم)) (١).

ومن ثمّ ندرك ما لوّحت به استعارة اسم الآلة (اللسان) للدلالة على ديمومة الذكر الجميل الذي فيه إيماءة إلى تحقيقه ببعثة الرسول OıΠ في الآخرين (٢) ،فقد عدل عن التعبير المباشر في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم(γ):﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩] ، إلى التعبير المجازي غير المباشر في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم(γ):﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[الشعراء: ٨٤] ، فيراد باللسان الداعي وهو الرسولOıΠ كما في قوله تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[الأحزاب:٤٦] ،إذ أطلق الجزء وأراد به الكل؛لأنّ الدعوة تتحقق باللسان(٣)، كما عكست الاستعارة في هذا المقام سمات وخلق الصالحين وحبّهم العميق في استمرارية الدعوة إلى الخالق عزّ وجلّ .

لقد ظلّ الحرص على هداية البشر هدفا ساميا عند من حمل الدين رسالة إنسانية، وشعلة مضيئة تطرد دياجير الجهالة والبغي والاعتداء ،وتشيع مكانها الحب والأمل والصفاء، وهذا هو أحد أسباب توجع الرسولOıΠ التي بثّها الأداء التصويري من استعارة النعت (الباخع) للرسول OıΠ في قوله تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ

(١) مسند الشاميين، الطبراني : ٢/ ٣٤١ ، والمستدرك ، الحاكم النيسابوري : ٤١٨/٢ ، وتخريج الأحاديث والآثار ، الزيلعي :٨١/١ ، والجامع الصغير :٤١٤/١ ،وبحار الأنوار ٢٠٠/٢٥ .

(٢) ينظر :روح المعاني : ١٩ /٩٨ ، و التشبيه والاستعارة (منظور مستأنف) ، د. يوسف أبو العدوس : ١٤٢.

(٣) ينظر :روح المعاني : ٩٩/١٩ .

ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[الشعراء:٣] ،فقد أشارت الاستعارة التمثيلية في النعت السابق إلى الخُلُق الذي كان يتّسم به الرسولﷺ ،وأبرزت حرصه الشديد على هداية قومه باستعمال التصوير الملائم لما هو عليه ، ونستشف ذلك عندما نعرف إشعاعات تلك الاستعارة ، إذ اقتضت فنية التعبير أن تُشبّه لنا صورة معاناة الرسول ﷺ ، والألم الذي يعتصره بصورة أخرى وهي صورة من يحمل همّا كبيرا وحزنا شديدا لفراق أهله وأعزّته [١] ، فتضافر حذف الصورة الأولى (المشبه) وإبقاء الصورة الثانية (المشبه به) في بيان حقيقة تحرّق قلب الرسولﷺ ، ومودته وما عليه من خلق[٢].

لقد ورد النعت (باخع) في سياق مسبوق بـ (لعلّ) الدالة على الشفقة [٣] التي امتزجت بفنية التعبير الاستعارية الواردة في الآيتين السابقتين فأبرزت دلالات متعددة ، منها الآتي:

أولا: تسلية الرسول ﷺ ، وتخفيف الألم عنه [٤] ، إذ المسؤولية التي تقع عليه هي الإنذار ، وأما التغيير فتقع مسؤوليته عليهم ،لا عليه [٥] .

ثانيا: إبراز ما ينبغي أن يتحلى به القادة الرساليون من سمات القيادة كالحرص والشفقة على الآخرين [٦] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٤٧٢/٢ ، والتحرير والتنوير : ١٥/ ٢٥٤ــ٢٥٥ .
(٢) ينظر : تفسير القرآن الكريم ، مصطفى الخميني : ٤/ ٢٩١ .
(٣) ينظر : معاني النحو : ٢٧٨/١ .
(٤) ينظر : الميزان : ٣٥٥/٥ .
(٥) ينظر : علوم القرآن : ٥٩ .
(٦) ينظر : الأمثل : ١٩٩/٩ .

ثالثا: الإشارة إلى الحرية التي أشاعتها القوانين الربانيّة في اعتناق الدين السماوي ، فلم يكن هناك إكراه لقومه على الإيمان ،لكنّه الحب والحرص على أن يسلكوا جادة الصواب [١] .

ويمكن لنا أن نأخذ ملمحا آخر من ملامح الصور الفنية التي تجلى فيها خلق الرسولOuP ،فنقف عند النعت (العفوّ) الدال على التيسير[٢] ،فقد ورد عنوانا لجوامع النعوت الكريمة في لوحة دالة على التسامح والمداراة واللين ، وذلك في قوله تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

والأخذ في اللغة يعني تناول الشيء[٣] ،ويستعمل للدلالة على القهر والغلبة [٤].

أمّا العفو فيدل على الصفح عن المذنب قال المناوي(١٠٣١هـ): ((العفو: القصد لتناول الشّيء و التّجاوز عن الذّنب)) [٥] ، وقال الكفويّ (١٠٩٤هـ) : ((العفو: كفّ الضّرر مع القدرة عليه، و كلّ من استحقّ عقوبة فتركها فهذا التّرك عفو)) [٦] .

وقال أيضا: ((العفو عن الذّنب يصحّ رجوعه إلى ترك ما يستحقّه المذنب من العقوبة، و إلى محو الذّنب، و إلى الإعراض عن المؤاخذة كما يعرض المرء عمّا يسهل على النّفس بذله)) [٧] .

وعلى وفق ذلك يكون (أخذ العفو) في الآية السابقة تعبيرا مجازيا استعمل للدلالة على قبول الرسولOuP ورضاه من الناس باليسير ، وإزالة عوائق التكلف

---

(١) ينظر :موسوعة العقائد الإسلامية ، محمد الريشهري : ١٣٣/١ .
(٢) ينظر :الوجوه والنظائر : ٤٠ .
(٣) ينظر :العين (أخذ) :٢٩٨/٤ ، والمحكم والمحيط الأعظم (خذأ) : ٢٣٢/٥ .
(٤) ينظر :تاج العروس (أخذ) : ٣٦٣/٩ .
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف : ٢٤٣.
(٦) الكليات : ٥٣ ، وينظر: ٥٩٨ .
(٧) المصدر السابق: ٦٣٢ .

والجهد ؛ ليعشقوا هذا الدين ، ولا ينفروا منه [١] ، وإنّ العفو دال على ما سهل من أخلاق الناس وأعمالهم [٢].

ويتضح لنا أنّ عبارة (خذ العفو) هو استعمال مجازي((استعير للتلبس بالوصف والفعل من بين أفعال لو شاء لتلبس بها)) [٣] ، فالآية ((جامعة لمكارم الأخلاق ؛ لأنّ في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين ، وفي الأمر بالمعروف كف الأذى وغض البصر وما شاكلهما من المحرمات ، وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة)) [٤] .

ومن ثمّ نلحظ ما كشفت عنه الاستعارة هنا من خُلُق ، تلبّس به الرسولOuП، فلم يكن متكلفا لذلك التسامح والتساهل ، بل كان ملكة لديه ،يفيض بخلقه على الآخرين ، ولم يكن أمر المداراة يسيرا ، يتقبله كل أحد ،إلا أنها الشخصية الرسالية التي استطاعت أن تجعل من الصعب سهلا ومن الوحشي طيّعا، وناسبت الاستعارة هذا الأمر المستصعب ، فقد ((شبه العفو بالوحشي الشارد ، لتعسر الاتصاف به ، ثم استعمل الأخذ فيها استعارة تخيلية وترشيحاً لها والمراد منه أعم من الصفح ، فإنهما كالفقراء والمساكين إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا))[٥] .

إنّ تحول الكلام من التعبير المباشر إلى التعبير المجازي يؤدي إلى بروز معالم الجمال فيه ، ويمنحه القدرة على جذب النفوس والتفاعل مع الإمكانيات التي يوفرها مستوى التعبير الاستثنائي ، ويتضح ذلك في إبداع النص القرآني في النعت (العروة الوثقى) للرسول OuП في قوله تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٦] ، فقد استعيرت صورة التمسك بالعروة الوثقى لتبيّن

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٤٧/٩ .
(٢) ينظر :الدر المنثور :١٥٣/٣ ، و إرشاد العقل السليم : ٣٠٨/٣ ، و فتح القدير :٢٧٩/٢ ، ٢٨١، و روح المعاني : ٩/ ١٤٦ .
(٣) التحرير والتنوير : ٢٢٦/٩ .
(٤) الإتقان في علوم القرآن :١٤٧/٢ .
(٥) بيان السعادة في مقامات العبادة ، سلطان محمد الجنابذي : ٢٢٤/٢.

حقيقة الاطمئنان التي لا تتحقّق إلا بذلك الاستمساك ، والفعل (استمسك) يظهر شدة تشبث المؤمنين بمن ينجيهم[1] ،ولاشك في أنّ النجاة التي يستحيل أن يداخلها خلل هي التمسك بالرسولﷺ ،أي بما أمر به ووجّه إليه ، وتلك نتيجة واضحة لا لبس فيها للذين تحدوا مطالب النفس، وقهروا القوة الشهوية التي تحاول أن ترديهم صرعى بيد عالم المادة،وعرفوا أن سبيل النجاة منحصرة في إيمانهم بالله تعالى، وذلك لا يتحقق إلا بطاعة الرسول ﷺ والأخذ بتعاليمه .

وهناك صورة أخرى عكستها الاستعارة في النعت (المُصلَّى عليه) للرسول ﷺ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، فإنّ من شأن المصلّي أن ينعطف في أجزاء الصلاة حيث الانحناءة في الركوع والهوي إلى الأرض في السجود ، وتلك صورة لاءمت في استعارتها العطف والحنو والرحمة على الرسولﷺ ، وجمعت تلك الصورة الاستعارية حبّ الإله لرسوله الكريم مع حالة الخشوع والتضرع والتوسل إلى الباري عز وجل برفع درجة الرسول ﷺ .

ومن ثَمّ نلحظ انتخاب الصورة بدقة فائقة ،فالصلاة تشتمل على أمور ظاهرية (أفعال الصلاة) ، وتشتمل في المقام نفسه على أمور باطنية تعد جوهر الصلاة وأسرارها المكنونة التي تملأ المصلي ثقة ورقة وتواصلا وخشوعا ،وتفتح له أبواب التخضّع والتذلّل بين يدي الخالق (سبحانه وتعالى) ، فامتزج ظاهرها مع باطنها في استعارة امتلأت بكل تلك المعاني ، لتشع بالرعاية الإلهية والتحنّن الربّاني ،مع حفظ مقامه بين الكائن الملائكي والمنتجبين من المؤمنين .

وفي النعت (مقيم الوجه) للرسولﷺ نلمس صورة فنية بيّنتها استعارة (إقامة الوجه) لحالة الإقبال على الشيء والاشتغال به من دون غيره[2] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ

(١) ينظر : المحرر الوجيز :٣٥٣/٤ ، والميزان : ٢/ ٣٤٤ــ ٣٤٥ .
(٢) ينظر :التحرير والتنوير : ٨٩/٢١ .

يَصَّدَّعُونَ ﴾[الروم: ٤٣] ، أي ((فقوّم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا ، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه ، فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه))[١] ، فتعكس الاستعارة التمثيلية هنا ما كان يتسم به الرسول OuP من إقبال نفسه التي عبّر عنها بالوجه لكون الوجه أهم أعضاء البدن[٢] ، وعدم تحوّلها عن الدين القيم ، أي المستقيم ، وثبات تلك الاستقامة المودية بصاحبها إلى الجنة [٣] .

الكناية :

تعدّ الكناية وسيلة من وسائل خلق الصور الفنية ذات القيمة الجمالية في التعبير ؛ لقدرتها على كسر طوق التعبير المباشر الظاهر وتوجهها إلى ذكر الرمز الخفي الذي يربط بين المعنى الظاهر والمعنى البعيد ، أي إنّ لها القابلية على تحريك الذهن وشحذ الفكر للتأمل أكثر في المعنى المثار في نفس المتلقي .

ومن ثَمَّ نمضي مع الأداء التصويري الذي كشف عنه استعمال التعبير القرآني الفنون البلاغية المصوِّرة بعض نعوت الرسولOuP في أبهى حلّة ، من ذلك استعمال فن الكناية في إبراز مقام طهارة الرسول OuP في قوله تعالى :﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤] ، فالنعت (المطهّر) مأخوذ من فعل الأمر (طَهِّر) الدال على الاستمرار والدوام في الثبات على سمة التطهير ، والأصل في الطهر:النقاء وزوال الدنس (٤) ، والتطهّر: يدل على التنزه عن الذم وكل قبيح،يقال: فلان طاهر الثّياب: إذا كان نزها

(١) الكشاف : ٢٢٢/٣ .
(٢) ينظر :الأمثل : ١٢/ ٥١٧ .
(٣) ينظر :التبيان في تفسير القرآن: ٢٥٨/٨ ، ومجمع البيان : ٥٨/٨، و في ظلال القران : ٥/ ٢٧٦ .
(٤) ينظر: لسان العرب (طهر) : ٢١١/٨ .

من مدانس الأخلاق (١) ، قال امرؤ القيس(٢):

ثيابُ بنـــي عـــوفٍ طهـــارى نقيـــةٌ وأوجُهُهُـــم عنـــد المشـــاهد غُـــرَّانُ

وفي الآية السابقة استعمل الثياب للكناية عن النفس (٣) للوصول إلـــى جـــوهر التطهير وحقيقته ، فوظّف صورة إحاطة الثياب بدن الإنسان ومجاورتها له واشـــتمالها عليه(٤) ، تلك الصورة المحسوسة لتشع بإيحائها الكنائي إلى تطهير الباطن برياضـــات عبادية متعددة ، إذ سبقه قوله تعالى :﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ ، وتكبير الربّ تعالى لايـــراد بـــه التكبير القولي وحسب ، بل هو التكبير الاعتقادي ، فلا يمكن أن يقـــرن الحـــق تعـــالى بغيره من الأشياء ؛لذا عندما سمع الإمام زين العابدينOγΠقول المؤذّن عندما كبّر ،ثم قال: الله أكبر من كل شيء ، فقال له OγΠ: الله أكبر من أن يوصف(٥) .

إنّ النعت (المطهِّر) ورد في سياق قرآني اشتمل على مضامين كثيرة تستند إلـــى معرفة أنّ الله تعالى أكبر من كل ما يقوم به العتاة المفسدون ، واعتقاد المرء بقدرة الله تعالى تنبع من المداومة والاستمرار في تطهير القلب الرسالي (٦) .

وقد عكست الكناية في قولـــه تعـــالى :﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤] ، إمكانيـــة الحركة والانتقال من الظاهر إلى الباطن ،أي إنّ فيها قدرة استثنائية على التحول مـــن الرمز الذي تستعمله إلى المقصد الذي تومئ إليه إيماء مـــن دون أن تصـــرّح بـــه ، فالتلويح بالمعنى المراد أكثر إثارة وأبلغ من التصريح (٧) .

ومن ثمّ فقد وسّعت الكناية فـــي هـــذا المقـــام مـــن دلالات النعـــت (المُطهِّـــر) للرسولOuΠ ، وحسّنتها ، وابتعدت بها عن مواضع اللبس الذي يقصر دلالته علـــى

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (طهر) : ٦٠٢ ، وبصائر ذوي التمييز : ٣/ ٥٣٠ .
(٢) ديوانه: ٨٣ .
(٣) ينظر:الكشاف : ٦٤٥/٤ .
(٤) ينظر:فنون التصوير البياني :١٧٨ .
(٥) ينظر:معاني الأخبار : الشيخ الصدوق :١١ ، وشرح أصول الكافي ، المازندراني:٢٣/٤.
(٦) ينظر:الكشاف : ٦٤٥/٤ .
(٧) ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة :٦٦،والبرهان في علوم القرآن:٣٠١/٢،والإتقان في علوم القرآن:١ /٢٨١.

تطهير الثياب الظاهرية (١) ، إذ تعددت الأقوال في المصداق الذي تنطبق عليه الكناية في الآية السابقة ،ومن تلك المصاديق انطباقها على الجسم (٢) أو الأخلاق (٣) أو القلب (٤) ، فخلقت تعبيرا فنيا متسعا بانفتاحه الدلالي ليشمل ((التنزه عن المنفر القولي والفعلي كالفحش والفظاظة والغلظة إلى غير ذلك)) (٥). وقد فرضت الصورة الصورة الكنائية ــ في هذا المقام ــ على المتأمّل التنبّه لما تكشفه تلك الصورة من خفاء يوحي بضرورة تطهير الباطن كي يلقي بظلال طهارته على الظاهر .

وننظر إلى عظيم الأمر العبادي الذي ألمح إليه الأداء التصويري في النعت (الساجد) للرسولOuP في قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٨] ،فقد ذكر المفسرون في لفظ السجود قولان هما:

الأول: كناية عن الصلاة (٦) .

والثاني: هو كناية عن التواضع (٧) .

وفي القولين السابقين كليهما نلحظ توجّه الكناية نحو عمق العبادة من جهة ، ونحو الدقة في انتقاء السجود دون غيره من أفعال الصلاة من جهة أخرى ، فالصلاة هي الباب الواسع الذي يفتح للقاء الله تعالى ، فيقصد من خلالها مناجاة ربّه سبحانه وتعالى والتقرب إليه ، وهي راحة للمؤمن ، فقد كان رسول الله OuP يقول حينما يحل وقتها: أرحنا يا بلال(٨) .

ومن ثمّ فقد شقّت الكناية طريقها إلى الأذهان ، فأشارت إلى القلب السالك إلى

---

(١) ينظر:ظاهرة اللبس في العربية : ٢٩٦ ــ ٢٩٧ .

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ١٤٤/٣ .

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٦٢/١٩ــ ٦٣ .

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٣١١/٢ ، والتبيان في تفسير القرآن : ١/ ٤٣٤ .

(٥) روح المعاني : ٢٩/ ١١٨ .

(٦) ينظر: معاني القرآن ، النحاس : ٤٧/٤ ، وزاد المسير : ٤/ ٤٢٣ ، وتفسيرالبحر المحيط :٥ / ٤٥٥،

وإرشاد العقل السليم : ٥ /٩٣ ، وأضواء البيان : ٢/ ٣٢١ .

(٧) ينظر: زاد المسير : ٤/ ٤٢٣ .

(٨) ينظر:روح المعاني : ٢٩/ ١١٨ .

الله تعالى في أكرم حال من أحوال الصلاة ، وتلك صورة ما أروعها من صورة أن يلجأ الفقير المحتاج إلى الغني الكريم صاحب الهبات والعطايا،وفي أيّ حال إنه حال الخشوع والتذلل عندما يمرّغ الإنسان وجهه وهو أكرم ما عنده بين يدي خالقه، مُظهِرا خضوعه المطلق في الحضرة الإلهية .

فكان العدول إلى استعمال التعبير المجازي عاملا تأكيديا دالا على هيبة العبادة وهيبة المعبود ؛ لذا انتقيت لفظة السجود بدل الصلاة بشكل مباشر ؛ لأنّ السجود يمثل حالة القرب ، إذ ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)) (١) ، فهو مظهر جلي من مظاهر الفناء والذل والافتقار لله تعالى (٢) ، وهو مظهر من مظاهر مظاهر العز والتكريم الإلهي لعبده المفتقر إليه ، فيحظى على ما به من شرف ، ويحصل على ما يذكر فيه من ذكر ودعاء ولاسيّما عند الشدائد (٣) ، فهو أكرم حالات الصلاة وأثمنها بنزول الرحمات والبركات (٤) .

وهكذا يتضح لنا إبداع الكناية في رسم معالم الخضوع بصورة واضحة لا لبس فيها فكأنّنا ننظر إلى الرسول ﷺ في تلك الهيأة منعطفا نحو السجود لتنعطف أذهاننا مع انعطافه ، وتنحني نفوسنا مع انحناءاته ، وتلك نعمة منّ بها الخالق عزّ وجلّ على رسوله وشع بها على عباده .

ثمّ إن الكناية هنا جاءت ردا قاصما ظهورَ أولئك المعاندين ، الذين كانوا يستهزؤون بما يدعو إليه الرسولﷺ ، وذلك الاستهزاء ناشئ من اعتقادهم الباطل الذي رسخ في قلوبهم ، وكان فعلهم صادرا من القلب إلى جانب صدوره من اللسان بقولهم ما ليس بحق بشأن الرسول ﷺ وما جاء به ؛ لذا جاء الأمر الإلهي بالتسبيح والسجود ، ونُعت الرسول ﷺ بهما فهو المسبّح والساجد اللّذان جُمع فيهما فعل القلب وفعل الجسد ، فكانا مقابلين لاستهزائهم ، وتأكيدا على تنزيه الله تعالى

(١) نظم الدرر :٤/ ٢٤٢ ، وأحكام القرآن ، ابن عربي :٣/ ١١٥ .
(٢) ينظر:روح المعاني : ١٤/ ٨٨ .
(٣) ينظر:نظم الدرر :٤/ ٢٤٠ .
(٤) ينظر:المحرر الوجيز : ٣/ ٣٧٦ .

والسجود له (١).

وقد ألمحت الكناية في النعت (هاجر الرجز) للرسول OuΠ في قوله تعالى :﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ [المدثر: ٥] ، إلى عنوان من عنوانات الخُلُق الذي اتسم به الرسولOuΠ ، فالهجر في اللغة : دال على المفارقة والقطيعة وتكون فيما بين البشر إمّا بالبدن أو اللّسان أو القلب (٢)، وقد كنّي به هنا عن عدم مقاربة المعاصي والابتعاد عن كل شائبة لتبقى النفس الرسالية قمة في صفائها ،أعجوبة في نقائها.

فدلّ الهَجْرُ على الهجر الباطني وأومأ إلى الحركة المستمرة التي لا تتوقف في داخل النفس الطاهرة التي تنبذ المساوئ كلّها وما جلبته يد الخرافة على المستوى الخلقي والعقائدي وزوايا الحياة الأخرى ، فَهَجَرَت الاضطراب والتزلزل وسكنت إلى الطمأنينة(٣) ، ومعلوم أنّ الرسول OuΠ كان قد نبذ الأباطيل كلّها ،وإنّ (هجر الرجز) مثّل صورة فنية أظهرت تأكيد الدوام والاستمرار في الابتعاد عن ألوان الانحراف كافة(٤) ، فالرجز فيه تراكم دلالي ، إذ يشمل كل ما يؤدي إلى الاضطراب بسبب المعاناة من ضعف أو عذاب أو أي ضيق وحبس للنفس(٥) .

ويوظّف التعبير القرآني استعمال الأداء الكنائي رمزاً دالاً على معانٍ أُخر تكون هي المقصد الحقيقي من وراء اللفظ الظاهر كما في النعت (منشرح الصدر) للرسولOuΠ في قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾ [الشرح: ١] ، فالشرح في اللغة يدل على الانفتاح والتوسّع (٦) ، وأمّا استعماله في الآية السابقة فيشع بملمح تصويري جمالي أفصح عنه الأداء الكنائي ، إذ ذكر الشرح ولا يراد به التوسّع فحسب وإنّما كان هناك ما يميز إسناد هذا النعت للرسولOuΠ ، فهو يشتمل على دلالة أوسع من دلالته اللغوية ، فانشراح الصدر كناية عن الزيادة في السعة ، وشرح

(١) ينظر:تفسير البحر المحيط : ٥/ ٤٥٥.
(٢) ينظر:لسان العرب (هجر) :٥/٢٥٠ ،والتوقيف على مهمات التعاريف :٢٤٢،والكليات :٩٦١ .
(٣) ينظر:الأمثل : ١٥٩/١٩ .
(٤) ينظر: الكشاف : ١٨١/٤ .
(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة (رجز) : ٤٨٩/٢ ، ولسان العرب (رجز) :٣٤٨/٤.
(٦) ينظر: لسان العرب (شرح) :٤٩٧/٢ .

الصدر يدل على ((بسطه بنور إلهي و سكينة من جهة اللّه و روح منه))(١)، وترتيب الآيات القرآنية: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشرح: ١ – ٣] ، بما تحمل من مضامين ، ثم تكرير التعليل بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ - ٦] ،ثم التفريع في الآيتين الأخيرتين من السورة ، يشهد بدلالة شرح صدر الرسولOuP على البسط والاتساع الشديد الذي يجعل الصدر الرسالي مستعدا لقبول الفيوضات الإلهية الكبرى (٢) .

مظاهر فنّية أخرى :

ومن المظاهر الفنية الأخرى التي تركت أثرا واضحا في التعبير القرآني الذي وردت فيه نعوت الرسولOuP (التقابلات الدقيقة) بين بعض تلك النعوت التي رسمت صورة لوظيفة الرسولOuP وحركته في التبليغ ، من ذلك النعتان (الآمر والناهي) ، والنعتان (المحلّل والمحرّم) في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[الأعراف: ١٥٧] ، فالآية الكريمة تظهر لنا مفهوما عامّا يختزن في بواطنه معاني الخير التي يأمر بها الرسولOuP، فالمعروف فيه شحنة دلالية تضم مكارم الأخلاق وصلة الرحم وغيرها من أفعال الخير التي لها أوصاف زائدة على حسنها(٣)، ويشير هذا النعت إلى وجوب إتباع الرسولOuP فهو الذي يعرف حسن الأعمال التي يأمرهم بها ويدلّهم عليها ،

(١) مفردات ألفاظ القرآن(شرح) : ٤٤٩ .
(٢) ينظر: الميزان : ٣١٤/٢٠ .
(٣) ينظر: مجمع البيان :٤/ ٣٧٢ ، وكتاب الألفين ، العلامة الحلي : ٤٤٣ .

فيوحي النعت في هذا المقام إلى شيئين :

الأول : قيام الرسولﷺ بإعلام الذين يتّبعونه بالمعروف .

الثاني : عدم توقف مهمة الرسولﷺ على إخبارهم بموارد الخير ، بل توجّهه إلى أمرهم بها وحملهم عليها (١).

ويشارك التقابل في إظهار الإصرار الكبير على إيصال النفع إليهم ، وذلك بنهيهم عن العنوان الآخر (المنكر) الذي يشتمل على دلالات متعددة منها : قطع الأرحام وعبادة الأوثان (٢)، وقيام الرسول بنهيهم عن المنكر يستلزم بيان تلك المنكرات ، وردعهم عن مزاولتها (٣)، فيقع في الطرف المقابل لعنوان (الأمر بالمعروف) ، مما يدفع بالسامع إلى استغراق مدّة زمنية يقضيها في تصور هذه المفاهيم الواحدة تلو الأخرى .

زيادة على ذلك نلحظ في الآية السابقة تسمية الحق معروفا والباطل منكرا ؛لأنّ معرفة الحق والباطل تعرف بالاعتماد على العقل الذي هو مصدر تمييز الصحيح من غيره (٤)،وهذه سمة من سمات الرسولﷺ تشير إلى نزاهة السفارة الإلهيّة ، إذ إنّ ((دعوته تتطابق لنداء العقل مطابقة كاملة، فهو يدعو إلى كل الخيرات وينهى عن كل الشرور والممنوعات العقلية: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر)) (٥) .

لقد فتح التقابل بين النعتين السابقين الباب واسعا أمام التخيلات الذهنية التي تنطلق في مجال رحب لتثير في الأذهان المعاني التي تقع في طرف مناقض لدعوة الرسولﷺ ، فكان هناك تناسب تام في المقابلة بين نعتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يشير إلى مسيرة رسالية واضحة المعالم وبين الدعوة الأخرى المخالفة لدعوة الرسل،تلك هي ((دعوة المبطلين والكاذبين والسحرة ، فإنهم يدعون

---

(١) ينظر:كتاب الألفين :٤٤٣ .

(٢) ينظر: مجمع البيان :٣٧٢ .

(٣) ينظر:كتاب الألفين :٤٤٣ .

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن :٥٦٠/٤ ، و مجمع البيان : ٣٧٢/٤ .

(٥) الأمثل :٢٤٥/٥ .

إلى ما يوافق أهواءهم وأغراضهم من كل قبيح ومنكر وبغي وظلم)) (١) .

زيادة على ذلك نلحظ ما أثاره التقابل بين النعتين (المحلّل والمحرّم) للرسولﷺ في الآية السابقة من اتساع في دلالة التحليل مقابل التحريم ، فيعمّ التحليل الواجبات والمستحبات والمباحات ،وذلك مما يقتضيه حق التقابل (٢) .

((كما أن محتوى دعوته منسجم مع الفطرة الإنسانية السليمة ، فهو يحل ما ترغب فيه الطباع السليمة ويحرم ما تنفر منه ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)) (٣) .

ومن ثمّ فقد أوحت تلك التقابلات إلى تعدد الوظائف الرسالية وناسبت نفاذ حركة الرسول ﷺ في زوايا متعددة في الحياة ،فقد استنفد طاقاته كلّها في سبيل إيضاح الحلال والحرام لهم ، وإلزامهم العمل به .

لقد كشف التقابل عن الصورة الإعجازية في بعض نعوت الرسولﷺ ،نشهد ذلك في قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] ،فقد سلك التعبير القرآني في الآية السابقة مسلكا إبداعيا ألمع فيه إلى أمية الرسولﷺ باستعمال عبارة (رسولا منهم) ، إذ كان أهل مكة أميين لقلة من يعرف القراءة والكتابة من العرب ، وكان الرسولﷺ منهم أي أنه من جنسهم(٤) ، وعلى الرغم من الرأي الذي يذهب إلى دخول الرسولﷺ بهذا المفهوم تحت إطار هذا النعت نلحظ أنّ له وظائف التلاوة والتزكية والتعليم ، مما يجعلنا نقف حائرين أمام ماأظهره التقابل بين النعت (الأمّي) وبقية النعوت (التالي والمزكّي والمعلّم) من إعجاز في وجازة الألفاظ من جهة ، وإعجاز القيام بتلك الوظائف من جهة أخرى .

ويعمد القرآن الكريم إلى انتقاء أساليب فنّية تجذب انتباه السامع بما يحدثه تناسب الألفاظ من أثر لا يؤدّي إلى الإسماع فحسب ، بل نراه يؤدّي إلى الإصغاء التام

---

(١) شرح إحقاق الحق ،السيد المرعشي : ١/٣٥٠.

(٢) ينظر : الميزان : ٦/ ١٠٧ــ ١٠٨ .

(٣) الأمثل :٥/ ٢٤٣ .

(٤) ينظر : الميزان : ١٩/٢٦٤ .

المصحوب برسم صورة الرسولOuP وهو يتلقّى التعاليم من الله عزّ وجل ، وتلك صورة يبرز فيها حال التزوّد ثمّ الإنفاق .

فالنعت (المعلَّم) بفتح اللام للرسول OuP يُظهر صورة الآخذ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[النساء: ١١] ، فقد أشار الجناس المماثل في الآية الكريمة إلى صورة العناق بين الآخذ والمعطي ، وأبان غاية العطاء والكرم الإلهي لرسوله ،وغاية العطاء الرسالي لأمّته ، فاكتملت الإفاضة الإلهيّة بما حقّقه ذلك الجناس من قوة في المعنى(١) .

وقد ذكر ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ثلاثة أقوال في قوله تعالى :﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ ﴾ [النساء:١] :

الأول : أنّ المراد بالتعليم هنا هو تعليمه الشرع .

الثاني : تعليمه أخبار الأولين والآخرين .

الثالث : تعليمه الكتاب والحكمة (٢).

على أنّ اقتران الإنزال والتعليم في الآية السابقة فيه إشارة إلى أنّ هناك نوعين من العلم :

الأول: التعليم عن طريق الوحي بنزول الملك جبرئيل(γ)على الرسولOuP .

الثاني: التعليم عن طريق الإلقاء المباشر في قلب الرسولOuP وإلهامه إلهاما إلهيا خفيا من دون أن ينزل عليه ملك من ملائكة الرب الجليل(٣) .

ومن ثمّ يوحي الجناس إلى خصوصية هذا التعليم في عبارة(وعلّمك مالم تكن تعلم) ، فقد آتى الله تعالى رسولهOuP علما خاصا ما كان ممكنا بحال من الأحوال

---

(١) ينظر : معترك الأقران :٣٩٩/١ .

(٢) ينظر : زاد المسير : ١٩٠/٢ .

(٣) ينظر : الميزان : ٨٠/٥ .

أن يحصل عليه ضمن الأسباب العادية التي تؤدي إلى اكتساب العلم(١).

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦] نلمس دقائق لطيفة أثارها الطباق في النعت (المنذر) للرسولOuP ،رسمت صورة فنية ، اتضح فيها معالم العقبات المزروعة في طريق المبلّغ ، فتقف سدا مانعا من دون استفادة القوم من نور الرسالة المحمّدية .

ومن لطيف ما نشهد في الآية السابقة تعاضد فن الطباق مع الأثر الصوتي في إبراز وظيفة الرسولOuP الإنذارية ،فالفعل (أأنذرتهم) شغل مساحة زمنية توحي إلى أساليب الدعوة المتعددة في إنذار القوم من العاقبة السيئة المحتومة لغير المؤمنين، في حين لا نجد هذه الإطالة في الطرف الآخر من الطباق في الصوت الساكن في الفعل المنفي (لم تنذرهم) ، بل نلحظ مقاطع صوتية متتالية وسريعة يشتمل كل واحد منها على متحرك وساكن كالآتي:

لَمْ = اللام (متحرك)+ الميم (ساكن)

تُنْ = التاء(متحرك)+ النون(ساكن)

ذِرْ = الذال(متحرك)+ الراء(ساكن)

هُمْ = الهاء(متحرك)+ الميم(ساكن)

فدلّ ذلك على اليأس من استجابتهم لدعوته المباركة ، فكأنّ كلّ مقطع من تلك المقاطع يرسم صورة فنية ذات وقفة تشير إلى الكف والانقطاع عنهم ، فتلتحم حالة التوقف مع طباق السلب هنا مما يسهم في إظهار المستوى الخلقي عند أولئك الذين لم يعودوا يفرقون بين ما هم عليه من وهم أو حقيقة ، ولاسيّما إذا عرفنا أنّ طباق السلب هو عبارة عن ((الجمع بين فعلي مصدر واحد ، مثبت ومنفي ، أو أمر ونهي)) (٢) ، فكان الفعل المثبت في الطرف الأول من الطباق دالا على استمرار الرسولOuP في إنذارهم ، في حين يقف الفعل المنفي في الطرف الآخر من الطباق متزامنا مع النتيجة التي انسجم معها الطباق أيما انسجام وهي عبارة(لايؤمنون) التي

---

(١) ينظر : الميزان : ٥/٨٠ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة : ٣١٥ ، وعلم البديع : ٨٠ .

أثبتها القرآن الكريم .

ويلحظ أنّ فن الطباق في المشهد السابق جاء مؤكّدا حال أولئك ومـوقفهم مـن الدعوة الربانية ،ومتوافقا مع الذي سبق إلى الأذهان من عبارة (وسواء علـيهم) ،أي إنّ النتيجة مسبقة ومعلومة .

وثمّة ملحظ في هذا المقام ، فقد يتبادر إلى الأذهان من كلمة(سـواء) أنّ إنـذار الرسولOuP أولئك لا يجدي نفعا ، ولا سيّما أنّ النتيجة مصرح بها مسبقا أنّ الأمر سواء ، لكن الذي يدقق في الصورة الفنية التي رسمها التعبير القرآني هنا ، يمكن له أن يدرك جيدا أنّ السواء متوجه إلى حالهم لا إلى حال الرسولOuP فكان(علـيهم) لا(عليه) ، إذ قال الله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [البقرة: ٦] ، فحقيقة الحال تذكر لنا أنّ الإنذار كان متساويا النسبة بالنسبة للذين كفـروا (سـواء عليهم)،ولم يك كذلك بالنسبة للرسولOuP ،إذ لم يرد (سواء لك)(١) ، فيتأكـد لنـا استمرار الرسولOuP في وظيفته حتى مع أمثال أولئك .

(١) ينظر :تفسير القرآن الكريم ، مصطفى الخميني :١٢٤/٣ .

المبحث الثالث:

المسالك التعبيرية لبعض نعوت الرسول OuΠ

بيّنا في المبحثين السابقين من هذا الفصل أثر الأداء الصوتي والتصويري في بعض نعوت الرسول OuΠ في خَلق ملامح دلاليّة ذات خصوصية منفردة رسمت لنا معالم فنية شعت بها القيم الصوتية والصور التشبيهية والاستعارية والكنائية ، ولنا أن نقف عند المسالك التعبيريّة التي ورد في سياقها بعض نعوت الرسول OuΠ لتتّضح لنا الدقة في ذلك الأداء من خلال استعمال بعض الأساليب كالقصر، والتوكيد ، والإضافة ،والنداء، والمظاهر التعبيرية الأخرى .

القصر

يمكن لنا أن نلمح مسلكا دقيقا في التعبير القرآني الذي وردت فيه بعض نعوت الرسولOuΠ ، من ذلك ما أظهره حسن القصر الإضافي في قوله تعالى :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، فالآية الكريمة في معرض التنويه بالحقيقة المحمديّة ، إذ نعته الله تعالى بأنّه (رسول) ، وفي ذلك تنبيه إلى الوظيفة التكليفيّة التي يؤدّيها الرسولOuΠ ، فإذا ما حان الأجل فارق الوجود ، كما رحل السابقون من الرسلOβΠ .

وقد تدرجّت الآية السابقة في إثبات دلالة الفراق ، ويتّضح ذلك من عبارة (أفإن مات أو قتل) ؛ لذا أوضح أسلوب القصر مع هذا التدرج أمرا غاية الأهمية تمثّل بحصر المبعوث رحمة للعالمين على الرسالة ، وكان القصر دالا عليه ، فالقصر لغة: الحبس أو التخصيص[1]، ممّا هيّأ النفوس إلى اقتلاع توهّم الخلود ، فلا خالد في

(١) ينظر :لسان العرب (قصر) : ٩٥/٥ ، والإتقان في علوم القرآن : ٤٩/٢ .

هذا الوجود إلا خالقه عزّ وجلّ ، وما محمد إلا نفس إنسانيّة نقت فاصطفاها الخالق للرسالة ، ولا يمتنع أن يجري عليه ما يجري على البشريّة[١].

وقد أثار القصر الذي ورد في هذا السياق توجيها دالا على التمسك بالخط الرسالي ، وإن فارق شخصه الوجود ، فمحمدﷺ حيّ وباقٍ ببقاء رسالته والتزام تعاليمه ، وما قصر نعت الرسالة عليه إلا إثراء في مغزى التعبير القرآني للرد على المخالفين ، وللكشف عن المنافقين الذين كانوا في عسكر الرسولﷺ في معركة أحد ، فقد كانت عقيدتهم تذهب إلى أنّ الرسولﷺ لا يناله القتل أو الموت ، وعلى هذا الفهم الساذج والعقيدة الباطلة يذهب أولئك إلى أنّ من يتعرض للقتل أو الموت إنما هو مدع للنبوة ليس إلا [٢] ، فنلحظ الدقة في التعبير القرآني عندما أطلق عليهم عنوان (المنقلبين على الأعقاب) .

ومن ثمّ فقد أضفى القصر الإضافي في هذا المقام توكيدا إضافيا ــ ولاسيّما إذا عرفنا أنّ القصر الإضافي هو ما يعبّر عنه بالقصر غير الحقيقي وهو تخصيص أمر بصفة من دون أخرى لدفع التوهم أو الإنكار[٣] ــ أثبت أنّ غياب القيادة لا يؤدي إلى توقف أو إلغاء المسيرة الرسالية ، وفي ذلك إشارة إلى عظمة القائد الذي لا يتجمد مشروعه ولا ينتهي بانتهاء حياته [٤] .

وعند التأمل الدقيق في الأداء التعبيري الذي ورد فيه النعت (المبلّغ) للرسول ﷺ يتبيّن لنا ما يحدثه القصر الإضافي من حسن في البيان القرآني في قوله تعالى : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾[المائدة: ٩٩] ، فحاصل الآية الكريمة أنّ تكليف الرسولﷺ هو إبلاغ رسالة ربّه إلى الناس ، وأمّا أثر الدعوة فيهم فهو أمر بيد الله تعالى[٥] ، إذ ليس على الرسول تكليف في أن

(١) ينظر :تقريب القرآن ، الشيرازي : ٤٥/٤ .
(٢) ينظر :الجديد في تفسير القرآن : ١٥٦/٢ ،والتفسير الكاشف:١٦٩/٢،والتفسير لكتاب الله المنير، محمد الكرمي : ٢ / ١٢٥ .
(٣) ينظر :الإيضاح في علوم البلاغة : ١١٨ ، ١٢٣ .
(٤) ينظر :تفسير من وحي القرآن :١٩٤/٦ .
(٥) ينظر :الجديد في تفسير القرآن : ٥٢٣/٢ .

يجعل الناس مطيعين لربهم ، فمهمته إيصال البلاغ الواضح إليهم ،ووظيفتهم الامتثال لدعوته مع تأكيد معرفة أنّ الله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون [١].

فنجد أنّ التعبير القرآني قد استعمل القصر الإضافي في إسناد هذه المهمة للرسولﷺ بدلا من القصر الحقيقي في عبارة (ما على الرسول إلا البلاغ) ، فالقصر الإضافي فيه بيان كاشف عن عدم اقتصار الرسولﷺ على وظيفة الإبلاغ فقط ، فله وظائف أخرى يؤدّيها غير التبليغ ، وقد ناسب القصر الإضافي قيامه بذلك[٢] .

وفي موضع آخر من مواضع التعبير القرآني يرد النعت (النذير) مقصورا في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف:١٨٤] ،فتشرق الملاءمة والتوافق في انتقاء أسلوب القصر الذي يشير إلى الانسجام التام بين نوعه وبين دلالة الآية التي ورد فيها ، فقد استعمل التعبير القرآني قصر القلب وهو ما يؤدي إلى قلب الحكم لدى السامع [٣]؛ ليشع بدلالة تؤكّد بطلان دعوى المشككين التي مفادها إلصاق تهمة الجنون بالرسولﷺ ، وليتضح من هذا الاستعمال الفارق بين نعته القرآني (النذير المبين) ، وبين وصفهم الكاشف عن عنادهم[٤] .

زيادة على ذلك فقد أراد القرآن الكريم إيقاظ القوم من غفوتهم ، واستنقاذهم من جهالتهم ، فركّز في خطابه في الفطرة التي يملكونها لإلقاء رواسب الجاهلية عنها وتنقية تلك العقول بتقليب الفكر وقلبه من حال العناد إلى حال التسليم لمنطق العقل ، ونستشف من هذا الأمر أنّ أسلوب قصر القلب يهدف إلى صرف الناس وتوجيههم للاهتمام بعقولهم ،وفي الوقت نفسه يحذرهم من عدم استعمال تلك العقول في تصديق الرسالة المحمدية [٥]، فكان القصر توكيدا لمطلع الآية (أولم يتفكروا ما

(١) ينظر :التفسير لكتاب الله المنير :٩٨/٣ .
(٢) ينظر :التحرير والتنوير : ٦١/٧ .
(٣) ينظر :الإيضاح في علوم البلاغة : ١١٩ .
(٤) ينظر :التحرير والتنوير : ١٩٥/٩ .
(٥) ينظر :في ظلال القرآن : ٣/ ١٤٠٤.

بصاحبهم من جنة) .

ويرسم لنا أسلوب القصر الذي ورد في سياقه النعت غير الصريح (المغني) للرسول OuΠ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٧٤] ، أجواء التهكم بأولئك النفر الذين كانوا يمتعضون من الرسالة المحمدية ،فالنقم في اللغة : هو المبالغة في إنكار الشيء والامتعاض منه [١] ، والغَناء بالفتح والمد دال على الكفاية والاجتزاء [٢] ، وقد وظف التعبير القرآني الاستثناء التهكمي لتأكيد النعت (المغني) للرسولOuΠ ، إذ لم يعمد إلى البحث والاستقصاء عمّا ينقض الحكم الخبري ،بل نراه يعمد إلى ذكر ما يؤكد ذلك الحكم لإظهار مزيد من التوكيد[٣] ، ومن ثمّ كان الاستثناء التهكمي مناسبا لحال القوم الذين جعلوا النقمة في موضع يُستحق فيه الشكرُ على نعم الله تعالى ورسوله ، فقد أبيح لهم الغنائم وأفيض عليهم بالخيرات [٤] .

وامتزج القصر مع التنكير في النعت (رحمة للعالمين) الذي نعت به الرسولOuΠ في قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، إذ نجد مسلكا تعبيريا اشتمل على أسلوب القصر بالنفي والاستثناء لإثبات جلالة الإرسال الإلهي والمقام المخصوص لرسوله ،فقد تحولت ذاته المليئة بالرقة والعطف رحمة لا تشوبها غلظة إلا على الكافرين الذين لا يريدون الاهتداء بحال من الأحوال .

ومن ثمّ يثبت أنّ وقوع النعت (رحمة) في الآية السابقة في حيز النصب بأسلوب الاستثناء يدلّ على أن الإرسال إنّما كان في حالة خاصة من أحواله الأخرى ، وهي حال كون الرسولOuΠ رحمة للعالمين ، فهو سبب للسعادة في الدارين [٥].

---

(١) ينظر :لسان العرب (نقم) : ٥٩٠/١٢.
(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة (غني) :٣٩٧/٤ ، وتهذيب اللغة (غنى) : ١٧٥/٨
(٣) ينظر :التحرير والتنوير : ٢٧٠/١٠ .
(٤) ينظر :مجمع البيان : ٩١/٥ .
(٥) ينظر :إرشاد العقل السليم : ٦/ ٨٩ .

وقد وظّف التعبير القرآني في هذا المقام وجازة الألفاظ ؛ للإشارة إلى بيان مقام من المقامات التي مدح فيها الرسولﷺ ، ومُدح فيه المرسِل (الله) تعالى ، كما مدحت رسالته .

زيادة على ذلك نلمح من تنكير الرحمة في هذا الأسلوب إيماء لطيفا إلى اتحاد الرحمة بالرسولﷺ وانحصاره فيها ، مع بقاء ملازمة عنوان الرسول له في أحواله جميعها ، ولا يخفى ما يحمل النعت المصدري (رحمة) من دلالة تفيد المبالغة في اتحاد الرحمة به حتى صارت نعتا متمكنا في قوله وفعله وفي سائر أحواله [1] .

ويرسم لنا التعبير القرآني ــ باستعمال القصر والتنكير ــ سمة أخرى من السمات التي اتحدت مع شخصية المرسَل ، فقد ورد النعت (ذكر) للرسولﷺ في قوله تعالى :﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [القلم: ٥٢] [2] مصدرا مقصورا منكّرا ، وفي ذلك إشعاع دلالي على كون الرسولﷺ ذكرا كما أن القرآن ذكر ، لذا ذهب بعض المفسرين إلى تفسير الذكر في الآية السابقة بأنه القرآن الكريم [3] .

ويمكن تلمس الدقة في استعمال أسلوب القصر بـ (إنّما) ، وأثره في البناء التركيبي الذي ورد فيه النعت (بشر) للرسولﷺ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠] ، فقد استُعمل هذا النعت في سياق الحصر بـ(إنّما) تارةً كما في الآية السابقة ، وفي سياق الحصر بالنفي والإثبات تارة أخرى ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون: ٢٤] ، ولهذا ملحظ دلالي يُستشفّ من الفرق بين السياقين ، فاستعمال (إنّما) التي تفيد الحصر والقصر يكون في المواضع التي يُخبر فيها المُخاطَب بشيءٍ لا يجهله ولا يدفع صحّته ، أو

(١) ينظر :التحرير والتنوير :١٧/ ١٦٥ــ١٦٦ .
(٢) ينظر :الجامع لأحكام القرآن :١١/٢٦٨ .
(٣) ينظر :زاد المسير :٨/٣٤٤ .

لما يقع في هذه المنزلة ، فعندما تقول : إنّما هو أخوك ، تدرك أنّ هذا الكلام غير موجّه إلى من هو جاهل به ، بل للعالم والمقرّ به ، وكلّ ما في الأمر يُراد منه البينة لما عليه من واجب الأخوّة ، ومثال آخر قول المتنبي[١] :

إنّما أنت والدٌ والأبُ القا طعُ أحنى من واصل الأولادِ

فأراد أن يُذكّر كافوراً بأمرٍ معلوم عنده[٢].

على وفق هذا المعنى نعرف أنّ القصر بهذه الأداة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:١١٠، وفصلت :٦] إنّما هو لإخبار المخاطب بشيءٍ مُسَلَّمٍ به وغير مجهول لدى الجميع ، وهذا ما يلائم الموقف التعبيري في تينك الآيتين،فقد أوحى أسلوب القصر إلى التكوين البشري للرسولOuP الذي يماثل بشرية الناس، وأشار إلى توكيد تلك الكينونة البشريّة فتندفع اقتراحات القوم التي تذهب كما يزعمون إلى امتلاكه قدرات غيبية [٣] .

لاشكّ في أنّ انتقاء أداة القصر (إنّما) في التركيب السابق فيه إلماع إلى زيادة تأكيد بشرية الرسولOuP ، فقد ذكر السيوطي(٩١١هـ) : إنّ هذه الأداة تتركب من (إنّ) التي تفيد التوكيد ، و(ما) الزائدة التي تفيد التوكيد أيضا [٤] ؛ لذا يشتد ويتضاعف التوكيد باستعمالها [٥] ، وهذا مسلك رائع في التعبير القرآني يأخذ بالألباب لتدبّر السر الذي يجعلها مناسبة في توكيد بشرية الرسولOuP.

أمّا استعمال الخبر في سياق النفي والإثبات فيُسلك به مع المخاطب الذي يُعتقد فيه أنّه على خطأ ويُرى منه إصرارٌ على ذلك الخطأ ، فيجارى في قوله ويُرخى له العنان ليعثر فيُفحم[٦]، ونلحظ هذا المعنى في اعتراض المشركين على بشريّة

---

(١) شرح شعر المتنبي، ابن الإفليلي : ١١٣/١ .
(٢) ينظر : دلائل الإعجاز : ٥٢٤ .
(٣) ينظر : الميزان : ٤٠٥/١٣ .
(٤) ينظر :الإتقان في علوم القرآن: ١٣٦/٢،وتفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني : ٣٩٨/٣ــ٤٠١ .
(٥) ينظر : دلائل الإعجاز :٢١٤ومابعدها، والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، د.عبد الفتاح لاشين : ١١٢ .
(٦) ينظر : مفتاح العلوم : ١٣١ .

الأنبياء، كما في قوله تعالى : ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ﴾ [إبراهيم:١١] من باب مجاراة الخصم لغرض التبكيت والإفحام(١).

ونلمس قدرة التعبير القرآني في ذكر النعت (المنذر) للرسولOuP على رسم صورة ناصعة له ، ينبثق من بين طياتها الإخلاص التام ، فيُنزَّه فيها من كل ألوان النقص التي ربما يضمرها الدعاة غير الإلهيين من طلب أمور دنيوية كالمال أو الجاه وما شابه ، فكان لأسلوب القصر في قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥] القدرة على نفي تلك المقاصد التي قد يكون بعضها مدخلا لتلبس الدعوة بين الناس بتلك الأغراض (٢) وفي هذا توعّد بليغ يكون مدعاة لتحريك النفوس (٣) في الاستجابة للرسول المنذر .

إنّ إثبات نعت الرسول المنذر في هذا المقام فيه إشعاع حسن وجمال تعبيري ينبع ذلك من توظيف استعمال (إنّما) مع الضمير (أنا) واقترانهما مع النعت (منذر) في الرد على تكذيب القوم واتهامهم الرسولOuP بالسحر والكذب ، إذ إنّ في الإنذار منافاة لتلك الأكاذيب (٤) .

ونتتبع مسلكا تعبيريا آخر برز فيه استعمال النعت (الوليّ) للرسولOuP في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة:٥٥] ، إذ نلحظ القدرة الكامنة في أسلوب القصر بـ (إنّما) على إفراد المذكورين في الآية السابقة وقصر الولاية عليهم ، وحصرها بهم ، ونفي شبهة قد تقوم في أذهان المخاطبين تذهب إلى كون الولاية عامة ومشتملة على المذكورين في الآية وغيرهم ، وقد أسهم قصر الإفراد في بيان هذا المعنى ، كما يمكن أن

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٤٢/١ ، ومختصر المعاني : ١٢٥ .
(٢) ينظر : الميزان : ١٧/ ٢٢٢ .
(٣) ينظر: المحرر الوجيز : ٤/ ٥١٢.
(٤) ينظر: روح المعاني :٢٣/ ٢١٩.

نحمل القصر في هذا المورد على أنّه قصر قلب ، فيندفع به التصور الخاطئ بشأن عمومية الولاية [١] .

ومن ثمّ فقد عمل الأداء التعبيري في هذا المورد على حصر الولاية الحق وإثباتها للخالق عز وجل أولا ، فالله تعالى له أصل الولاية ، ثم إثبات الولاية للرسولOuP ثانيا ، ومن توافرت فيه مجموعة من الشرائط والصفات المذكورة في الآية السابقة ثالثا [٢].

وقد كان ذلك كلّه بتدرج تعبيري هيمنت عليه كثرة المؤكدات التي جلبها الحصر، والجملة الاسمية ، وتقديم النعت (الوليّ) لتبيان اختصاصه وأهميته ، فقد خوطب المؤمنون جميعهم في قوله تعالى : (إنّما وليّكم) ، ثم قال تعالى : (ورسوله) فأخرج الله عز وجل الرسول OuP من جملتهم ؛لأنّهم مضافون إلى ولايته ،ثم قال تعالى: (والذين آمنوا) ، فأثبت مسلك القصر أنّ من خوطب بهذه الآية غير الذي جعلت له الولاية ، وإن لم يكن كذلك لكان كل واحد من المؤمنين وليا على نفسه [٣] ،فالولي : هو الناصر أو المتصرف في الخلائق [٤] ، وينبغي أن نصرف دلالته في الآية التي هي محل البحث إلى أحد المعنيين ، وننفي الآخر ؛لأنّ الولي من الألفاظ المشتركة ، ولا يجوز حمل اللفظ المشترك على مفهوميه معا [٥] ، إلا إذا فُقِدَ المخصّص حينئذٍ يُحمَل اللفظ المشترك على جميع معانيه [٦] ، وقد دلّ النعت (الوليّ) للرسول OuP على تصرفه في تدبير أمور قومه المؤمنين ؛لكون الولاية مختصة وليست عامة[٧] .

---

(١) ينظر: الميزان : ١٤/٦ .
(٢) ينظر: الكشاف : ٦٢٣/١ ، وإرشاد العقل السليم : ٥٢/٣ .
(1) ينظر: مجمع البيان : ٣٦٤/٣ .
(٤) ينظر: لسان العرب (ولي) : ٤٠٥/١٥ .
(٥) ينظر: المحصول : ٢٧٩/١ .
(٦) ينظر: نفحات الأزهار ، السيد علي الميلاني : ٥٦ .
(٧) ينظر:مجمع البيان : ٣/ ٣٦٤ .

ونتلمس الدقة في الأداء التعبيري الذي ورد فيه النعت (المُطَهَّر) للرسولOιΠ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، إذ ورد التطهير الدال في اللغة على النقاء وزوال الدنس [١] مؤكَّداً بصيغة المفعول المطلق المؤكِّد لفعله[٢] التي تحمل تأكيدا شديدا على مسألة إذهاب الرجس [٣]، كما وقع التطهير بعد إذهاب الرجس في سياق القصر بـ (إنّما) الذي شع بدلالة حصر الإرادة الإلهية في اختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمخاطبين في الآية السابقة وعلى رأسهم الرسولOιΠ ، بغض النظر عن كون استعمال لفظة (أهل البيت) للاختصاص أو المدح أو النداء[٤] .

ومن ثم نلحظ أثر المسلك التعبيري في توكيد طهارة الرسولOιΠ وأهل البيت Oβ Π وثباتهم المتولد من توظيف القصر بـ (إنّما) المعبّر في حقيقته عن قصرين:

الأول: قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير .

والثاني : قصر إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت Oβ Π [٥].

التوكيد :

من الظواهر التعبيرية التي برزت جليّة في الاستعمال القرآني مع بعض نعوت الرسولOιΠ ظاهرة التوكيد التي تعمل على ترسيخ دلالة النعت الذي ترد معه ، فتثبته للسامع في أجواء يسودها الشك والتشكيك في رسالته .

ومن تلك المواضع ما نلحظ من توكيد يصحب النعتين (النذير والبشير) للرسولOιΠ في قوله تعالى:﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود:] ، فنجد أنّ التعبير القرآني لا يراعي انتقاء المفردة فحسب ، بل يراعي جميع الأحداث

(١) ينظر: لسان العرب (طهر) : ٢١١/٨.
(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية : ٢٩٨/١ .
(٣) ينظر: الأمثل : ١٣/ ٢٣٨ .
(٤) ينظر: زاد المسير :٦/ ١٩٨ .
(٥) ينظر: الميزان : ٣٠٩/١٦ .

والملابسات التي تشع بها أجواء السورة القرآنية ، أي إنّه يراعي أثر المواقف المصاحبة للنعت في السياق الذي يرد فيه ، ولمّا كانت أجواء السورة مشحونة بالتحذير من العذاب والإنذار من الوقوع في الهلاك ، فناسب ذلك استعمال (إنّني) لتوكيد الإنذار الذي يمثل العنوان العام للسورة التي ورد فيها النعتان السابقان ،إلى جانب ذلك كان التوكيد ملائما ليد الهداية التي تمتد لإنقاذهم من الغواية التي كانوا عليها ،فتلك بشارة لهم على يد الرسول البشير ، أماط التوكيد عنها لثام التردد وعدم القبول ، فقبلها من أراد النجاة فآمن وتخلف عنها من غوى وكفر.

ولم تقف ظاهرة التوكيد في تجليتها للمعنى عند حدود استعمال اللفظ(إنّني) ،بل أتبعته بمؤكّدات أخر (لكم) و(منه) في الآية السابقة ، وذلك لإعمال فكرهم في أنّ إنذار الرسولOuP لهم هو في حقيقته إنذار إلهي (منه) ، ويوحي السياق بالعلاقة الوثيقة بين توحيد الله تعالى وبين الإنذار والتبشير فإنّ ((النذر والبشرى كائنين ما كانا يرجعان إلى التوحيد و يتعلقان به)) [1] ، وأمّا لفظ (لكم) فنلمس منه تشديدا على ضرورة التنبه والرجوع إلى خط الاستقامة .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، أظهر التوكيد شرف الرسولOuP ، وكَشَف عن منقبة من مناقبه الجليلة التي حظي بها ، إذ ورد النعتان غير الصريحين (المُصلَّى عليه) ، و(المسلَّم عليه أو إليه) للرسولOuP في سياق التوكيد بـ (إنّ) التي تبعها الافتتاح بانتقاء لفظ الجلالة (الله) ؛ لبيان العظمة والمنزلة ، والإشارة إلى سمة الرفعة والقداسة معا، فالصلاة دالة على الدعاء [2] والاستغفار [3]والتبريك والثناء أو التمجيد [4] ، فهي تتمايز على وفق صدورها ؛ لذا

(١) الميزان : ١٤١/١٠ .

(٢) ينظر : العين (صلو) : ١٥٤/٧ ، ومعجم مقاييس اللغة(صلى) :٣٠٠/٣ ، ولسان العرب(صلا) :٤٦٤/٤

(٣) ينظر : العين (صلو) : ١٥٤/٧ ، ولسان العرب (صلا) :٤٦٤/٤

(٤) ينظر : العين (صلو) :١٥٤/٧ ، ومفردات ألفاظ القرآن (صلا) : ٤٩٠ ــ ٤٩١ .

تكون((الصلاة من الله عز وجل رحمة،ومن الملائكة تزكية،ومن الناس دعاء)) [١]، كما نلحظ استعمال التعبير القرآني للفعل المضارع (يصلّون) الدال على الاستمرار في أداء الفعل [٢]، ممّا يؤكد عدم انقطاع الصلاة على الرسولOuP ، زيادة على ذلك مجيء الفعل (يصلّون) مكرر العين ، فكان دليلا على توكيد صدور الفعل ؛ لأنّ اللفظ دليل المعنى ، وأقوى ما فيه العين ــ لأنها واسطة لفاء الفعل ولامه ــ فيقابل بها قوة الفعل [٣] .

ولم يكتف الأداء التعبيري في الآية السابقة بكثرة المؤكدات التي ساقها ليثبت هذه الفضيلة للرسولOuP ، بل سلك مسلكا توكيديا آخر فكان استعمال فعل الأمر (صلّوا) في سياق النداء إثباتا وتوكيدا على تلبية التوجيه الإلهي للمؤمنين بالصلاة على الرسولOuP ، وتكثيف التوكيد هنا دلّ على أنّ النعت (المصلّى عليه) قد اختص به الرسولOuP من دون باقي الأنبياء أو الرسل (β) ، وفي هذا إشارة إلى مقام من المقامات التي بلغها ، فقد شرّفه الله سبحانه وتعالى بهذه الآية في حياته وموته [٤] .

ويتوالى المسلك التعبيري في توظيف أسلوب التوكيد في شحذ الأذهان وتهيئتها؛ للتأمل أكثر في تلك المراتب العليا التي نالها الرسولOuP ، فلا يبقى محب إلا وقد آمن وأيقن فصلّى عليه ، بل وزاد ذلك تسليما ، فقد جاء النعت (المسلَّم عليه) أو (المسلَّم إليه) في الآية عينها معطوفا على النعت (المصلّى عليه) في قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، وفيه ما فيه من إشارة إلى التسليم االمطلق : التسليم القولي والتسليم الفعلي [٥] ؛ لذا أمكن جعل المتعلّق معه (عليه أو إليه) ، فانفرد الرسولOuP بمرتبة تسليم المؤمنين عليه، إذ لم يرد في القرآن الكريم الأمر بسلام المؤمنين عليه سوى الرسولOuP .

---

(١) معاني الأخبار : ٣٦٨ .
(٢) ينظر : الأمثل :٣٤١/١٣ .
(٣) ينظر:الخصائص : ١٥٥/٢ .
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٢/١٤ .
(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم : ٧/ ١١٤ . .

ومما زاد التعبير توكيدا مجيء النعت غير الصريح (المسلَّم عليه) مؤكَّدا بالمصدر (تسليما) المفعول المطلق ، الذي فيه دلالة على المبالغة والتوكيد ، فقد عوض به عن تكرير الفعل [1].

وتشع الظاهرة التوكيدية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[البقرة: ١١٩] ،فتكشف عن الخطاب الإلهي المبيّن وظيفة الرسولOuP التبشيرية والإنذارية ، كما يكشف عن حقيقة المواجهة بينه وبين الأعداء من اليهود والنصارى .

وفي ظل تلك الأجواء تأتي عبارة (إنّا أرسلناك بالحق)،فتتضافر المؤكدات على النحو الآتي: إنّ،الضمير (نا)،أرسل (الفعل الماضي) ،الضمير(نا)،بالحق ؛لتضفي مزيدا من التثبيت لصاحب الرسالة ، كما تقضي بما تحمل ألفاظها من صرامة إلى الإيحاء بالجزم واليقين في إرساله بشيرا ونذيرا [2].

ونتذوق انعكاسات الأداء التعبيري باستعمال لفظة (بالحق) مع القرآن الكريم ؛ وذلك لتضمنه البيان التام لتفاصيل الأحكام والنظام الذي يريده الخالق عز وجل لتنظيم حياة البشر [3] ، فقد ذكر النعت غير الصريح (الحاكم) للرسولOuP بعده في سياق تعبيري مليء بالمؤكدات وهي :(إنّ) والضمير (نا) ، والفعل الماضي (أنزل) المسند إلى الضمير (نا) ، ولفظ التخصيص (إليك) ، فيشتد التوكيد ليشع بدلالة إثبات حاكميّة الرسولOuP بين الناس ،وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ [النساء: ١٠٥] ، فالأصل في الحكم : المنع [4] ، تقول : حكمت بين الناس ، أي فصلت بينهم [5]، وقد جُعِل حقّ الحكم للرسولOuP ، كما جُعِلت الحجية لرأيه ؛ لأنّ

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٣٩١/٢ ــ ٣٩٢
(٢) ينظر: في ظلال القرآن :١/ ١٠٧ .
(٣) ينظر:تفسير سورة الحمد ، محمد باقر الحكيم : ٧٢ .
(٤) ينظر: المصباح المنير(الحكم) :١٤٥ ، و معجم مقاييس اللغة (حكم) : ٩١/٢ .
(٥) ينظر: المصباح المنير (الحكم) : ١٤٥.

الفصل في الخصومات يحتاج إلى إعمال نظر الحاكم فيها ، وإيجاد الرأي والتعريف بالحكم ، فكان أمامه النهج الحق وهو ما اشتمل عليه الكتاب من أحكام وشرائع ، مضاف إليه ما يعرّفه الله تعالى من حكم ويوجد له من رأي ، ليرتفع به الاختلاف بين الناس[١] .

ويمكن لنا أن نتدبّر كيفية سلوك التعبير القرآني في توظيف العناصر التوكيدية في إبراز المعنى المراد وتثبيته في الأذهان من خلال الإتيان بها مقترنة مع بعض نعوت الرسولOuP في سياق واحد ، إذ نرى ذلك جليّا في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحجر: ٨٩] ، فقد استعمل المؤكّدان : (إنّ) وضمير الفصل (أنا) مع النعتين (النذير والمبين) للرسولOuP لبيان الإنذار الواضح الذي لا لبس فيه ولا يكتنفه أي غموض ، فهو رسول مبين ، والمبين في اللغة دال على الوضوح والانكشاف [٢] ، ولم تفترق دلالته في التعبير القرآني عن دلالته المعجمية مما زاد في إيضاح مهمة الرسولOuP وهي إيصال التعاليم الواضحة الظاهرة لذوي الأبصار .

إنّ استعمال التعبير القرآني في الآية السابقة النعت (المبين) للرسولOuP من دون استعمال لفظة (بيّن) فيه دلالة على شدّة البيان والمبالغة في الانكشاف ، حيث إنّه كالنور ظاهر ومنكشف في نفسه ومُظهِر لنفسه ولغيره[٣] .

وننظر إلى مدى إنضاج الظاهرة التعبيرية التي تركبّت من القسم والتوكيد في قوله تعالى : ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ١ - ٣] فقد حقق اجتماعهما مع النعت (المُرسَل) الذروة في الرد على منكري بعثة الرسولOuP ، وقد عمل كل منهما على إثبات رسالته[٤] ، فهو مرسل من الحقّ

(١) ينظر: الميزان : ٧١/٥ .
(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (بين) : ٣٢٨/١ .
(٣) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن(بين) : ٣٦٨/١ .
(٤) ينظر : بيان السعادة :٢٨٥/٣ .

تعالى إلى الخلق [١] .

ومن عجائب الأسلوب القرآني ولطائفه أنّ الله تعالى قد أقسم بما أنكره المشركون ، إذ كانوا ينكرون القرآن والرسالة ، وفي ذلك إيحاء إلى توكيد حقيقة بأخرى يمكن أن تكون أساسا في إثبات الرسالة المحمدية [٢] .

ومعلوم أنّ إثبات الرسالة يحصل بالدليل ،لا بالقسم ،لكنّنا نلحظ أنّ التعبير القرآني عمد في الآيات السابقة إلى ظاهرة القسم في تثبيتها ، وفي ذلك إيحاء آخر إلى أنّ حقيقة هذا القسم إنّما هو دليل ظهر في صورة القسم [٣] ؛ لأنّ نعت القرآن بالحكمة يومي إلى مكانة القرآن وعظمته ، فإعجازه من أقوى الأدلة على كون الرسولOuP مرسلا [٤] .

وكذلك نلحظ امتزاج العناصر التوكيدية مع القسم في قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٠] ، فقد ورد النعتان (الرسول) و(الكريم) للرسولOuP في سياق مليء بالمؤكدات التي تضافرت مع أسلوب القسم الذي سبقها ؛ لإثبات أنّ الرسولOuP بعيد عن الهوان والضعف ، فهو متفوّق في نفسه [٥]، فالكريم في اللغة : العزيز والنفيس[٦] ، وهو ((اسم جامع لكل ما يحمد)) [٧] ، قال الراغب : ((الكرم إذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر،نحو قوله:﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴾[النمل: ٤٠] ، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه ، ولا يقال : هو كريم حتى يظهر ذلك منه)) [٨] .

---

(١) ينظر : تفسير القرآن الكريم ، صدر المتألهين :٢٤/٥ .
(٢) ينظر: تفسير من وحي القرآن :١٣٧/١٩ .
(٣) ينظر : مقتنيات الدرر : ٩/ ٦٦ .
(٤) ينظر : التفسير الكاشف : ٦/ ٣٠٠ .
(٥) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن (كرم):٤٩/١٠ .
(٦) ينظر : المصباح المنير (كرم) : ٥٣١ .
(٧) تهذيب اللغة (كرم) : ٢٣٤/١٠ .
(٨) مفردات ألفاظ القرآن (كرم) : ٧٠٧ .

ومن ثمّ ندرك ما أضفاه أسلوب التوكيد والقسم بما يُرى وبما لا يُرى من إبراز ونصوع الخير الواسع الكبير الذي اشتمل عليه الرسولﷺ .

وعندما يشكّك المشركون كثيرا في تلقّي الرسولﷺ القرآن الكريم من الله تعالى ،يستعمل التعبير القرآني النعت (المتلقّي) للرسولﷺ في سياق يكثف فيه التوكيد بـ (إنّ) و(اللام) ؛ ليندفع به ذلك الشك المستولي عليهم [١] ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦] ، إذ نستشف من الخطاب الإلهي للرسولﷺ أنّ من أعطاه القرآن هو الله سبحانه وتعالى ، وليس من عنده كما يزعم المشكّكون [٢] .

لقد امتزج التوكيد في الآية السابقة مع بطء الحركة المشددة الموحية بالثقل في الفعل (تُلقّى) ؛ ليناسب ثقل ما سيلقى على الرسولﷺ ، فقد نعت القرآن بالثقل دلالة على عظمته وفخامته في قوله تعالى:﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥] ، فالقرآن ثقيل بإعجازه وخلوده وتعاليمه وثقيل بكل ما يحمل من تكاليف تدعو إلى الالتزام بها والاستمرار في المحافظة عليها[٣] فهو ((كلام إلهي مأخوذ من ساحة العظمة والكبرياء لا تتلقاه إلا نفس طاهرة من كل دنس منقطع عن كل سبب إلا الله سبحانه)) [٤] ، وفي ذلك إشارة إلى أنّ وظيفة دعوة الناس إلى الحق وحثهم على ترك عادات الجاهلية والعمل الدؤوب على تزكيتهم هي من أثقل المهام وأصعبها [٥] ، ويمكن لنا أن نستشف تلك العظمة والفخامة من تنكير (حكيم عليم) .

ونلمح من توالي حركة الضم الثقيلة وحركة الفتحة الخفيفة في الفعل (تُلَقّى) دلالة على نزول القرآن من الساحة القدسية الإلهية إلى الساحة النبوية المطهّرة المتلقية فالضم يشير إلى العلو والإلقاء ، والفتح يشير إلى النزول والتلقي .

---

(١) ينظر : صفوة التفاسير ، د.محمد علي الصابوني: ٢/ ٣٧٢ .

(٢) ينظر : التفسير الكاشف : ١١/٦ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٥٠/٩ ، وفتح القدير : ٣١٦/٥ .

(٤) الميزان : ٦٢/٢٠ .

(٥) ينظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ، جعفر مرتضى : هامش رقم ٢ : ٣١١/٢ .

وفي قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: ٥٢] سلك التعبير القرآني الذي ورد فيه النعت (الهادي) للرسولOuP مسلكا هادئا رقيقا يتناسب مع دلالة النعت المأخوذ من الفعل (تهدي) في الآية السابقة، فقد تدرّج السياق بذكر ألفاظ تشتمل على العظمة والرقة والنصاعة في آن واحد كالإيحاء والروح والإيمان والنور والصراط المستقيم ، فكانت الهداية منسجمة مع تلك المفاهيم ، كما أنّ بروز التوكيد بـ (إنّ واللام التي دخلت على فعل الهداية) فيه ملمح دلالي يشير إلى المشقة والعناء الذي يتحمله الرسولOuP للقيام بهذه الوظيفة ، إذ إنّ الهادي هو الذي يتولى مسؤولية إرشاد عباد الله بدعائهم إليه ، وبيان طريق النجاة من المهالك ، فالأصل في الهداية : البيان والدلالة بلطف [1] ؛ لذا استعملت في التعبير القرآني في مواطن الخير ، وأما استعمالها في مواطن الشر ففيه دلالة على التهكم والاستهزاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[الصافات: ٢٢ – ٢٣] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: ٤] ، نلحظ تزكية إلهية خلقتها جملة من المؤكدات المتتالية في السياق التعبيري الذي شمل النعت (عظيم الخُلُق) للرسول OuP في الآية السابقة ، فقد استعمل الأسلوب القرآني (إنّ) مع اللام الزائدة في (لعلى) التي زاد من توكيدها اندراج النعت في جواب القسم الذي ورد في أول السورة في قوله تعالى:﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ [القلم: ١] ، وما أحدثه ذلك من تناسق شديد انسجم مع الانتقاء الدقيق للفظ (الخُلُق) ووصفه بـ (العظيم) ؛ لتثبيت هذه السجيّة التي لم يُجملها التعبير القرآني لأحد من الرسل(β) سوى الرسولOuP ، إذ يمكن لنا أن ندرك أنّ هناك تكثيفا دلاليا في النعت (عظيم

(١) ينظر: لسان العرب (هدى) : ١٥/ ٣٥٣ .

الخلق) فقد أوضح التعبير القرآني أنّ لكل نبيّ خصلة فاضلة كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٞ ﴾ [هود: ٧٥] ، إذ نعت النبي إبراهيم (γ) بخصال متعددة فهو حليم وأوّاه أي كثير الدعاء للخير والذكر لله تعالى [١]، ومنيب إلى الله تعالى أي راجع إليه في كل الأمور وملازم لطاعته [٢]، وفي قوله تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ [مريم: ٥١] نُعت النبّي موسى(γ) بأنّه كان مخلَصا ورسولا ونبيا،فقد ذكرت خصال متعددة لموسى(γ) ولكن لم يكن هناك تعبير إجمالي لتلك الخصال كما ورد في النعت (عظيم الخُلُق)،إذ اجتمع للرسولOıПجميع خصال الفضل عند الأنبياء السابقين[٣].

فالخُلق بضم الخاء واللام أو بضم الخاء وسكون اللام خُصّ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، وهي بذلك تفرق عن لفظ (الخَلق) بفتح الخاء التي خُصّت بالهيئات والصور والأشكال التي يمكن أن تدرك بالبصر لا بالبصيرة [٤]، زيادة على ذلك فإنّ (الخُلُق) مأخوذ من (الخِلْقة) وفيه دلالة على الصفات التي تلازم الإنسان فلا تنفك عنه ، كخِلْقة الإنسان [٥] ، ومن ثمّ نُدرك ما أفاض به أسلوب التوكيد في هذا المقام من بلوغ الرسولOıПمرتبة عظيمة في السجايا الخلقية ، وأشار إلى مقام عظيم من مقاماته الخلقية ، إذ وصل إلى قمة الهرم في تلك المقامات ، فلم يقتصر التعبير القرآني على حشد التوكيدات السابقة لتثبيت هذا النعت ، بل لم يعمد إلى استعمال (ذو) مثلا التي بمعنى (صاحب) فيكون التعبير : إنّك ذو خلق عظيم ،فقد جاء بحرف الجر(على) الدال على الاستعلاء للدلالة على أنّ الرسولOıП((مستعمل على هذه الأخلاق ومستول عليها وأنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة

(١) ينظر: العين (أوه) : ١٠٤/٤ ، والمعجم الوسيط (أوه) : ٣٣/١ .
(٢) ينظر: العين (ناب) : ٨/ ٣٨١ ، وتفسير القرآن الكريم ،عبدالله شبر : ٤٨٥
(٣) ينظر: التفسير الكبير :٧١/٣٠ .
(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن(خلق) : ٢٩٧ .
(٥) ينظر: الأمثل : ٥٢٢/١٨ .

كالمولى بالنسبة إلى العبد وكالأمير بالنسبة إلى المأمور)) [1] .

ومن ثمّ صار ما امتزج به من خلق مقياسا للسالكين إلى تلك المقامات ، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

الإضافة :

لقد حققت ظاهرة الإضافة في نعوت الرسولOuP التي وردت في التعبير القرآني تكريما للرسولOuP ، لَمَعَ ذلك من إضافة النعت (العبد) إلى لفظ الجلالة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩] ، إذ استعمل في التركيب الإضافي (عبد الله) النعت (عبد) للرسولOuP وهو اسم ظاهر من دون أن يستعمل المضمر ، وقد كان مقتضى السياق أن يقال : قمتُ بالفتح أو الضم ، ودل العدول إلى الاسم الظاهر في تلك الإضافة على تكريم الرسولOuP [2] .

وهناك إثارة لطيفة تتولد من إسناد القيام في الآية السابقة إلى النعت (العبد) المضاف إلى لفظ الجلالة (الله) من دون استعمال (الرسول) أو (النبي) ، فقد دل القيام على الحركة والاجتهاد والتوجه إلى ذلك العمل العبادي .

ولمّا كان التعبير القرآني في هذا المقام مسبوقا بالنهي عن عبادة غير الله عزّ وجلّ في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، وذكر بعده قيام الرسولOuP بالعبادة ، شعّت تلك الإضافة في تحقيق معنى العبودية التشريفية والتكريمية وألبست الرسولOuP تاج الكمال[3] .

---

(١) التفسير الكبير : ٣٠ /٧١ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٩/٢٤٢ .

(٣) ينظر: البصائر في تفسير القرآن : ٤٩/ ٣٤٥ .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الأحقاف:٣١ – ٣٢] أغلقت الإضافة الباب أمام المتردّدين والمشكّكين في الدعوة المحمّديّة ، فقد ألمح التركيب الإضافي في النعت (داعي الله) للرسولOuP إلى توكيد العلاقة بين الداعي وبين ربّه عزّ وجلّ ، فلم يكن هناك ما يفصل بين اللفظين ،وبذلك تكون كل التعاليم التي يدعو إليها الرسولOuP ، إنّما هي في حقيقتها تعاليم الله تعالى لا غير .

ونلحظ أنّ هذا النعت وقع في معرض الحثّ على إجابة الداعي للحصول على الغفران والسعادة ، وفي إجابته خصوصية ، إذ ((لا يجيب الداعي إلا من أُسمِع النداء ووُفِّق للجواب ولُقِّن وإلا فمن يحصل على جواب هذه الدعوة)) [١] ، زيادة على ذلك ورد النعت (الداعي) على صيغة اسم الفاعل ، وفي ذلك إشارة إلى تكرير الدعوة واستمرارها ، كما ألمعت الإضافة إلى لفظ الجلالة (الله) إلى التشريف والتكريم الإلهيين ، فهي دعوة تكتنز أجمل معاني الصفاء ، ذلك أنها من عين صافية.

وتأخذ الإضافة بمجامع القلوب في النعت (ثاني اثنين) للرسولOuP ، فقد عدل عن التعبير المباشر (أحد اثنين) [٢] إلى التعبير الاستثنائي غير المباشر في قوله تعالى:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠] ؛ للتأكيد على أنّ الرسولOuP ((ثاني اثنين في التناصر)) [٣] ، فملحظ هذا التحدي ظاهر لا لبس فيه ((إذ اثنان

(١) حقائق التفسير : ٢/٢٤٥ .
(٢) ينظر : المقتضب : ٢/١٨١ .
(٣) معجم الفروق اللغوية :٥٤٦ .

أعزلان يتحديان قريشا بكاملها بعدّتها وعددها فيخرجان تحت ظلال السيوف ويدخلان الغار في سدفة الليل))[1] ، على أنّنا نلحظ أنّ الآية السابقة تعرّضت إلى تخصيص نصر الله تعالى وحده لرسوله عينه وشخصه ، أي أنّ هناك تخصيصا للنصر الإلهي أوضحته إضافة النعت (ثاني اثنين) في هذا المقام قبال ما فرضته الآية الكريمة من تخاذل القوم عن نصرة الرسولﷺ .

فكان التعبير الإضافي في النعت (ثاني اثنين) يتناسب تماما مع الدلالة القطعية التي تشير إلى أنّ أحد الاثنين كان حائزا على ذلك النصر الغيبي ، إذ ورد هذا النعت في سياق مليء بالمنن الإلهية من إنزال السكينة على رسوله وتأييده بالجنود الذين لم تكن هناك قدرة على رؤيتهم ، فكل ذلك فيه دلالة على إظهار مقام انفرد فيه الرسولﷺ بالحصول على ذلك المدد الغيبي الصادر من الله تعالى وحده ليس غير إلى رسوله في تلك الواقعة وما تلاها[2] .

ثمّ إنّ التعبير الإضافي يقوم في ترسيخ دلالة النعت (الرسول) وربطها بـ (المرسَل) ،إذ ورد مضافا إلى الاسم الظاهر لفظ الجلالة (الله) في ثلاثة عشر موضعا [3]،منها قوله تعالى:﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾[التوبة: ٨١] ، فالآية السابقة تظهر الحالة النفسية عند المنافقين ، وأوضح التعبير القرآني فَرَح المخلَّفين وسرورهم بعدم خروجهم إلى الجهاد مع رسول اللهﷺ في غزوة تبوك [4].

وقد ورد النعت (رسول) مضافا إلى لفظ الجلالة (الله) ، فقد ذُكِر : (خلاف رسول الله) وكان القياس أن يقال : (خلافك) ؛ لأنّ الخطاب فيه للرسولﷺ ،

---

(١) أضواء البيان : ١١٦/٢ .

(٢) ينظر : الميزان : ٢٩٥/٩ ، والأمثل : ٦/ ٥٧ــ ٥٨ .

(٣) الآيات الآتية : الأعراف: ١٥٨؛ التوبة : ٦١ ، ٨١ ، ١٢٠ ؛ الأحزاب : ٢١ ، ٤٠ ، ٥٣ ؛ الفتح : ٢٩ ؛ الحجرات : ٣، ٧ ؛ المنافقون : ١ ، ٥ ، ٧ .

(٤) ينظر :تفسير القرآن ، الصنعاني : ٢٨٤/٢ ، وجامع البيان : ٢٥٦/١٠ .

ومن ثمّ فقد دلّت الإضافة على أنّ تلك المخالفة التي يفرح بها المنافقون إنما هي في حقيقتها مخالفة الله سبحانه وتعالى [1] ، وما كانت تلك الحقيقة تترسّخ في النفوس لولا وجود تلك الإضافة .

مظاهر تعبيرية أخرى :

هناك مسالك تعبيرية أخرى خلقت أفقا واسعا يحمل طراوة وجمالا يتذوقه المتدبر في السياق التركيبي الذي وردت فيه بعض نعوت الرسولﷺ .

ومن تلك المظاهر أسلوب الالتفات في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[الفتح: ٨ – ٩] ، فقد ورد النعت (الرسول) في سياق قرآني سعى الالتفات فيه إلى رسم صورة الانتقال من حال إلى حال ، إذ انتقل السياق من استعمال الضمير (الكاف) في(أرسلناك) العائد على الرسولﷺ إلى ضمير الغيبة في (رسوله) [2] ، ممّا ساعد في تحريك أذهان المخاطبين وخلق حركة ونشاط تفكيري يمكن لهم أن يدركوا من خلال ذلك الانتباه والإصغاء مقام الرسولﷺ فهو ليس مرسلا فحسب بل هو شاهد ونذير ومبشّر ، ولاسيّما إذا عرفنا أنّ غرض الالتفات العام هو الانتباه والإصغاء [3] ، فكان استعمال هذا الأسلوب مناسبا تماما مع نقلهم من الغفلة إلى حقيقة المعرفة التي تتوّج بتوقير الرسولﷺ ونصرته .

وقد كسر الاستفهام حاجز التعبير المباشر لينقلنا إلى رسم الواقع المرّ الملىء بمظاهر الهزو والاستهجان بدعوة الرسول ﷺ وينقلنا إلى الأجواء المحيطة بالرسول ﷺ، نلمح ذلك في وقوع النعتين (بشر ورسول) للرسولﷺ في سياق تعبيري ممزوج بالاستفهام غير الحقيقي في قوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ

---

(١) ينظر : الميزان : ٣٥٩/٩ .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٣/ ٣٣٢ .

(٣) ينظر:البرهان في علوم القرآن : ٣١٤/٣ ، والإتقان في علوم القرآن : ٢/ ٢٢٨ .

جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٤] ؛ لإثارة حالة من حالات الإنكار والتعجب ، فلم يكن الغرض من استفهامهم الحصول على فائدة مجهولة لدى السائل كما هو غرض الاستفهام الحقيقي (١) ، بل شع أسلوب الاستفهام الإنكاري (٢) في هذا المقام بتجلية حالة المعارضة الشديدة بفعل إنكار القوم ونَفْيهم حقيقة كون الرسول المبعوث بشرا مثلهم ، فنرى أنّ حالة التعجب والإنكار موجهة إلى مبدأ بعث البشر ، يؤكد ذلك وقوع الفعل (بعث) بعد أداة الاستفهام مباشرة في الآية السابقة ، أمّا في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[الفرقان: ٤١] فنلمس من التعبير القرآني توجّه الاستفهام غير الحقيقي إلى شخص الرسولOuP ، ولم يكن متوجها إلى الفعل (بعث) ، وكأنّ المقام يبين لنا حالة تسليم القوم بمبدأ بعثة الرسل من الخالق سبحانه ، لكنّ هناك شروطا ــ بزعمهم ــ ينبغي أن تتوافر في المبعوث مثل امتلاكه قدرات فوق قدرات البشر كتفجير الينابيع من الأرض والرقي إلى السماء أمام القوم وإتيانه بكتاب على مرأى ومسمع منهم ،كما في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ ، [الإسراء: ٩٠ - ٩٣] ، إذ لا يتناسب على وفق رؤاهم القاصرة أن يكون المبعوث شخصا منهم ، وإن كان من أعلاهم شرفا وخلقا .

ومن ثمّ كان العدول إلى استعمال اسم الإشارة (هذا) في سياق الاستفهام التعجبي والإنكاري لإثارة جوّ من التهكم والاستهزاء (٣) ، زيادة على ذلك حال القوم

(١) ينظر:التوقيف على مهمات التعاريف : ٥٩ ، والتعريفات : ٣٧ ، ورسالة الحدود، الرماني :٥

(٢) ينظر: صفوة التفاسير : ١٦٥/٢ ، وأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، عبد الكريم محمود يوسف :٧٨ .

(٣) ينظر: صفوة التفاسير : ٣٣٧/٢. .

التي أفصح عنها التعبير القرآني صراحة في قوله تعالى:﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ [الفرقان: ٤١] .

لقد كشف التعبير القرآني عن حالة التكبّر والخيلاء عند القوم الذين لم يكونوا ليتخلَّوا عن عقائدهم الباطلة والتسليم لما جاءهم به الرسولﷺ ، وذلك باستعمال أسلوب الاستفهام غير الحقيقي مع النعت (رجل) للرسولﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٧] ، فالرجل في الآية السابقة هو الرسول محمدﷺ[١] ، وفي استعمالهم الاستفهام بـ (هل) مع التكنية بنعت الرسولﷺ وعدم التصريح باسمه على الرغم من معرفتهم له دلالة على سعيهم الحثيث لتحقيق غرضهم التشكيكي ، إذ كشف هذا الأسلوب عن محاولاتهم الجادة والمستمرة في إخفاء حقيقة المُرسَل ، بإنزاله منزلة الإنسان المجهول استهزاء منهم و وغولا في التجهيل بالقداسة المحمدية [٢] .

فقد أثاروا عند الناس حالة إنكار المعاد ، وإنكار إمكانية الخلق من جديد بعدما تصبح العظام ترابا وتبلى ، الأمر الذي كان مسلّما لديهم ، فكان مدعاة لإنكارهم ما جاء به الرسولﷺ .

ويحقق أسلوب الاستفهام انزياحا عن دلالته الأساسية عند دخوله على النعت غير الصريح (المستغفر) للرسولﷺ في قوله تعالى:﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المنافقون: ٦] ،فقد خرج إلى دلالة التسوية في الحالين (الاستغفار وعدم الاستغفار) ، فكان التعبير القرآني مناسبا لحال الفاسقين الذين خرجوا عن دائرة الصلاح[٣] .

ويتأكد العدول في الدلالة الاستفهامية الواردة في الآية السابقة باستعمال أداة

---

(١) ينظر:الكشف والبيان:٨/ ٧٠، ومعالم التنزيل :٥٤٩/٣ ، وروح المعاني :١٠٩/٢٢،وتيسير الكريم الرحمن في كلام المنّان : ٦٧٥ ، والميزان : ٣٥٩/١٦ .

(٢) ينظر: الكشاف : ٣/ ٢٨١ ، والتفسير الكبير : ٢٥/ ٢٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٤/ ٢٦٣ ، وصفوة التفاسير : ٥٠٣/٢ ، وأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم : ١١٣ .

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم : ٢٥٣/٨ .

النفي (لن) الدالة على تأكيد النفي [١] مع الفعل المضارع (يغفر) الذي يحمل دلالة الاستمرار ،مما يؤكد ارتكاز فسق المنافقين ، ورسوخهم في الكفر والنفاق [٢].

وكان لأسلوب النداء الأثر البليغ في افتتاح الخطاب القرآني الموجّه إلى الرسولﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣] ،وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩] ، إذ نلحظ مجيء النعت غير الصريح (المجاهد) للرسولﷺ في سياق النداء الذي نبّه على الاهتمام الخاص بما يذكر بعده ، كما أضفى أسلوب النداء مزيد عناية على ذلك النعت .

ومن ثم تتحرك فاعلية النداء المتكرر في الآيتين السابقتين اللتين تماثلتا في كل شيء مما أدّى إلى خلق صورة واضحة ، تشع بظهور وظيفة الرسولﷺ في بذل غاية ما يتوافر لديه من جهد في مقاومة الكفار والمنافقين .

فالجَهد لغة أصله المشقة [٣] ، أو بذل الوسع والطاقة [٤]، والجهاد دال على بذل الطاقة واستفراغ ما في الوسع لدفع العدو ، أو محاربته [٥] ، وفيه دلالة الجد في عمل الشيء والمبالغة فيه لبلوغ الغاية (٦).

إذن للجهاد معنى واسع يشمل مطلق ما يبذل من جهد في مقاومة الكفار وقتالهم، ويدل على هذا المعنى مجيء الأمر بالغلظة عليهم في قوله تعالى : (واغلظ عليهم) ، فالغلظة هي التشديد والمعاملة بخشونة ، أما جهاد المنافقين فهو مقاومتهم حسب ما تقتضيه المصلحة ، فقد تقتضي المصلحة في هجرهم وعدم مخالطتهم ومعاشرتهم ، وقد تقتضي وعظهم باللسان ،وقد تكون بإخراجهم وتشريدهم إلى غير

---

(١) ينظر : الكليات : ٤١٠ .
(٢)ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٥٣/٨ .
(٣)ينظر : العين (جهد) : ٣٨٦/٣ ، ومعجم مقاييس اللغة(جهد) : ٤٨٦/١ .
(٤)ينظر :المصباح المنير(جهد) : ١١٢ .
(٥)ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (جهد) : ٢٠٨ .
(٦)ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣١٩/١ .

الأرض،أو غير ذلك(١).

إنّ اختصاص نداء الرسولﷺ بحرف النداء (يا) المتبوع بلفظة (أيّها) يثير دلالة تأكيدية على دوام التيقظ لامتثال الأوامر الإلهية ، فالنداء بهذا الشكل فيه توكيد ومبالغة في الالتفات والعناية بشيء له أهمية خاصة يُطرح بعد النداء (٢) ، نلمح ذلك في بروز عظمة النعت (النبيّ) التي أسبغها عليه أكّدها وشدّد عليها افتتاح التعبير القرآني بصيغة النداء (يا أيّها) في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] ، إذ كان ((تصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وإيراده ﷺ بعنوان النبوة للإشعار بعليتها للحكم)) (٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ ﴾ [الطلاق: ١] ، فقد كان تخصيص الخطاب بالرسولﷺ وعمومه لأمّته إلماحا إلى بيان عظمة الرسولﷺ ، وإبراز جلالة قدره (٤) .

ونجري مع الأثر الدلالي الذي تركه أسلوب النداء على النعت غير الصريح (المتّقي) للرسولﷺ المأخوذ من الفعل (اتّق) في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١] ، فقد جلبت صيغة النداء (يا أيها) في مفتتح الآية السابقة توكيدا وتنويها بأهمية الثبات على تقوى الله تعالى ، فالتقيّ لغة من (وقى) الدال على الصون والحفظ (٥) ، تقول : : وقيت نفسي ، أي صنتها وسترتها عن الأذى (٦) ، وقد استعمل فعل الأمر (اتّق)

---

(١)ينظر : الميزان : ٣٣٩/٩ .
(٢)ينظر : الكشاف : ١٢١/١ ، والإتقان في علوم القرآن : ٧٥/٢ .
(٣) إرشاد العقل السليم : ٣٣/٤ .
(٤) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ٤/ ١٢٥ .
(٥) ينظر : المصباح المنير (وقي) : ٦٦٩ .
(٦) ينظر : لسان العرب (وقي) : ٤٠١/١٥ .

للدلالة على ثبات الرسولOuP ومداومته على تقوى الله سبحانه وتعالى (١) .

إنّ شمول الرسولOuP بخطاب التقوى فيه دلالة على أنّ هناك منطلقات وأسساً ثابتة يعمل الأداء التعبيري على ترسيخها في الأذهان ، ومن ثمّ نلحظ أنّ ((الأسلوب القرآني ينطلق في مخاطبة الأمة من خلال توجيه الخطاب للنبي للإيحاء بأنّ القمة والقاعدة سواء في الالتزام بخط المسؤولية العامة في الإسلام))(٢) .

وللكشف عن أثر التعبير القرآني في دلالة النعوت ، نقف عند النعت (رسول الله) الذي ورد في سياق أسلوب النداء في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، إذ أشار النداء منذ بداية التعبير إلى عموميّة الدعوة المحمّديّة ، وذلك بانتقاء لفظة (الناس) ، فلم يخصص المؤمنين أو المسلمين إنّما كان الخطاب موجّها إلى الناس جميعهم ، ثمّ ركّز ذلك المعنى في نفوسهم باجتماع التوكيد (إنّي) مع لفظة (جميعا) في الآية السابقة ، فالآية ((تصرح في غير إبهام ولا غموض بأنه OuP أعلن عن دعوته العالمية منذ البداية)) (٣) .

ومن الأساليب التعبيرية الأخرى التي كان لها الوقع الكبير في قلب السامع ذلك البناء الهندسي المتدرج الذي وردت في تراكيبه بعض نعوت الرسولOuP فكانت غاية في الروعة والجمال ، كما نلحظ ذلك في النعت (اللّيّن) للرسولOuP ، إذ وقع هذا النعت مقدّمة لكلام يأتي بعده يشتمل على نعوت أخرى هي (العفوّ ، المستغفر ، المشاور، المتوكّل) ، فكان ديباجة تُشعر بالتكريم والتلطّف مع الرسولOuP في قوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) ينظر: إعراب القرآن : ٣١٧/٥ ، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٨٥٧/٢ .
(٢) تفسير من وحي القرآن : ٢٦١/١٨
(٣) الأمثل : ٢٥٥/٥ .

يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران: ١٥٩] ، كما حمل هذا التمهيد الجميل ثناء كبيرا على الرسولOuP ، وكذلك حمل هذا الأسلوب تحذيرا ضمنيا من أمر غير واقع حتما وهو الفظاظة وغلظة القلب [١]، إذ ورد في الآية السابقة :﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

ومن ثمّ نلحظ أنّ اجتماع التلطف والتكريم مع التحذير الضمني صار تمهيدا رائعا ومقدمة لتوجيه التكليف لرسوله في الخطاب الإلهي:﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

ولنا أن نلمس تمهيدا آخر في أسلوب قرآني وردت فيه النعوت (الرسول ، التالي ، المزكّي ، المعلّم) للرسولOuP في قوله تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران: ١٦٤] ، فقد كان صدر الآية السابقة تمهيدا أدى إلى تهيئة النفوس في إدراك حقيقة النعمة الإلهية الكبرى المتمثلة ببعثة الرسولOuP إليهم ، وقيامه بهدايتهم ، وإنقاذهم من الضلال ، والعمل على نجاتهم من المتاهات ، وتلك نعمة لا توازيها نعمة ، إذ يتضاءل أمامها كل مجهود [٢] .

وذِكرُ المنّة الإلهيّة لهذه البعثة المباركة من أجمل المقدّمات التي حملت إجابة على ما خالج أذهان بعضهم من استنكار لما أصابهم من انتكاسة في أعمالهم الجهادية [٣] بأسباب لم تكن من غيرهم،بل كانت من عند أنفسهم،كما في الآية الكريمة التي وردت مباشرة بعد الآية السابقة:﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[آل عمران:١٦٥] .

---

(١) ينظر:البلاغة العربية ، عبد الرحمن حسن حبَنَّكة : ٥٧ .

(٢)ينظر:الأمثل : ٢/٧٦٥ــ ٧٦٦ .

(٣) ينظر:الأمثل : ٢/٧٦٥ــ ٧٦٦ ، والبلاغة العربية : ٥٧ .

ويمكن لنا أن نتتبع أسلوبا تعبيريا آخر برز فيه التدرج في التعبير القرآني في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١] ، فقد ورد النعت (الرحمة) للرسولﷺ في الآية السابقة بعد عقد التمهيد الذي أظهر أنواع الأذى الذي كان يواجهه الرسولﷺ من المنافقين ، ومنه الأذى القولي ، وذلك بإطلاقهم الوصف (أذن) ، ثم يتولّى الحق تعالى الدفاع عن رسوله على دفعات متتالية كل واحدة منها تمثل خسارة كبيرة لهم وردّاً حاسماً على ذلك الأذى ، فأظهر الخالق عز وجل مستوى ما كان يحمله الرسولﷺ من خلق شمل مراعاة من يأتيه بخبر واحترامه ، فلا يسيء الظن به ولا يهتك حرمته، فيستمع إليه ويحمل قوله على الصحة ، ولكن لا يرتّب عليه أثر الخبر المطابق للواقع [١] ،ونلحظ أنّ التعبير القرآني في الآية السابقة يقوم بالدفاع عن الرسولﷺ بأسلوب هادئ ، ذكر فيه ركيزة الإيمان التي تمثل منطلقا لكل شيء في قوله تعالى : (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) ، فذكر المتعلق (بالله) ولم يذكر المتعلق مع الفعل الآخر المماثل ، وإنما خصّص بقوله :(للذين آمنوا) ؛ لينبه على أنّ المنتفع الحقيقي من التصديق هم المؤمنون ليس غير [٢].

وعلى وفق هذا البيان نعرف أن هناك طريقين وأسلوبين في عمل الرسولﷺ :

الأول : الحفاظ على الظاهر ،وعدم هتك حرمات الآخرين وفضح أسرارهم .

والثاني : تأمين مصالح المجتمع ، وذلك بعدم الاعتناء بكل ما يسمع ، فلم يكن يقبل إلا الأوامر الإلهية وما يطرحه المؤمنون المخلصون[٣] .

---

(١)ينظر:الميزان : ٣١٤/٩ .

(٢)ينظر :الميزان : ٣١٤/٩ .

(٣)ينظر:الأمثل :١٠٣/٦ .

فهذا من روائع البناء التعبيري المتدرّج في بيان شأن الرسولﷺ ، وبيان شأن المؤمنين ؛ ثمّ الإتيان بالنعت (رحمة) وتخصيصه (للمؤمنين) .

ولابدّ من البيان بأنّ تخصيص النعت السابق بالمؤمنين لا يتعارض مع إطلاقه في موضع آخر ،إذ استعمل مع العالمين في قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] ؛ وذلك لاختلاف مراتب الرحمة من جهة ، ولاختلاف المعنى المقصود من الرحمة في الموضعين السابقين .

فالرحمة التي خصّصت بالمؤمنين هي الرحمة الفعلية ، أي إنّ الرسولﷺ رحمة لمن كان قد عرف حقيقة الإيمان ، فأنقذه الله تعالى على يد رسوله الكريمﷺ من الضلالة ودلّه على طريق السداد والنعيم وختم له بالسعادة ، أما الرحمة التي أطلقت مع لفظ (العالمين) فهي الرحمة الشأنيّة ، فالرسولﷺ رحمة للبشر جميعهم ، لكنّ هناك فارقا بين من له الاستعداد للاستفادة من هذه الرحمة وبين من استفاد فعلا منها ، وعلى وفق ذلك يكون الرسولﷺ رحمة للعالمين بالقوة ، ورحمة للمؤمنين بالفعل[١] .

ولا يخفى الأثر البليغ في دلالة نعوت الرسولﷺ الذي تحدثه الصيغة التي وردت عليها تلك النعوت ، يتجلّى ذلك في مجيء بعضها على صيغة المبالغة (فعول) الدالة على الكثرة [٢] وانتقالها في الاستعمال القرآني من الدلالة على الكثرة والمبالغة إلى الدلالة على الدوام وعدم الانفصال ، فقد وظف اشتراك الوزن بينهما أيما توظيف في إبراز ما كان يتمتع به الرسولﷺ من تكامل في تلك النعوت ، أي إنّنا نلحظ في بعض تلك النعوت صيغة مبالغة في ظاهرها اللفظي ، وفي الوقت نفسه نلحظ أنها تشمل دلالة الصفة المشبهة وهي الثبوت والديمومة [٣] ؛ إذ لا يمكن تصور انفصال تلك النعوت عن رسول اللهﷺ ، ويُعد ذلك من رفيع الأسلوب القرآني في استعمال الألفاظ ، فالنعت (رؤوف) للرسولﷺ في قوله تعالى :﴿

(١) ينظر :المصدر السابق :١٠٤/٦ .
(٢) ينظر: الكليات : ١٠٠٣ .
(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٧١/١ .

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٢٨] ، لا تقتصر دلالته على الرأفة في مواقف من دون أخرى ، إذ لا يصح ذلك بحق الرسولﷺ ؛ إذن فهو رؤوف في الأحوال جميعها دونما تبعيض .

وورد النعت (رؤوف) ورد على وزن (فعول) ، وهي صيغة مبالغة دالة على الكثرة[١] ، ويمكن لها أن تكون صفة مشبهة ، إذ قد تأتي الصفة المشبهة على وزن (فعول) كوقور وطهور[٢]، فهو وزن مشترك بينهما ، وفي ذلك ملمح دلالي يؤكد ثبات الرأفة ودوامها للرسولﷺ ، زيادة على ذلك شعّ هذا النعت ببيان المنزلة التي بلغها الرسولﷺ ، فقد اختص وتفرد من بين الأنبياء جميعا بهذه السمة[٣].

ويتجلى توظيف اشتراك الوزن في إبراز درجات التكامل في النعت (الرحيم) للرسولﷺ ، إذ ورد في الآية السابقة على وزن (فعيل) وهو وزن مشترك بين صيغة المبالغة والصفة المشبهة ، فدلّ على تكرير الرحمة من الرسولﷺ وثبوتها له .

ويبدو أنّ هذا التحول في أوزان الصيغ من وزن لآخر أبرز أثرا جماليا في التعبير القرآني [٤]،زيادة على توكيد الفيوضات الإلهية على الرسولﷺ .

---

(١) ينظر: الكليات : ١٠٠٣ ، وشذا العرف في فن الصرف ، أحمد الحملاوي : ١٢١ .

(٢) ينظر: الشافية ، ابن الحاجب : ٢٥ ،، وجامع الدروس العربية ، الغلاييني : ١٩٠/١ .

(٣) ينظر: صفحة (٢) من هذه الرسالة .

(٤) ينظر:جمالية تحول الوحدة الصرفية لدى النحاة والبلاغيين ، د. سامي عوض وعادل نعامة ،مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية ،مج (٢٨) ع (١): ٥ .

الخاتمة

الخاتِمة
(خلاصة بأهم نتائج البحث)

بعد رحلة طويلة مع الآيات القرآنية التي شملت نعوت الرسول محمدﷺ، نصل إلى خاتمة البحث ونتائجه ،إذ بعد التدبر في تلك النعوت وأثر السياق في في تحديد دلالتها ،أمكننا التوصل إلى النتائج الآتية :

- إنّ دراسة دلالات نعوت الرسولﷺ في القرآن الكريم ، وبيان ما ألمعَت إليه يمكن أن تفتح الباب إلى دراسات جديدة تتناول الرسل والأنبياء الآخرين ، ومن ذلك على سبيل المثال دراسة نعوت الأنبياء الواردة في القرآن الكريم.
- تنتمي نعوت الرسولﷺ إلى فئتين ،الأولى صريحة دلّت على النعت من دون اشتقاق من لفظها ،مثل (البشير، النذير، المخلص ،العبد) ،والثانية غير صريحة ، ثبتت نعتا للرسولﷺ عن طريق الإسناد الفعلي في أغلب مواضعها ،مثل : النعت (الآمر) من الفعل (يأمرهم) ، و(واضع الإصر) من الفعل (يضع عنهم إصرهم) .
- نعوت الرسول غير الصريحة أكثر من النعوت الصريحة ؛لأنّ النعوت التأويلية التي تقع من ضمن غير الصريحة تكاد لا تقف عند حد ، فكل كمال هو نعت دال على الرسولﷺ .
- تقسَّم نعوت الرسولﷺ الصريحة وغير الصريحة من حيث انتماؤها إلى حقل دلالي يجمع كل طائفة منها على أقسام متعددة ،مثل الوظيفية ،والحالية ، والتنزيهيّة ،والخلقية .
- اتّسمت دلالة نعوت الرسولﷺ بعمقها الدلالي ، وإيحاءاتها المتنوعة ، فقد شملت ما دلّت عليه معاجم اللغة وتجاوزته بإشعاعاتها الدلالية،مثل :النعت (الأمّيّ) للرسولﷺ ،فقد تكثفت فيه دلالات متعددة يمكن أن يصلح لها جميعا

- أسهمت الصيغ التي وردت عليها نعوت الرسولOuP الصريحة في إبراز دلالات خاصة بتلك النعوت ، ومن تلك الصيغ فعيل وفاعل ومفعِّل التي ورد على وزنها النعوت (بشير ، وشاهد ، ومذكّر).
- أظهرت دلالات بعض نعوت الرسولOuP جوّاً من المواجهة برز فيه تحدّي الرسولOuP للقوم المعاندين ، كما في النعت (العامل) للرسولOuP الذي كشف عن عقيدته اليقينية الراسخة ، وأثارَ اطمئنان الرسولOuP بخاتمة الصراع لصالح المؤمنين وتلك سنة إلهيّة لابد أن تتحقق.
- كان إطلاق نعوت الرسولOuP في مواضع وعدم تقييدها مشعراً بانفتاح النعت واستمراره وشمولية جميع البشر فلم تقتصر دلالة بعض النعوت على المؤمنين فقط ، بل شملت المؤمنين وغير المؤمنين.
- كان لمجيء نعوت الرسولOuP في سياق النداء الأثر الكبير في إثارة دلالة التعظيم والتشريف الذي حظي بها الرسولOuP ، كما في صيغة النداء (يأيها) التي وردت مع النعوت (النبي،الرسول،المدّثّر ،المزّمّل) ، إذ لم يُنادَ باسمه في مواضع القرآن جميعها.
- أظهر تناول نعوت الرسولOuP ضمن حقول دلالية كثرة النعوت الوظيفية إذا ما قورنت بالنعوت العبادية والخلقية والحالية وبقية الحقول الأخرى ، وفي ذلك إشارة إلى المهام المتعدّدة التي قام بها الرسولOuP.
- دلالة نعوت الرسولOuP على مقاماته التي وصل إليها ، من ذلك مقام الاطمئنان ومقام العبودية ومقام الخاتمية ومقام الشفاعة والرضا إلى غيرها من المقامات الأخرى.
- هناك نعوت تطوّرت واتسعت في دلالتها ،إذ لم تقتصر على دلالتها المعجمية ،فقد أكسبها السياق دلالة أوسع ،كما نلحظه في النعت (اليتيم)OuP الذي انطلق من دلالته على اليتم وهو فقد الأب إلى دلالة شعّ فيها التشريف والتكريم كونه فريدا لا نظير له من المخلوقين ، وكذلك النعت (الشاهد)OuP فقد تطور عن معناه واتسع ليشمل اطلاعه المطلق بإذن الله زمانا ومكانا .

- تعدد نعوت الرسولOuP من أظهر الدلائل على تشريفه وإظهار علو مقامه عند ربه سبحانه ،إذ كما أنّ تعدد الأسماء يفضي إلى كرامة وشأن الإنسان فكذلك تتعدد التي تظهر بشكل لا لبس فيه خصائص انفرد بها دون باقي الأنبياء والرسل عليهم السلام مثل:المصلّى عليه ،المسلَّم عليه ،المؤيَّد،المنصور،الفاتح .

- للقصر والنداء والإضافة وباقي الأساليب التعبيرية دلالة معنوية ،أفضت إلى بيان جمالية نعوت الرسولOuP في التعبير القرآني ، فقد أوضح الباحث أثر تلك الأساليب في معالجة الشبهات كما في النعت (البشر) للرسولOuP ، كما أنّ القدرة الفنيّة لبعض النعوت عملت على توسيع دلالة النعت ونقله من التخصيص إلى الشمول ، مثال ذلك النعت(المطّهر)للرسولOuP في قوله تعالى :﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤] .

- استطاع الأداء الصوتي في بعض نعوت الرسولOuP أن يرسم صورة ملائمة لدلالة النعت في لسياق الذي يرد فيه ، كما في المواضع التي عالجناها مع النعوت (المدثر،المزّمل، المتبتّل) .

- وقوع بعض نعوت الرسولOuP فاصلة قرآنية كان له أثر في إبراز دلالة تناسب الموقف ، كما في النعوت (المدثر،المنذر،المكبّر،المطّهّر) .

- لم يجمل التعبير القرآني نعتا ويجعله شاملا لمكارم الأخلاق والسجايا الفاضلة كما جمع للرسولOuP في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]

- لاحظ الباحث عند دراسة النعوت التنزيهية أنّها شعّت بدلالة اختص بها الرسولOuP ،إذ تكفّل الخالق عزّ جلّ دفع التهم الموجهة إلى الرسولOuP ،

كما في النعت (غير مجنون) في قوله تعالى:﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم:٢]

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢] في حين ورد الذبّ عن باقي الأنبياء Οβ∏ على لسانهم أنفسهم في التعبير القرآني ،إذ يمكن لنا أن نلحظ ذلك على لسان نوح Ογ∏ في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦١] .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق: سعيد المندوب ، دار الفكر، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : د.عبد الصبور شاهين ، نشر: مكتبة الخانجي ــ القاهرة،الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م .
- الإحكام في أصول الأحكام : العلامة علي بن محمد الآمدي(ت٦٣١هـ)،تعليق :العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ .
- أحكام القرآن : أبو بكر بن علي الرازي الجصاص(ت٣٧٠هـ) ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٤٠٥هـ .
- أحكام القرآن :أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي(ت٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان، د.ت
- أحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(ت٢٠٤هـ) ، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٠هـ
- إحياء علوم الدين:أبو حامد محمد بن محمد الغزالي،دار المعرفة،بيروت ،د.ت .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،د.ت .
- الأزمنة في اللغة العربية : فريد الدين آيدن ، دار العِبَر للطباعة والنشر ، إسطنبول ، ١٩٩٧م .
- أساس البلاغة : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار الفكر، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م .
- أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(٤٦٨هـ) ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه ،القاهرة ،١٩٦٨م .

❖ الاستيعاب في معرفة الأصحاب :أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٤٦٣ هـ) ،تحقيق : علي محمد البجاوي ،دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
❖ أسرار البيان في التعبير القرآني : د .فاضل صالح السامرائي ،دار الفكر ،عمان ـ الأردن ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ـ ٢٠٠٩م .
❖ أسرار التكرار في القرآن : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق : عبد القادر احمد عطا، الناشر : دار الاعتصام ـ القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ
❖ الإسلام منهج حياة : فيليب حتي ، نقلا عن كتاب: الرسول صلى الله عليه و آله وسلم في عيون غربية منصفة ،: حسين حسينى معدى ، دار الكتاب العربى ، دمشق ،الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .
❖ الإسلام والأدب:د.محمود البستاني،ستارة،قم،الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ_ ٢٠٠١م
❖ أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم : عبد الكريم محمود يوسف ، الناشر:المؤلّف ،مطبعة الشام ،الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
❖ الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: محمد بن علي بن محمد الجرجاني(ت بعد ٧٢٩هـ) ،تعليق:إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت ـ لبنان، د.ت.

❖ الاشتقاق : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢٣هـ) ، تحقيق : د. عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .
❖ الأصفى في تفسير القرآن : المولى محمد محسن الفيض الكاشاني(١٠٩١هـ)، تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، المحققان : محمد حسين درايتي محمد رضا نعمتي ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ـ إيران ،الطبعة الأولى ،١٤١٨هـ
❖ إصلاح المنطق : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكّيت(٢٤٤هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ،الطبعة الرابعة ، ١٩٤٩م .

❖ الأصوات اللغوية :د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ،١٩٧١م .
❖ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي(١٣٩٣هـ) ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
❖ إعجاز القرآن : أبو بكربن الطيّب بن محمد جعفر بن القاسم الباقلاني(٤٠٣هـ) : تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد الحيدري ، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ـ لبنان ،الطبعة الأولى ،د.ت .
❖ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (٣٧٠هـ) ،دار التربية للطباعة ، بغداد ـ العراق ،د.ط.د.ت .
❖ إعراب القرآن : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: د.زهير غازي زاهد ، دار النشر: عالم الكتب ، بيروت ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .
❖ إعراب القرآن : أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني (ت قبل ٥٠٦هـ)، تقديم وتوثيق:د. فائزة بنت عمر المؤيد ، المكتبة لوطنية ، الرياض ، الطبعة الأولى،١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م .
❖ أعلام النبوة : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ م .
❖ الأقسام في القرآن : الشيخ جعفر السبحاني ،مطبعة الاعتماد ، نشر مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، قم ـ إيران ، الطبعة الأولى ،١٤٢٠هـ .
❖ الأمالي الشجرية :أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي المعروف بابن الشجري (ت٥٤٢هـ)،مطبعة دائرة المعارف العثمانية ،حيدر آباد الدكن ،الطبعة الأولى،١٣٤٩هـ ـ ١٩٢٨م .
❖ إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي

(ت٨٤٥هـ) ، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤٢٠ ه ــ١٩٩٩ م

❖ أمثال القرآن : آية الله ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الإمام على بن أبي طالب(عليه السلام) ،قم ــ إيران ،د.ت .

❖ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل :الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ ،مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .

❖ إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن :أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ) ،دار الكتب العلمية ،بيروت ــ لبنان ،١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .

❖ الإنصاف فيما تضمنه الكشاف : ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي(٦٨٣هـ) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ،الطبعة الأخيرة ، ١٣٨٥ ه ــ ١٩٦٦ م .

❖ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي(٦٩١هـ) ، دار الفكر ،بيروت ــ لبنان ، د.ت .

❖ أنوار الربيع في أنواع البديع ، ، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، تحقيق وترجمة الشعراء: شاعر هادي شاكر، مطبعة النعمان، النجف، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

❖ أنوار النبي OuΠ وأسرارها وأنواعها : عبد الحق بن سبعين مرسي (٦٩٩هـ) ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ــ مصر ،الطبعة الأولى ،١٤٢٨هـ

❖ أوزان الفعل ومعانيها : هاشم طه شلاش ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ،١٩٧١م .

❖ الإيضاح في علوم البلاغة: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القزويني(٧٣٩هـ)، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ــ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م .

❖ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الحجة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ) ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

❖ البحث البلاغي في تفسير الميزان : د. حيدر هادي أحمد ، ديوان الوقف الشيعي ،بغداد ــ العراق ، الطبعة الأولى ،١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م .
❖ البحث النحوي عند الأصوليين : د. مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد للنشر ،بغداد ١٩٨٠م .
❖ بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : أ.د . فاخر هاشم سعد الياسري ،دار ومكتبة الحامد ،عمان ــ الأردن ، الطبعة الأولى ،١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م .
❖ البدء والتاريخ : المطهر بن طاهر المقدسي، دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد د.ت .
❖ البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم البحرانى(ت ١١٠٥هـ) ، مؤسسة البعثة ، طهران ــ إيران ،الطبعة الأولى ،١٤١٦هـ .
❖ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار أحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م
❖ البصائر : يعسوب الدين ريستكار جويباري ، المطبعة الإسلامية ، قم ،١٤١٣هـ .
❖ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي(ت ٨١٧هـ) ،تحقيق:محمد علي النجار ،لجنة إحياء التراث الإسلامي ،القاهرة ،جـ ١ ،٢، ٣ ١٤١٦هـ ــ١٩٩٦م،جـ٤ ،٥ :١٤١٢هـ ــ١٩٩٢م،جـ٦: ١٣٩٣ هـ ــ١٩٧٣م .
❖ البلاغة الصوتية في القرآن : د. محمد إبراهيم شادي ، الرسالة ،مصر ، الطبعة الأولى ،١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م .
❖ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : عبد الرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني ، دار القلم ــ دمشق ،الدار الشامية ــ بيروت ، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م . .
❖ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة :محمد بن يعقوب الفيروآبادي (٨١٧هـ) ،تحقيق :محمد المصري ،جمعية إحياء التراث الإسلامي ،الكويت،الطبعة الأولى ،١٤٠٧هـ.

❖ بيان السعادة في مقامات العبادة : الحاج سلطان محمد الجنابذي (ت ١٣٢٧هـ) ، مطبعة جامعة طهران ، الطبعة الثانية ،١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٤م .
❖ البيان في تفسير القرآن : السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (١٤١١هـ)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .
❖ البيان في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ،دار الفكر العربي ،القاهرة ـ مصر ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .
❖ بينات الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم و معجزاته): عبد المجيد زندانى ،الناشر: دار الإيمان ، القاهرة . د.ت .
❖ تاج العروس من جواهر القاموس :السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)،تحقيق:علي شيري ،دار الفكر،بيروت،١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
❖ تاريخ ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م .
❖ تاريخ القرآن الكريم : محمد طاهر الكردي ، مطبعة الفتح ، جدة ـ الحجاز ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦ م .
❖ التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري(٦١٦هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوى ، إحياء الكتب العربية ، د.ت .
❖ التبيان في أقسام القرآن : أبو عبد الله محمد بن ابي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، دار الفكر ،لبنان ،د.ت .
❖ التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠هـ) ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ،١٢٠٩هـ .
❖ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (١٣٩٣ هـ) ، دار سحنون ،الطبعة التونسية ،١٩٩٧م .
❖ التحقيق في كلمات القرآن الكريم :الشيخ حسن مصطفوي (١٤٢٦هـ)،وزارة الإرشاد ، طهران ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .

❖ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : د.محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ــ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م .
❖ تخريج الأحاديث ،الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد (ت ٧٦٢هـ) ، دار ابن خزيمة ،الرياض ، الطبعة الأولى ،١٤١٤هـ .
❖ التسهيل لعلوم التنزيل : أبو عبد الله محمد المدعو بالقاسم ابن أحمد بن محمد بن جزى الكلبي (ت ٧٤١هـ) ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م .
❖ التشبيه والاستعارة (منظور مستأنف) : د.يوسف أبو العدوس ،دار المسيرة للنشر ،عمان ــ الأردن ،الطبعة الثانية ، ١٤٣٠هـ ــ ٢٠١٠م .
❖ التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ،مصر، الطبعة السادسة عشرة ،١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م .
❖ تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم : د.محمد حسين علي الصغير، جامعة الكوفة ــ النجف الأشرف .د.ت .
❖ التعبير الفني في القرآن الكريم : د.بكري الشيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ م .
❖ التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت ٨١٦ هـ)، تحقيق:إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
❖ تفسير ابن أبي حاتم الرازي(٣٢٧هـ)، تحقيق : أسعد محمد الطيب،المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ،د.ت .
❖ تفسير ابن زمنين:أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين(٣٩٩ هـ) ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ،مطبعة الفاروق الحديثة ،القاهرة ــ مصر ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٢ م .
❖ تفسير ابن العربي (ت ٦٣٨هـ)، ضبطه وصححه وقدم له :الشيخ عبد الوارث محمد علي،دار الكتب العلمية ،بيروت ــ لبنان،،الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١م .

❖ تفسير أسماء الله الحسنى : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ــ دمشق ، ١٩٧٤م .
❖ تفسير البحر المحيط : أبو حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ) ،تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية ، لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
❖ التفسير البياني : د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ،د.ت .
❖ تفسير الثوري : أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ) ،تصحيح وترتيب: لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ ه ــ ١٩٨٣ م
❖ تفسير الحبري : أبو عبد الله الكوفي الحسين بن الحكم بن مسلم الحبري(٢٨٦هـ) ، مؤسسة آل البيت Oβ∏ لإحياء التراث،الطبعة الأولى ،١٤٠٨هـ .
❖ تفسير سورة الحمد : السيد محمد باقر الحكيم ، الناشر : مجمع الفكر الإسلامي، قم ــ إيران ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
❖ تفسير سورة الناس : السيد جعفر مرتضى العاملي ، المركز الإسلامي،بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م .
❖ التفسير الصّافي : المولى محسن الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)تصحيح:الشيخ حسين الأعلمي ،مؤسسة الهادي ،قم المقدسة ،الطبعة الثانية ،١٤١٦هـ .
❖ تفسير العز بن عبد السلام :عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي،(ت٦٦٠هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم ــ بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٦م.
❖ تفسير القرآن : عبد الرزاق بن همام الصنعاني(ت ٢١١هـ) ، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد ، دار النشر: مكتبة الرشد ــ الرياض ،الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
❖ تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت ٧٧٤ ه) دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ــ لبنان ، ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢ م .

❖ تفسير القرآن الكريم : السّيّد عبدالله شُبّر (ت١٢٤٢هـ) ، راجعه : الدكتور حامد حفني داود ، مطبعة السيد مرتضى الرضوي ،القاهرة مصر ، ط٣ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
❖ تفسير القرآن الكريم : السيد مصطفى الخميني(ت ١٣٩٨ هـ) ،تحقيق ونشر : مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ، مطبعة مؤسسة العروج ، إيران ، الطبعة الأولى ،١٤١٨هـ .
❖ تفسير القرآن الكريم : صدر المتألهين محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ) ، بيدار ، قم ـ إيران .د.ت .
❖ تفسير القران الكريم المسمى (بحر العلوم) : أبو الليث نصر بن محمد بن احمد ابن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٨٣ هـ) ، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان،د.ط ،د.ت .
❖ تفسير القرآن المسمى تفسير السمعاني :أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٩ هـ) ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ،مطبعة دار الوطن ، الرياض ـ السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
❖ التفسير القرآني للقرآن : د.عبد الكريم الخطيب ،دار الفكر العربي ،د.ت
❖ تفسير القمي :أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت٣٢٩هـ) ، تصحيح :السيد طيب الموسوي الجزائري ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ،قم ـ إيران ،الطبعة الثالثة ،١٤٠٤ هـ .
❖ التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة الثالثة ،١٩٨١م .
❖ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن أبي علي التميمي الرازي الشافعي(ت٦٠٤هـ) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
❖ التفسير لكتاب الله المنير : محمد الكرمي ، قم ، المطبعة العلمية ،١٤٠٢هـ .
❖ تفسير مقاتل بن سليمان (ت١٥٠ هـ) ، تحقيق : أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م .

❖ تفسير من وحي القرآن :آية الله العظمى محمّد حسين فضل الله ، دار الزهراء ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثالثة ، د.ت .
❖ تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ) ، تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار ، دار النشر : دار النفائس ــ بيروت ٢٠٠٥.
❖ تفسير نور الثقلين : الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ــ إيران ، الطبعة : الرابعة ١٤١٢ هـ
❖ تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الحسيني الشيرازي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤٠٠هـ .
❖ تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف Ογ∏، دراسة تحليلية في التركيب والدلالة : د. حسن عبد الهادي الدجيلي ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٥م .
❖ التمهيد في علم التجويد: شمس الدين محمد بن الجزري(ت ٨٣٣هـ) ،تحقيق:د.غانم قدوري الحمد،مؤسسة الرسالة،بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م .
❖ التمهيد في علوم القرآن : محمد هادي معرفة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٤هـ .
❖ التناسق البياني لكلمات القرآن الكريم : عبد الدائم الكحيل ،موسوعة الإعجاز في القرآن والسنة ، جمع وإعداد : الباحث : علي بن نايف الشحود .
❖ التنبيه والرد : أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي ، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م
❖ تهذيب اللّغة : أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ط١ ،٢٠٠١م .

❖ تهذيب معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق إبراهيم السّري المعروف بالزجاج (ت ٣١١هـ) ، تهذيب وتعليق : الشيخ عرفان بن سليم العشا حسّونة الدمشقي ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م .
❖ التوقيف على مهمات التعاريف :محمد عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر،دار الفكر بيروت، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .
❖ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ) ، تحقيق: ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م .
❖ جامع الأخبار ،أو معارج اليقين في أصول الدين : الشيخ محمد بن محمد السبزواري، من أعلام القرن السابع الهجري ، تحقيق: علاء آل جعفر،مؤسسة آل البيت Oβ∏ لإحياء التراث ،قم ،الطبعة الأولى ،١٤١٠هـ ــ ١٩٩٣م .

❖ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري):الإمام أبو جعفرمحمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)،ضبط وتوثيق:صدقي جميل العطار،دار الفكر،بيروت،١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
❖ جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، مراجعة وتنقيح : د. عبد المنعم خفاجة ، المكتبة العصرية ،صيدا ــ بيروت ،الطبعة الثامنة والعشرون ،١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م .
❖ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ) ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١ م .
❖ الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري (ت ٦٧١هـ)،تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي،بيروت ــ لبنان،الطبعة الثانية،١٤٠٥هـ١٩٨٥م .

❖ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة :محمود صافي ،إشراف :اللجنة العلمية بدار الرشيد ،مطبعة أسوة ،طهران ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ هـ .
❖ الجديد في تفسير القرآن: الشيخ محمد السبزواري النجفي (ت١٤١٠ هـ)، دار التعارف للمطبوعات ،الطبعة الأولى ،١٤٠٢ هـ .
❖ جمهرة أشعار العرب : أبو زيد القرشي ، تحقيق: عمر فاروق الطباع ، دار النشر: دار الأرقم ـ بيروت، د.ت .
❖ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية:تحقيق:علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني ، مصر .(د.ت) .
❖ جوامع الجامع:الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨ هـ) ،تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ـ إيران ، الطبعة الأولى ،١٤١٨ م .

❖ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار المعرف ـ مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٠٠م .
❖ جواهر البحار من فضائل النبي المختار: يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني (ت١٣٥٠هـ)،ضبط وتصحيح: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان ،الطبعة الأولى ،١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
❖ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد الهاشمي ، إسماعيليان ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
❖ الجواهر الحسان في تفسير القرآن :أبو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي (ت ٨٧٥هـ) ، تحقيق : الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد لموجود ، بيروت ـ لبنان ، دار إحياء التراث العربي ،الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .
❖ حقائق التأويل : الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) ، تحقيق : محمد رضا آل كاشف الغطاء ، دار المهاجر للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ،د.ت

❖ حقائق التفسير المسمى (تفسير السلمي) :أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت ٤١٢هـ) ، تحقيق: سيدعمران ، دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١ م .
❖ الحق المبين في معرفة المعصومين OβΠ : الشيخ علي الكوراني العاملي: طباعة ونشر دار الهدى ، قم ـ إيران ، الطبعة الثانية،١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م
❖ خاتم النبيينOuΠ : محمد أبو زهرة ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٤٢٥هـ .
❖ الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جنّي(ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت .
❖ الخصائص الكبرى : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
❖ خصائص النبي في القرآن : علي الافتخاري الكلبايكاني ،قم .د.ت .
❖ خصائص الوحي المبين :شمس الدين يحيى بن الحسن الأزدي الحلي المعروف بـ (ابن البطريق) (ت٦٠٠هـ)، تحقيق : الشيخ مالك المحمودي ،مطبعة تكين ،دار القرآن الكريم ،قم ،الطبعة الثانية ،١٤١٧هـ .
❖ الخصال: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ه) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ، ١٤٠٣هـ .
❖ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : د. غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ـ الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .
❖ دراسات لأسلوب القرآن الكريم :محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت.
❖ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي : د.حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ،١٩٨٠م .
❖ درّة الغوّاص في أوهام الخواص: القاسم بن علي الحريري، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية ،الطبعة الأولى ،١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

❖ الدر المصون في علم الكتاب المكنون : شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المشهور بـ (السمين الحلبي) ، (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق : د.أحمد محمد الخراط ،دار القلم ، دمشق ،د.ت.
❖ الدر المنثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
❖ دروس في البلاغة (شرح مختصر المعاني للتفتازاني) :الشيخ محمد الباميانى،مؤسسة البلاغ،بيروت ـ لبنان،الطبعة الأولى،١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨ م
❖ دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(٧٢٨هـ) ، تحقيق: د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٤٠٤هـ .
❖ دلائل الإعجاز : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد عبد القاهر الجّرجانيّ (ت٤٧١هـ) ، شرحه ، وعلّق عليه ، ووضع فهارسه : د. محمد التُّنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .
❖ دلائل النبوة : إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تح: محمد محمد الحداد ،دار طيبة ـ الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .
❖ دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر،الطبعة الثالثة ،١٩٧٢ م .
❖ الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفراديّة : د.صفية مطهري ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣م .
❖ دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان،ترجمة:كمال بشر ،مكتبة الشباب ،الميرة ـ مصر ،د.ت .
❖ ديوان ابن الفارض:أبوحفص عمر بن أبي الحسن(ت ٦٣٢هـ) تحقيق:مهدي محمد ناصر الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٢م .
❖ ديوان الأخطل:غياث بن غوث التغلبي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ـ لبنان ،١٩٨١م .

❖ ديوان امرئ القيس: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي(ت ٥٤٥ م)،تدقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
❖ ديوان بني أسد :جمع الدكتور محمد علي دقّة ،دار صادر ،بيروت ،١٩٩٩م .
❖ ديوان عدي بن زيد العبادي : تحقيق : د.محمد جبار المعيبد ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .
❖ ديوان كثير عزة :تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ،١٩٧١م .
❖ الذريعة إلى مكارم الشريعة : الراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ) ،تحقيق : أبو زيد العجمي، دار السلام ،القاهرة ، ١٤٢٨هـ ـ٢٠٠٧م .
❖ رسائل الإمام علي Oγ∏في نهج البلاغة (دراسة لغوية) : رملة خضير مظلوم البديري ، نشر العتبة العلوية المقدسة ،النجف الأشرف ـ العراق ، الطبعة الأولى ،٢٠١٢م .
❖ رسالة الحدود : أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، دار الفكر ،عمان ،د.ت .
❖ روح المعاني في تفسير القرآن الكريم : شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ـ لبنان.
❖ روضة المحبين ونزهة المشتاقين : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ،دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان ،١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م .
❖ الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقةO∪∏ :عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ) ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان ،الطبعة الأولى ،١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
❖ رياض الصالحين :النووي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي – بيروت ، د.ت .
❖ زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ،تحقيق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

❖ الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .
❖ زبدة الأصول : السيد محمد صادق الحسيني الروحاني ، نشر : مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ،مطبعة القدس ـ إيران ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
❖ الزمن في القرآن الكريم : د. بكري عبد الكريم ، دار الفجر للنشر والتوزيع ،القاهرة ،الطبعة الثانية ،١٩٩٩م .
❖ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ) ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤١٤ ه – ١٩٩٣ م
❖ سر الفصاحة : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) ، تصحيح وتعليق : عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمدعلي صبح وأولاده ،الأزهر ـمصر ،١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م .
❖ الشافية في علم التصريف : جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الدويني ، تحقيق : حسن أحمد العثمان ،نشر المكتبة المكية ، مكة المكرمة ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .
❖ شذا العرف في فن الصرف :أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي(١٣١٥هـ) ، نشر دار الكيان ،الرياض .د.ت .
❖ شذرات الذهب (دراسة في البلاغة القرآنية): محمود توفيق محمد سعد ،جامعة الأزهر الشريف ،شبين الكوم ـ مصر ،الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ
❖ شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيليّ الهمذانيّ المصريّ (ت٧٦٩هـ) ، تحقيق : مجمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .
❖ شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل : العلامة القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت١٤١١هـ) ، تعليق : السيد شهاب الدين المرعشي

النجفي / تصحيح : السيد إبراهيم الميانجي ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم ــ إيران ،د.ت .

❖ شرح الأسماء الحسنى : أبو المعالي صدر الدين محمد بن اسحاق بن محمد القونوي ، تحقيق: الشيخ قاسم الطهراني ، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م .

❖ شرح أصول الكافي : المولي محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ)، تحقيق وتعليق : الميرزا أبو الحسن الشعراني ،: دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م .

❖ شرح شافية ابن الحاجب:رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) : تحقيق:محمد نور الحسن محمد الزفزاف ومحمد يحيى عبد الحميد،دار الكتب العلمية ،بيروت ــ لبنان ،١٣٩٥هـ ــ١٩٧٥م .

❖ شرح شعر المتنبي : أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري المعروف بابن الإفليلي (ت ٤٤١هـ) ،تحقيق: د.مصطفى عليّان، مؤسسة الرسالة ،بيروت ــ لبنان،الطبعة الأولى ،١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م .

❖ شرح الكافية : رضي الدين الأستراباذي(ت ٦٨٦هـ) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق ، طهران ،١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م.

❖ شرح المفصّل : موفق الدين ابن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) ،الطباعة المنيرية ،مصر ، د.ت .

❖ شرح المقدمة المحسّبة : طاهر بن أحمد بن بابشاذ (٤٦٩هـ) ،تحقيق:د.خالد عبد الكريم ،طبعة الكويت ،١٩٧٧م .

❖ شرح نهج البلاغة :الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان ، د.ت .

❖ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

❖ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : نشوان بن سعيد الحميري اليمني (٥٧٣هـ) ، تحقيق : د. حسين عبد الله العمري ــ مطهر بن علي الإرياني ــ

د. يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر ، بيرو ت ــ لبنـــان ، الطبعـــة الأولى ، ١٤٢٠هـــ ــ ١٩٩٩م .

❖ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمـــد بـــن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥هـــ) : تعليق : أحمد حسن بسج ،دار الكتـــب العلمية ، بيروت ــ لبنان ،الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـــ ــ ١٩٩٧م .

❖ الصّحاح المسمى بـــ(تاج اللغة وصحاح العربية) ، أبو نصر اسماعيل بن حمّاد الجـــوهري (ت٣٩٣هـــــ)،تحقيـــق:أحمدعبـــد الغفورعطـــار، دار العلـــم للملايين،القاهرة- مصر،ط٤، ١٩٨٧م .

❖ صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر):محمد بـــن إســـماعيل البخـــاري الجعفي ،تحقيق :د.مصطفى ديب البغا،دارابن كثير،اليمامـــــ بيروت،الطبعـــة الثالثة،١٤٠٧هـــ ــ ١٩٨٧م .

❖ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (ت ٢٦١هـــــ) ، دار الجيل ــ بيروت، (د . ت) .

❖ الصحيح من سيرة النبي الأعظم : السيد جعفر مرتضى العاملي ،دار الهادي ــ بيروت ،دار السيرة ــ بيروت ،الطبعة الرابعة ،١٤١٥هـــ ــ ١٩٩٥م .

❖ الصرف وعلم الأصوات : د.ديزيره سقال ، دار الصداقة العربية ،بيـــروت ــ لبنان ، ط١، ١٩٩٦م .

❖ صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، الناشـــر : دار الصـــابوني للطباعـــة والنشر والتوزيع ــ القاهرة ،الطبعة الأولى ،١٤١٧هـــ ١٩٩٧م .

❖ الصوت اللغوي في القرآن : د.محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ــ لبنان ، د. ت .

❖ الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن : د.محمد فريد عبد الله ،دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،الطبعة الأولى ،٢٠٠٨م .

❖ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :السيد يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي العلوي (٧٤٩هـــ) ، تحقيق: محمد عبـــد الســـلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان، ، ط١، ١٤١٥هـــ ــ ١٩٩٥م .

❖ ظاهرة اللبس في العربية : د. مهدي أسعد عرار، مكتبة لبنان ، بيروت ــ لبنان ،الطبعة الأولى ،٢٠٠٨م .
❖ العجاب في بيان الأسباب : أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس ، دار ابن الجوزي،السعودية ،الطبعة الأولى ،١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .
❖ العربية وعلم اللغة الحديث : د. محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة والنشر ،القاهرة ــ مصر ، ٢٠٠١م . ،د.ط .
❖ العزف على أنوار الذكر : محمود توفيق محمد سعد ، جامعة الأزهر الشريف ، الطبعة الأولى ،١٤٢٤هـ .
❖ عقائد الإمامية :الشيخ محمد رضا المظفر(١٣٨١هـ) ،تحقيق:عبد الكريم الكرماني ، مؤسسة الرافد ،بغداد ،الطبعة الأولى ،١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م .
❖ على طريق التفسير البياني : د.فاضل صالح السامرائي ، النشر العلمي ، كلية الآداب والعلوم ــ جامعة الشارقة ،١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م .
❖ علل الشرائع : أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥ ه - ١٩٦٦ م .
❖ علم الأصوات ، دراسة علم الأصوات لـ(مالمبرج) : د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب ، القاهرة، ١٩٨٥هـ .
❖ علم البديع:د.عبد العزيز عتيق،دارالنهضة ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ ــ١٩٧٤م.
❖ علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان) : د.بسيوني عبد الفتاح فيود،مؤسسة المختار ،القاهرة ــ مصر ،١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م .
❖ علم اللغة :د.حاتم صالح الضامن ،المكتبة الوطنية ،بغداد،١٩٨٩م .
❖ علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع):أحمد مصطفى المراغي،دار التعليم ، بيروت .
❖ علوم القرآن:السيد محمد باقر الحكيم،مؤسسة الهادي- قم،الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ .
❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن القيرواني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .

❖ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير : محمد بن عبد الله بن سيد الناس (ت٧٣٤ هـ) ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر،بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٦ ه – ١٩٨٦ م .
❖ غريب الحديث : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي(ت ٢٢٤ هـ) ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الأولى ،١٩٦٤م
❖ الفاصلة في القرآن : محمد الحسناوي ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .
❖ فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي(٨٥٢هـ) ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ .
❖ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي ابن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
❖ الفجر الصادق : جميل صدقي الزهاوي (ت ١٣٥٤هـ) ، مكتبة اشيق ، – إستانبول – تركيا ، ١٩٨٤ م .
❖ فرائد اللغة في الفروق: هنريكوس لامتس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين،بيروت، ١٨٩٩م .
❖ فصول في علم اللغة العام : فرديناند دي سوسير، ترجمة : أحمد الكراعين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٨٢م .
❖ الفصول المهمة في معرفة الأئمة : علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بابن الصباغ (ت ٨٥٥ هـ) ، تحقيق وتوثيق : سامي الغريري ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .
❖ فقه القرآن : قطب الدين أبوالحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) ،تحقيق : السيد احمد الحسيني باهتمام السيد محمود المرعشي ، مطبعة الولاية ، قم ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .
❖ فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) :قراءة وتعليق : خالد فهمي ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،الطبعة الأولى ،١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
❖ فنون بلاغية : د.أحمد مطلوب ،البحوث العلمية ،الكويت ،١٩٧٥م .

❖ فنون التصوير البياني : د. توفيق الفيل منشورات دار السلاسل ،الكويت ، الطبعة الأولى ،١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
❖ في ظلال القرآن:سيد قطب إبراهيم،الطبعة العاشرة،دارالشروق،القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
❖ القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) ،دار العلم للجميع ، بيروت ـ لبنان ،د.ط ،د.ت
❖ الكتاب : سيبويه (أبو بشر عمّرو بن عثمان) (ت١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، الطبعة الأولى ، بيروت ،
❖ كتاب الأفعال : أبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن ، عالم الكتب ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م .
❖ كتاب الألفين :العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ) ، الناشر : مكتبة الألفين ، الكويت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ م.
❖ كتاب السنة :عمرو بن أبي عاصم (٢٨٧هـ) ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي للنشر ،بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
❖ كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق :د. مهدي المخزوميّ ود.إبراهيم السامرّائيّ ، مؤسسة دار الهجرة للنشر ، إيران ، ١٤٠٩هـ.
❖ كتاب اللامات : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق : مازن المبارك ،دار الفكر ،دمشق ،الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م
❖ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد بن علي التهانوي(بعد١١٥٨هـ)، تحقيق : د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .
❖ الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر،طبعة أخيرة،١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

❖ الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (٤٢٧هـ) ، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ ــ٢٠٠٢م .
❖ الكليات :أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (١٠٩٤هـ) ،تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،(د.ط)،١٤١٩ ــ ١٩٩٨م .
❖ كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (من مشاهير ق ١٢هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ،طهران ، الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ .
❖ كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان نوري (٩٧٥هـ) ، ضبط وتفسير الغريب وتصحيح ووضع الفهارس : الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة الصفا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.
❖ اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبدالله العكبري (٦١٦هـ) ،تحقيق : غازي مختار طليمات ، دار الفكر ،دمشق ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .
❖ لباب النقول في أسباب النزول : أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (٩١١هـ) ، دار إحياء العلوم – بيروت ، د.ت .
❖ لسان العرب : محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاريّ (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ،الطبعة الثالثة ،١٤١٤هـ .
❖ اللمحة في شرح اللمحة:محمد بن الحسن الصايغ(ت ٧٢٠هـ) :دراسة وتحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي،الجامعة الإسلامية ،المدينة المنورة،الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٤م .
❖ لمسات بيانيّة في نصوص من التنزيل : د.فاضل صالح السّامرائي ،دار الشؤون الثقافيّة ،بغداد ، الطبعة الأولى ،١٩٩٩م .
❖ مباحث في علوم القرآن : د.صبحي الصالح ،دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة الرابعة والعشرون ،٢٠٠٠م .

❖ مجاز القرآن :أبو عبيد معمر بن المثنى التيمي (٢١٠هـ)،عارضه وعلّق عليه : د.محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي ،مصر ، ١٩٨٨م .
❖ مجاز القرآن ــ خصائصه الفنية ــ بلاغته العربية :د.محمد حسين علي الصغير،دار الشؤون الثقافية ،بغداد ١٩٩٤م .
❖ مجمع البحرين : الشيخ فخرُ الدين الطُّريحيّ (ت١٠٨٥هـ) ، تحقيق : السيد أحمد الحسينيّ ،مكتب الثقافة الإسلامية للنشر ، طهران –إيران ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ .
❖ مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ (ت٥٦١هـ وقيل ٥٤٨هـ) ، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه : الحاج السيد باسم الرّسولي المحلاتي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٣٧٩هـ .
❖ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٤٠٨ ه – ١٩٨٨م .
❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية ،لبنان،الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م .
❖ المحصول في علم أصول الفقه : محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : د. طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية ،١٤١٢هـ
❖ المحكم في أصول الفقه: السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم ،مطبعة ، مؤسسة المنار ــ قم ،الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ــ ١٩٩٤ م .
❖ المحكم والمحيط الأعظم :أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ،تحقيق: د.عبد الحميد الهنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى ،٢٠٠٠م .
❖ محمدOuП في القرآن : آية الله السيد رضا الصدر، قم ، الطبعة الأولى ،١٤١٩هـ .

❖ محمدOuП في القرآن والقرآن في محمدOuП : آية الله الشيخ محمد علي اليزدي ، مطبعة الاعتماد ،إيران ،الطبعة الأولى ،١٤٢٨هـ .
❖ المحيط في اللغة :الصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد آل ياسين ،بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م .
❖ المختصر في أصوات اللغة العربية : د.محمد حسن حسن جبل ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .
❖ مختصر المعاني : سعد الدين التفتازاني، نشر دار الفكر ، قم ،الطبعة الأولى ،١٤١١هـ .
❖ المخصّص : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (٤٥٨هـ) ، تحقيق :خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .
❖ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان ،الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م .
❖ مدخل التفسير: آية الله العظمى محمد فاضل اللنكراني ،تحقيق ونشر : مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام .د.ت .
❖ المستدرك على الصحيحين : الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ،د .ت .
❖ مسند أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ،تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .
❖ مسند الشاميين : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد ،الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٤م .
❖ مصباح الشريعة :منسوب للإمام الصادق (عليه السلام) (ت ١٤٨هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى،١٤٠٠هـ ١٩٨٠ م

❖ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أبو العباس احمد بن محمد بن علي المقري الرافعي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ، منشورات الهجرة،قم ،الطبعة الثانية،١٤١٤هـ .
❖ معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن سعود البغوي (٥١٠هـ) ، تحقيق : محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش ،دار طيبة للنشر ، الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
❖ معاني الأبنية في العربية : الدكتور فاضل صالح السّامرّائي ، جامعة الكويت ـ كلية الآداب،ساعدت جامعة بغداد على نشره ،الطبعة الأولى، ١٩٨١م .
❖ معاني الأخبار : أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١هـ) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩هـ .
❖ معاني القرآن : أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ،ومحمد علي نجار ، وعبد الفتاح شلبي ، الدار المصرية ، مصر ، د.ت .
❖ معاني القرآن الكريم : أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) ، تحقيق: محمد علي الصابوني ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ،الطبعة الأولى ،١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
❖ معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ): تحقيق د.عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م .
❖ معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر،عمان ،الطبعة الثانية ،١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .
❖ معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ،ضبط وتصحيح :أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان ،الطبعة الأولى ،١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
❖ معجزة القرآن : الشيخ محمد متولي الشعراوي ،المختار الإسلامي للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

❖ معجم علوم القرآن : إبراهيم محمد الجرمي ، دار القلم ،دمشق ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
❖ معجم الفروق اللغوية (الحاوي كتاب أبي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري) ، تحقيق : الشيخ بيت الله بيات ،مؤسسة النشر الإسلامي ،قم ـ إيران ،الطبعة الأولى ،١٤١٢هـ .
❖ معجم القراءات : د. عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد للطباعة والنشر ، دمشق ـ سورية ، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .
❖ المعجم الكبير : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ) ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ،١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م .
❖ معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمّد هارون ، مطبعة دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
❖ المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته،د. أحمد مختار عمر،مؤسسة سطور المعرفة ، الرياض ـ السعودية ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م
❖ المعجم الوسيط :إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات ومحمد النجار وحامد عبد القادر ،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،الطبعة الرابعة،١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
❖ المغرَّب في ترتيب المُعرَب :أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرّزي (٦١٠هـ) ،تحقيق:محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ،الطبعة الأولى ،١٩٧٩م .
❖ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، ، تحقيق: د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة السادسة ،١٩٨٥م .
❖ مفاهيم القرآن : جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق ع ، قم ،١٤٢٠هـ .
❖ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،د.ت .

❖ مفتاح العلوم : أبو يعقوب بن أبي بكر بن محمد السكاكي(ت ٦٢٦ هـ) ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ،الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .
❖ مفردات ألفاظ القرآن : العلامة الرّاغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم- دمشق ، الدار الشّامية - بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
❖ المفصّل في صنعة الإعراب : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : د . علي بو ملحم ، مكتبة الهلال ـ بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .
❖ المقتضب :أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، تح:السيد أحمد صقر ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م
❖ مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : مير سيد علي الحائري الطهراني (١٣٤٠هـ) ، دار الكتب الإسلامية ،طهران ،١٣٧٧ش .
❖ مقدمات في التفسير الموضوعي : آية الله السيد محمد باقر الصدر،دار التوجيه الإسلامي ،بيروت ، ١٤٠٠هـ .
❖ مقدمة لدراسة فقه اللغة : د.محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٩٦٩م .
❖ مناظرات في العقائد والأحكام : الشيخ عبد الله حسن ، الناشر : دليل ، مطبعة العترة ،الطبعة الثانية : ١٤٢١ هـ .
❖ مناقب آل أبي طالب :أبوعبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (٥٨٨هـ) ، تحقيق:لجنة من أساتذة النجف الأشرف،المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ١٩٥٦م .
❖ مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبدالعظيم الزرقاني ، تحقيق : دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ،١٩٩٦م .
❖ من هدى القرآن : محمد تقي المدرسي ،دار الهدى ، الطبعة الأولى ،١٤٠٦هـ.
❖ من وحي القرآن :د.إبراهيم السامرائي ،مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت،الطبعة الأولى،١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

❖ مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ، مطبعة الآداب ،النجف الأشرف ، ١٤٠٤هـ .
❖ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: احمد بن محمد قسطلانى (ت٩٢٣ هـ)، المكتبة التوفيقية ، القاهرة- مصر ، د.ت .
❖ موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري، بمساعدة رضا برنجكار وعبد الهادي المسعودي ، تحقيق : مركز بحوث دار الحديث ،مطبعة دار الحديث ـ قم ،الطبعة الأولى ،١٤٢٥هـ .
❖ الميزان في تفسير القرآن :العلاّمة السيّد محمّد حسين الطباطبائي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران – إيران ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م .
❖ النبأ العظيم : محمد عبد الله دراز،دار القلم ، الكويت ،١٩٧٠م،د.ت .
❖ النبيّ في القرآن : الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ،طبع ونشر دار الفاروق ، القاهرة ـ مصر ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٥م .
❖ نحو تفسير موضوعي : محمد الغزالي ، دار النهضة ، مصر ، الطبعة الأولى،د.ت .
❖ نحو الفعل : د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ـ العراق ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
❖ النشر في القراءات العشر : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تصحيح وتعليق : الشيخ علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان . د.ت .
❖ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، القاهرة ،الطبعة الأولى ،١٩٦٩م .
❖ النعت في التركيب القرآني : د. فاخر هاشم سعد الياسري ،دار الشؤون الثقافية ،بغداد ،العراق ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٨م .
❖ نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار : آية الله السيد حامد حسين اللكهنوي ، مطبعة مهر ،قم ـ إيران ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .

❖ نفحات القرآن : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ،قم ــ إيران ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ .
❖ نهاية الأفكار : ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٤٠٥ هـ .
❖ نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز : رفاعة رافع الطهطاوي ، دار الذخائر ،القاهرة ،الطبعة الأولى ،١٤١٩هـ .
❖ نهاية الدراية في شرح الكفاية : السيد حسن الصدر ، مطبعة الاعتماد ــ قم ،١٣٥١هـ
❖ النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ،مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر ،قم ــ إيران ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ .
❖ النهجة السوية في الأسماء النبوية : جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق : أحمد عبد الله باجور ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١ م .
❖ النواسخ الفعلية والحرفية (دراسة تحليلية مقارنة) : د.أحمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، جامعة الإسكندرية ــ مصر ،٢٠٠١م ،د.ط.
❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(٩١١هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ، مصر .
❖ الوجوه والنظائر : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد عثمان ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ هـ ــ ٢٠٠٧ م .
❖ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :أبو الحسن الواحدي (٤٦٨هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ،دار القلم ،بيروت ،الدار الشامية ،دمشق، الطبعة الأولى ،١٤١٥هـ .

❖ **الرسائل والأطاريح :**

❖ الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد ﷺ (دراسة بلاغية وأسلوبية)، ،عدنان جاسم محمد الجميلي ،اطروحة دكتوراه ،كلية التربية (ابن رشد) ،جامعة بغداد ،١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

❖ البلغة إلى أصول اللغة : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) ، تحقيق ودراسة : سهاد حمدان أحمد السامرائي ،رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات – جامعة تكريت ،١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

❖ الخطاب الإلهي للنبي ﷺ في السور المدنية (مضامينه وأساليبه البلاغية) ،عمر خليل حمدون الهاشمي،رسالة ماجستير،كلية الآداب ،جامعة الموصل ،١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

❖ الخطاب القرآني الموجّه إلى الرسول ﷺ ،شهيد راضي حسين ،رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة البصرة ،١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .

❖ **البحوث والمجلات :**

❖ تفسير ابن فارس، (سورة فاطر) : د.هادي حسن حمودي ،مجلة تراثنا ، نشرة فصلية تصدرها مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث ،قم ، العدد الثاني[١١]- السنة الثالثة ربيع الثاني ١٤٠٨هـ .

❖ جماليات تحوّل الوحدة الصرفيّة لدى النّحاة والبلاغيين : د. سامي عوض وعادل نعمة ،مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ــ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ،المجلد(٢٨) العدد(١) ،٢٠٠٦م .

❖ حقوق الإنسان محور الشريعة الإسلامية : أ.د . أحمد الريسوني ،أ.د. محمد الزحيلي ،أ.د . محمد عثمان شبير ،سلسلة كتاب الأمة ، العدد ٨٧ ، لسنة ١٤٢٣هـ ــ السنة الثانية والعشرون .

❖ مصطلحات نحوية ،ثامن وعشرون: مصطلح التابع ،السيد علي حسن مطر،مجلة تراثنا ،نشرة فصلية تصدرها مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث ،قم ،العدد ١ (السنة ١٦)،١٤٢١هـ .

❖ النسيان والذكر في القرآن الكريم (دراسة لغوية) ، د. السيد رزاق الطويل ، مجلة البحوث الإسلامية ع١٣ ، من رجب إلى شوال ،١٤٠٥هـ .